وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
معهد اللغة والأدب العربي

ابن عبد ربه وشعره

دراسة وتحليل

ابن عبد ربه وشعره

إعداد الطالب
محمد عيسى موسى

لنيل الدكتوراه "الدور الثالث"

تحت إشراف
الدكتور صيام زكريا

سنة: 1406هـ - 1985 - 1986م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كان ابن عبد ربه واحدا من أعلام القرن الثالث والرابع الهجريين في قرطبة ، ووصلنا من أنتاجه كتاب العقد الذي اشتهر عنه ، ولم يعرف عند المتأخرين الا به ، وذكر له أبو بكر محمد بن خير صاحب الفهرست : (كتاب العروض) . وأضاف اسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ، مؤلفات أخرى لابن عبد ربه ، لم يصلنا منها شيء ، هي : (الارشاد في اللغة ، ديوان شعره ، اللباب في معرفة العلم والآداب) .

وقد شغل الناس بالعقد فتناولوه بالدراسة والتحليل ، وما يزال الكتاب الموسوعة في حاجة الى دراسة ، وخاصة جانب التحقيق فيه . ويعترف محققه أحمد أمين في المقدمة باعتماده على مخطوط واحد جلب صورة عنه من تركيا ، وعلى النسخ الخطية والمطبوعة الموجودة في دار الكتب المصرية . في حين توجد في خزائن مكتبات عديدة في العالم نسخ مخطوطة لم تستغل حتى الآن . وقد لمست وأنا أدرس ابن عبد ربه ، الحاجة الملحة الى إعادة النظر في تحقيق العقد ، تحقيقا علميا يكون في مستوى المكانة التي تبوأها العقد ومؤلفه عبر العصور .

وموضوع البحث ـ كما يوضحه عنوانه ـ هو إنتاج ابن عبد ربه الشعري .

وقد قسمت البحث إلى بابين ، خصصت الباب الاول لحياة الشاعر ، وبحثتها من ثلاثة جوانب . تكلمت في الأول عن مولده ، ووفاته ، ونسبه ، وأسرته . أما الجانب الثاني ، فكان الهدف منه دراسة الوسط الاجتماعي الذى عاش فيه ابن عبد ربه ، بحثت فيه العلاقات التي كانت تربط الشاعر بغيره من معاصريه من رجال السياسة والادب . وحاولت في الفصل الثالث الكشف عن شخصية الشاعر ، فاستعرضت آراء العلماء فيه في البداية ، ثم استنطقت شعره بعد ذلك ، فاتضحت جوانب عديدة من شخصية الشاعر . وجاء الباب الثاني ، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، لنبحث في الفصل الأول شعر الغزل ، الذى تميز عند الشاعر عن باقي أغراض شعره كما وكيفا . و ربطت في الفصل الثاني ، بين شعر الحروب والمديح ، ويقع في ستة أقسام . أما الفصل الثالث فدرست فيه شعر الرثاء والهجاء .

وأتبعت البحث بملحق ، هو ديوان ابن عبد ربه بنصه الكامل الذى كنت قد جمعته وحققته في مرحلة الدراسات المعمقة ، وأحلت في البحث إلى أرقام المقطوعات فيه ، ولم أذكر في هوامش البحث تخريجات الأبيات والشروح ، تجنبا للتكرار ، وحتى لا أثقل الحواشي بجزئيات هي مذكورة بالتفصيل في الديوان ، لذلك اكتفيت في البحث بذكر رقم المقطوعة في الهامش ، ليُطلب الشاهد في موضعه من الديوان

وأملي أن أكون قد أديت لابن عبد ربه شيئا مما يستحقه من عناية ودراسة ، وحسبي هذه المتعة التي اكتسبتها بالعشرة الطويلة التي ربطتني بابن عبد ربه مدة تزيد عن العشر سنوات .

ولابد في النهاية من كلمة شكر وتقدير لمعهد اللغة والأدب العربي ، وكل إطاراته ، وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور صيام زكريا الذي قرأ هذا البحث ، وتابعه بعناية كبيرة ، وشجعني ، وأفادني كثيرا بإرشاداته القيمة .

الباب الأول

حياته

الفصل الأول : نشأته

الفصل الثاني : مع معاصريه

الفصل الثالث : ثقافته شخصيته وأخلاقه

الفصـــل الاول

نشأتـــــــه

(1) تحقيق مولــــد ه ووفاتـــــــه

(2) نسبـــــه

(3) أسرتـــــــه

(1) تحقيق مولده ووفاته

بعد قراءة في المصادر المختلفة وبعد مقارنة بين الأخبار الواردة فيها عن مولد الشاعر ووفاته ، تبين أن المعلومات مكتملة في زمن قريب من عهد الشاعر . فأخبار الوفاة جاءت عند ابن الفرضي في القرن الرابع، وتأخرت أخبار المولد، فوردت عند الحميدي في القرن الخامس . أما المصادر المتأخرة عن هذين فأنها لا تضيف شيئا يستدعي التوقف عنده . ويعني ذلك أن المعلومات الواردة في المصادر المتأخرة اعتمدت أساسا على أحد المصدرين المذكورين، خاصة وأن أحدهما يكمل الآخر .

فابن الفرضي هو أول من حدد تاريخ وفاة ابن عبد ربه ، ويبدو أن معظم الذين ترجموا له من بعد ذلك اعتمدوه بطريقة أو بأخرى ، إلا أنه لم يحدد تاريخ ولادته ولا مكانها ، وهو ما أكمله الحميدي في القرن الخامس بقوله :
((ومولده سنة ست وأربعين ومائتين لعشر خلون من شهر رمضان .)) (1) .
أما ابن الفرضي قبله فهو يفصل القول في خبر وفاته، ووقع ذلك ((يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .)) ثم يشير إلى دفنه ومكانه وتحديد عمره بالسنوات والشهور والأيام ، يقول : ((ودفن يوم

---

(1) جذوة المقتبس / الحميدي ص 94 .

الاثنيـــن في مقبرة بني العباس وهـو ابن إحــدى وثمانين سنــة وثمانية أيام)) (1) .

ولعل نظرة في جدول الصفحة التالية، تغني عن متابعة استعراض بقية الأخبار في الموضوع . فالجدول يسجل بأمانــة واقــع تلك الاخبار ويعكس اتفاقها واختلافها، وكذلك تكاملهـا ، حسب تسلسل زمنــي، ابتداء مــن عهد الشاعر في القــرن الرابــع ، إلى غاية القرن الحادى عــشر . (2)

---

(1) تاريخ علماء الاندلس/ ابن الفرضي ج 1 ص38 . يبدو أن ابن الفرضي سها فخلط بين سنة وفاته التي هي 328 وبين السنة المذكورة 382 ولعل السهو من الناسخ أو الطابع .

(2) لم تدرج في الجدول التالي المعلومات البيبليوغرافية وهي حسب تسلسلها كما يلي : بغية الملتمس/ الضبي ص137 — وفــيات الأعيان / ابن خلكان ج 1 ص 94 — عيون الأنباء / ابن أبي أصيبعة ص489 — البداية والنهايــة / ابن كثير ج 11 ص 194 — العبر / الذهبي ج 2 ص211 — بغية الوعاة / السيوطي ج 1 ص 371 — ابن العماد / شذرات الذهب ج 2 ص 312 .

جدول مقارن لتحقيق أخبار المولد والوفاة حسب بعض المصادر

القرن الهجري	المصدر	نص الخبر					
		المولد	مكانه	الوفاة	مكانها	الدفن	عمره
الرابع	ابن الفرضي			الأحد 12 ليلة بقيت من جمادى 1 سنة 328		يوم الاثنين في مقبرة بني العباس	81 سنة 8 أشهر 8أيام
الخامس	الحميدي	10رمضان 246		سنة 328،12 ليلةبقيت من جمادى 1			81 سنة 8 أشهر 8 أيام
السادس	الضبي	10رمضان 246		سنة 328،12 ليلة بقيت من جمادى 1			81 سنة 8 أشهر 8 أيام
السابع	ابن خلكان	10 رمضان 246		الأحد 18 جمادى 1 328		الاثنين في قرطبة في مقبرة بني العباس	
السابع	ابن أبي أصيبعة	رمضان 246		جمادى 1 سنة 328			
الثامن	ابن كثير			الأحد 18 جمادى 1 328	قرطبة		
الثامن	الذهبي						82 سنة
التاسع	السيوطي			الأحد 12 ليلة بقيت من جمادى 1 سنة 328			81سنة وثمانية أشهر
الحادي عشر							82 سنة

(2) نسبـــــــــــه

يرتقي نسبــــه في المصادر إلى جـــده الرابع سالـــم،من موالي هشام بـــن عبد الرحمـــن الداخل ،أبو محمد، وكنيتـــه أبو عمـــر،ويعرف بابن عبد ربـــه نسبة الى جـــده ،ولم ينسب إلى قرطبة إلا في القرن السابـــع من طرف ابن خلكان، كما ستأتـــي الاشارة إلى ذلك .

أول من ذكره بنسبه الكامـــل ، وسار على نهجه كل الذين جاءوا من بعده ، هـــو ابن الفرضـــي في القرن الرابـــع فقال، ((أحمد بن محمد بن عبد ربه،الشاعر ابن حبيب بن حديـــر بن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية،من أهـــل قرطبـــة يكنـــى أبـــا عمـــر)) (1) . ويقول عنه الحميدي في القرن الخامس ، ((أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم،مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاويـــة بن عبد الملك أبو عمـــر)) (2) . أهم العناصر في نسب ابن عبد ربه هـــي،كونه يرتقـــي في سلسلة النسب الى جده الرابع سالم،وهو أندلسي كان مولى هشام بن عبد الرحمن الداخل ،كنيته أبو عمر، واسمه أحمـــد . وفي القرن السادس ترد عند صاحب البغية هذه العناصر نفسهـــا دون إضافة أو نقص (3) ،وهو عند ابـــن أبي أصيبعة ، ((أحمد بن محمد بن عبد ربـــه)) (4) .وهو عند ابن سعيد

---

(1) تاريخ علماء الاندلس/ ابن الفرضي ج 1 ص38
(2) جذوة المقتبس/ الحميدي ص94
(3) بغية الملتمس/ الضبـــي ص 147
(4) عيون الأنباء / ابن أبي أصيبعـــة ص489

في القـرن السابع : ((أبوعمر ابن عبد ربـه)) (1) . وفي الفترة نفسهـا ينعته ابن خلكـان بلفظ ((القرطبـي)) لأول مـرة مع نسبه الكامل : ((أبوعمـر أحمد بن محمد بن عبد ربـه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبـي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاويـة بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمـوى)) (2) . ولعله بقوله القرطبي لا يعنـي الشاعر وإنما (سالمـا) بدليل أنه أتبعه بقوله : ((مولى هشام)) والمعروف أن المولـى هو الجد الرابع ((سالم)) وليس الشـاعر ابن عبد ربـه . ومهما كان تأويل هذا الخبر، يبدو أن التباسا وقع عند ابن خلكـان ، وسوف نلاحـظ ابتداء من هذه الفترة ، كيـف أشبه الأمر على الذين جاءوا من بعده وذهبوا مذهبه ، وخلطوا بين ((الشاعر)) وجـده ((سالـم)) في أمرين : الأول في إضافة لفظ ((القرطبي)) الى نسبه، والثاني في كونه مولى بني أميـه .

ويظهر أثر هذا الالتباس مباشرة في القرن الثامن عند ابن كثيـر ، فبصرف النظر عن تحريفه ((حدير بن سالم)) الى ((جرير بن سالم)) ، يقول بعد ذكـر نسبـه : ((أبوعمر القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمـن)) (3). فيصبـح ابن كثير من أجل ذلك أول من أضاف لفظ ((القرطبـي)) إلى نسب ابن عبد ربه صراحـة ، وأول من عده ((مولـى)) هشام بن عبد الرحمـن .

---

(1) المغرب في حلي المغرب / ابن سعيد ج 1 ص. 120
(2) وفيات الاعيـان / ابن خلكان ج 1 ص. 92
(3) البداية والنهاية / ابن كثيـر ج 11 ص. 193

واذا علمنا أن هشاما توفي في القرن الثاني، وابن عبد ربه في القرن الرابـــع ، تبين لنا حجم الخطأ الذى وقع فيه ابن كثير، وأوقع فيه كل من أخذ عنه بعد ذلك . وفي هذه الفترة نفسها يسايره صاحب "" العبر "" فيصبح ابن عبد ربه عنده مولى بني أمية كذلك فيقول : ((أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربـــه الأموى مولاهم الاندلسي)) (1) . وفي القرن العاشر يعكس السيوطي ما ذهب اليه المتأخرون فيقره يقول : ((أبو عمــر القرطبي)) (2) . وكذلك الامر في القرن الحادى عشر عند ابن العماد الذى يقول : ((أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبـــي)) (3) . ويستقر على صورته هذه إلى العصر الحديث .

(3) أسرتــــــــــه

يظل هذا الجانب من حياة ابن عبد ربه اكثر الجوانب غموضا ، فلا الشاعر ولا انتاجه يقدمان لنا شيئا يذكر ، ولا المؤرخون الذين اهتموا بالترجمة له ذكروا أخبارا عن محيطـــه وأسرته ، ومن حقنا التساؤل عن سبب هذا الفراغ . ولعل الشاعر مسؤول عن هذا ، فلا يوجد في العقد شيء إلا ما ورد فيه عرضا، أو في أشعاره وفي أخبار المترجمين له أو لأحد ينتمي الى نسبـــه . وكل الذى يمكن أن نؤكده ، كونه أنجب أولادا، وله على الأقل أخوان اثنان ، وابن أخ عرف بالمشادة التي وقعت بينه وبين عمـــــه .

ولعل سبب هذا الغـــموض يعود إلى كون الشاعر لم يكن معروفا قبل أن يشتهر بشعره وعلمه، وهذا ما يستنتج من عبارة وردت بهذا المعنى عند الحميدى ، فابن عبد ربه : ((ساد

---

(1) العبر في خبر من غبـــر / الذهبي ج 2 ص . 211
(2) بغية الوعاة / السيوطي ج 1 ص . 371
(3) شذرات الذهب / ابن العماد ج 2 ص . 312

بعد خمـــــول وأ ثرى بعد فقـــــر)) (1) .

أ ـ أولا د ه

ماتزال أشعاره بالنسبة لأولا ده أهم مصدر حفظت بعض معلومات يمكن الاطمئنان اليها ، على أن هذه الطريقة لا تبتعد كثيرا عن مجال الافتراض . أورد الشاعر لنفسه في العقد عدة مقطوعات في رثاء ولدين فقدهما، يبدو أن أحدهما مات صغيرا ، ولم يفصح عن اسمه ، ورد ذكره مرة واحدة فقط في مقطوعة قال عن مناسبتها : ((وهذا نظير قولي في طفل أصيب بـــــــــه)) (2) . من هذه المقطوعة نورد بيتين يستدل بهما على موت الولـــد صغيرا يقـــــول :

فريـــخ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الريش حتى ضمه الموت والقبـــــــــر

وينهي القطعة بقولـــه :

٣٨٤٠٩٩

أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتـــــي وليس سوى قمر الضريح له وكـــــــر

أما الابن الثاني فبكاه طويلا، ويبدو أن موته ترك في نفسه جرحا عميقا، رثاه بعدة قصائـــد صرح مرة باسمه ((يحيي)) في قوله :

يا موت يحي لقد ذهبت بــــــه ليس بزميلة ولا نكـــــــد (3)

ومرة بكنيته ((أبي بكر)) في قولـــــــــــه :

واها عليك أبا بكـــر مـــــردة لو سكنت ولها أو فترت شجنـــــــا ( )

---

(1) جذوة المقتبس/ الحميدي ص 94

(2) العقد / ابن عبد ربه ج 3 ص. 258 والبيتان في الديوان : 79

(3) الديـــــوان: 44

(4) الديوان : 220

وكانت ليحيى مكانة معتبرة في عهده، وقد نعتته أبوه بعدة أوصاف تدل كلها على مكانته العلمية، منها قوله :

بأبي وأمي هالكا أفردته قد كان في كل العلوم فريدا (1)

وترجم له ابن الفرضي بقوله : ((كان حافظا للفقه نبيلا في ضروب من العلم، ومات في حياة أبيه، فرثاه أبوه بعدة أشعار، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثلاثمائة)) (2) .
وفي الجزء الأول من تاريخ ابن الفرضي (3) ترجمة ((سعيد بن أحمد بن محمد ابن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم)) قال عنه : ((كان فقيها مشاورا في الاحكام، مقدما في الفتيا، وكان ثقة سمع منه الناس كثيرا، وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة)) . وحسب سلسلة النسب فأن سعيدا هذا هو ابن ثالث للشاعر ولكن ابن الفرضي على غير عادته لم يعلق بشيء يفيد هذا المعنى .

ب — اخوته

للشاعر أخ اسمه عبد الرحمن، وآخر اسمه يحي، أما الأول فهو والد سعيد الطبيب الذي ترجم له صاعد بقوله : ((سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه ... وهو ابن أخي أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر، صاحب العقد، وكان طبيبا نبيلا وشاعرا محسنا، وله في الطب رجز جليل، محتو على جملة حسنة منه دل به على تمكنه في العلم وتحقيقه مذاهب القدماء، وكان له بصر بحركة الكواكب ومها ب

---

(1) الديوان : 45
(2) تاريخ علماء الأندلس/ ابن الفرضي ج 2 ص. 187
(3) المصدر السابق ج 1 ص. 170

الريـــح وتغيير الأهوية)) (1) . ثم يذكر ما جـــرى بينه وبين عمـــه ابن عبد ربـــه لما استدعاه لزيارته فلم يجبـــه (2) . وروى القصة أيضـــا ابن أبي أصيبعة(3) وترجـــم له ابن سعيد بقوله : ((كان آيـــة في فنون العلم القديم لكنه ثقيل الطلعة ، ســي ء الأدب والمقابلة،ولذلك كان عمـــه أبو عمـــر يكرهـــه ، وذكـــر أن الناصـــر المروانـــي استحضره لينظر عليه في العلم،فقابله من الكلام الما ســي الجلف بما كرهـــه من أجـــله وأبعده)) (4) . أمـــا الأخ الثاني فاسمـــه يحي ، ورد ذكـــره عـــرضا عند ابن الفرضي في سياق الترجمـــة لابن الشاعر يحـــي في قوله : ((ومات عمـــه يحي (5) قبله بيسير أو بعده بيسيـــر،وفيهما يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أبكـــي لفقد السيين الشبيهيـــن ... أبكي لصنويـــن في الدنيا رضيـــن

ابـــن وصنو حكى هذا شمائل ذا ... كأنمـــا تحتذ يه العين بالعيـــن

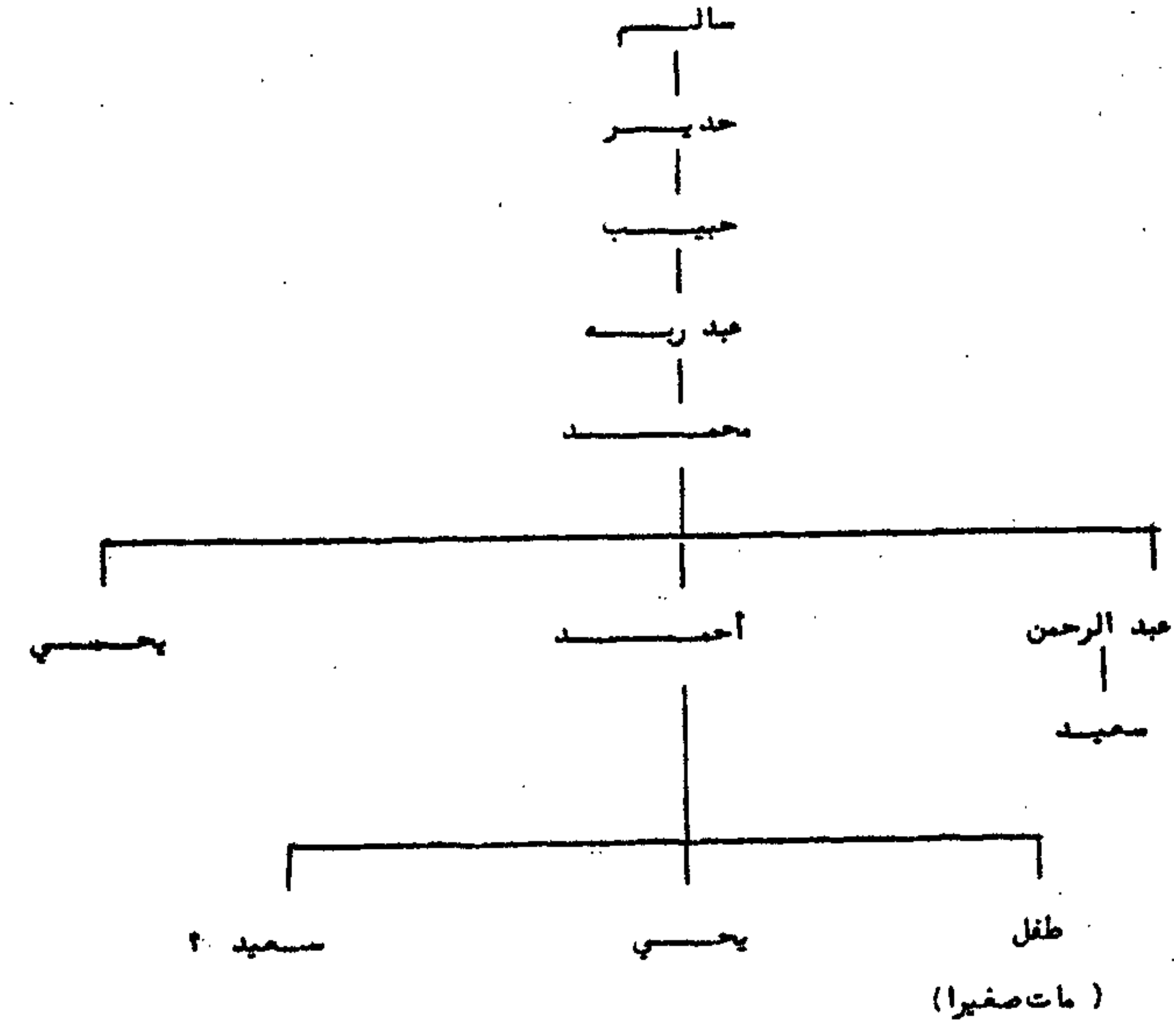
نجمين في الخطب وقاد ين صلتيـــن ... بحرين في العلم أستاذ ين حبريـــن

كر الجديد ين قد أبلى جديدهمـــا ... ولا جديد على كـــر الجديد يـــن)) (6)

---

(1) طبقات الأمـم / صاعد ص. 78 ـ 79
(2) تفصيل الخبر في هامش القطعة 113 في الديوان
(3) عيون الأنباء / ابن أبي أصيبعـــة ص. 490
(4) المغرب في حلـــي المغرب / ابن سعيد ج 1 ص. 121
(5) عم ولد ابن عبد ربه لان الخبر جاء في سياق الترجمة ليحي بن أحمد بن محمد بن عبد ربـــــه
(6) تاريخ علماء الأندلس / ابن الفرضي ج 2 ص. 187

أسرة ابن عبد ربه



الفصـــل الثانـــي

مــع معاصريـــه

(1) مع أمـــراء بني مروان :

(أ) - مع الأمـــير محمـــد

(ب) - مـــع الاميـــر المنذ ر

(ج) - مع الأمـــير عبد اللـــه

(د) - مع الخليفـــة عبد الرحمن الناصر

(2) مع ابراهيـــم بن حجـــاج

(3) مع القائـــد أبـــي العباس

(4) مع الزجـــالـــي

(5) مع شعـــراء عصـــره :

(أ) - محمد بن عبيد الله بن أبي عبـــدة

(ب) - محمد بن يحـــي القلـــفاط

(ج) - سعيد بن عبد الرحمـــن الطبيـــب

(6) مع صاحب القبلـــــة

(7) هـــديـــاه وتهانيـــه ومواساتـــه

(8) علاقته بأشخاص لم يفصح عن هويتهـــم

(1) مع أمـــــراء بني مروان

أ — مع الأمير محمـــــد (ولايته 236 — 273 هـ)

تتحدث المصادر كثيرا عن علاقة ابن عبد ربه برجـــال الحكم في قرطبـة ، ويفهم من جملتها كون هذه العلاقة وثيقة على أنه لا يتوفر دليل يثبت مشاركة ابن عبد ربـــه في أي نشاط سياسي أو عسكري في عهده ، ولكنه كان على اتصال بأمراء عصـــره . وتقوى هذه العلاقة أو تضعف حسب موقف هذا الامير أو ذاك منه . ويبدو أن مطالبه كانت كثيرة حتى وصل به الأمر أحيانا حد الالحــــاح .

الغرض هنا من الموضوع ليس الحديث عن مدائحه في أرباب القصور وأقواله فـــي معاصريه ، لأن الحديث عنها سيأتي في موضعه ، وانما القـــصد منه التعرف على نوع الرابطة التي شدتــــه إلى هؤلاء ، والدور الذى كان يقوم به ، وما يلقي ضوءا على حياتـــــه .

ولـــــد الشاعر ونشأ وترعرع في عهد محمد بن عبد الرحمــــن ، وبلغ عمره لما توفي الأمير سنـــــة 273 هـ سبعا وعشرين سنـــــة . أن الاشارة إلى اتصاله بهذا الامير صريحة عند ابن حيــــان ، ففي سياق حديثه عن الأمير عبد اللــــه وشاعرنا يقول : ((وقد مدح أباه الأمير محمدا أول ما مدح من الخلفاء لأول نبوغه ، فشعره قليل فيه .)) (1) . ولم نتمكن من العثور على بعض هذا القليل الذى قيل في الأمير محمد ، على أن هذا الخبر يقدم الدليل على نبوغ الشاعـــر ، وقوله الشعر قبل سن السابعة والعشرين وإن لم يصلنا منه شـــيء .

---

(1) المقتبس / ابن حيـــان ج 3 ص 41

ولم تحدد المصادر كذلك درجة العلاقة التي تربطهما، وما هي مكانته عند الحاكم . وتتدرج صعوبة الاجابة عن هذا في إطار الغموض الذى لاحظناه في جوانب عديدة من حياته المبكرة . وفي جذوة المقتبس خبر عن هذه العلاقة بالأمير محمد بن عبد الرحمن، إلا أنه جاء مقتضباء شأن خبر ابن حيان من قبل، وهو يبين فقط أن الأمير محمدا كان أول أربعة أمراء مدحهم ابن عبد ربه وهم : ((الأمير محمد والمنذر وعبد الله وعبد الرحمن الناصر)) (1) .

ب ـ مع الأمير المنـــــــــذر (ولايته 373 ـ 375 هـ)

لابد من القول أن أخبار ابن عبد ربه في المنذر أوفر وعلاقته به أوطد ، ويتحدث ابن حيان في هذا المجال عن مديح ابن عبد ربه ويقول بعد أن ذكر الامير عبد الله : ((وثنى بأخيه المنذر بن محمد وقد انطلق مرح العنان ، فأجاد المديح وتصرف في الافتنان)) (2) .

يعد القول السابق من الأدلة القوية التي تؤكد على قضية اتصال ابن عبد ربه بالبلاط الأموى في شبابه ، لأن مصادر عديدة تشير الى نبوغه في هذه الفترة من عهد المنذر، كقول ابن الأبار : ((وفي أيامه نجم أبو عمر بن عبد ربه)) (3) .

وما يجدر ذكره هنا هو أن عهد المنذر كان قصيرا لم يتجاوز السنتين ، ولم يتوفر بسبب ذلك لابن عبد ربه الوقت الكافي لابراز مواهبه، وأخذ مكانة لائقة، رغم أن الظروف

---

(1) جذوة المقتبس/ الحميدى ص 94
(2) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص، 42
(3) الحلة السيراء / ابن الأبار ص، 90

كانت مواتية، بما اتصف المنذر من تكريم العلماء والاحتفاء بهم ، وكان كل من الشاعر والامير قد وجد بغيته عند الآخـــــر . قد سبقت الاشارة إلى نشأته في الفقر، ولا ندرى اذا كان قد حاول الحصول على عطاء من الامير السابق ، كما اننا لاندرى ماذا يكون الرد ، على أنه من المؤكد أن الحظ كان بجانبه مع المنذر لأنه : ((يجزل العطاء للشعراء فينشدونه غازيا وراجعا ، وكان من شعراء ، أحمد بن عبد ربه)) (1) . وتفرغ للمنذ ر حـــتى صار ((من شعراء ،)) (2) . كما يقول ابن الخطيب .

ولقد ذكرنا آنفـــا أننا لانملك أشعارا قالها في الأمير محمد، ولا يختلف الامـــر كثيرا في المنذر، لأن مصدرا واحدا فقط يعود إلى القرن السابع، قد انفرد بذكر بيتين اثنين اختارهما ابن خلكـــان : ((من جملة قصيدة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن :

بالمنـــذر بن محمـــــد شرفت بلا د الأنــــدلـــس
فالطير فيهـــا ساكـــــن والوحـــش فيها قـــد أ نـــس (3)

ج — مع الأمير عبد الله (ولايته 275 — 300 هـ)

تولى الأمير عبد الله مقاليد الحكم في الأندلس بعد المنذر، وابن عبد ربه يقتـــرب

---

(1) البيان المغرب / ابن عذارى ج 2 ص . 120
(2) اعمال الاعلام / ابن الخطيب ص . 23
(3) وفيات الاعيان / ابن خلكان ج 1 ص. 93 . قال بعد البيتين ((قال الوزير المغربي في كتاب أدب الخواص وقد روى أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبي تميم معد المعز لدين الله وساء ، ماتضمنته من الكذب والتمويه إلى أن عارضها شاعره الايادى التونسي بقصيدته التي أولها :
ربـــع لزينب قد رس واعتاض من نطق خـــــــرس))
وهذا الشاعر هو أبو الحسن علي بن محمد الايادى التونســي)) .

يقترب من سن الثلاثين ، ودامت ولاية عبد الله ربع قرن من الزمن . وقبل التعرض للشاعر يحسن التعرف على جانب من جوانب حياة هذا الأمير ذي علاقة قوية بالموضوع ، يقول ابن عذارى عنه : ((كان الامام عبد الله مقتصدا يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع أحواله، وكان حافظا للقرآن)) (1) . ويقول عنه : ((وكانت اللذات مهجورة في أيامه، واللهو غير مقترف من جميع خاصته وعامته وإظهار البر فاشٍ في كل طبقة من رجاله ورعيته))(2) ويقول عنه : ((وكان شاعرا مطبوعا)) (3) .

قد تساعد هذه الأخبار التي أوردها ابن عذارى في تفسير ظاهرة إعراض الشاعر عن الأمير عبد الله ، وقد لا يكون حدث ذلك في أول عهده ، لأن ابن عبد ربه اتصل فعلا بالامير عبد الله، وتحول عنه بعد ذلك . يفيد الخبر الأول عند صاحب البيان المغرب بأن الأمير لم يكن سخيا،لأنه اشتهر بالاقتصاد في الانفاق، حتى على نفسه شأن هشام بن عبد الملك في الأمويين،والمنصور في العباسيين . وتصور الفقرة الثانية الجو الذى كان يسود الحياة العامة في تلك الفترة ، وهو جو أقل ما يقال فيه أنه لا يناسب ميول الشاعر،الذى اضطر أن يعيش طوال ربع قرن من الزمن في وسط غير مناسب لحياة الشعراء . ووصفه في العبارة الثالثة بالشاعر المطبوع وهو أمر قد لا يطمئن إليه ابن عبد ربه لأن الأمير الشاعر في منزلته من فن قول الشعر ، وقد يفسر هذا الخبر ظاهرة جودة أشعار بن عبد ربه في الأمير عبد الله .

يعود الفضل الأول في أخبار هذه الفترة إلى ابن حيان،فهو الذى فصل القول في علاقة

---

(1) البيان المغرب/ ابن عذارى ج 2 ص 152

(2) المصدر السابق ص . 153

(3) المصدر نفسه ص . 154

الشاعر بالأمير، وشفعه بأشعار كثيرة لا توجد في غيره من المصادر ، ولولا ه لما عرفنا شيئا يذكر عن الشاعر في هذه الفتــرة . يقول ابن حيان عنه : ((ثلث بالأ مير عبد الله وقد تنفحت أشعاره وانقادت له بدائع معانيه وغرائب اختراعاته وجاء بالأ دب في صناعتــه)) (1) .

ورد ذكر عبد الله بن محمد في شعر ابن عبد ربه في ثلاث مواضع ، يدعم في الأول رأى ابن حيان في الأ مير ويقول فيه :

خـــلافة عبد الله حج على الـــورى فلا رفث في عصرهــا وفســوق (2)

جاء هذا البيت في القصيدة التي مدح الشاعر بها الأ مير عند توليه الخلافة ، قال ابن حيان مقدما لها : ((ومن أحسن ما امتدح به ابن عبد ربه الأمير عبد الله بن محمد لأول جلوسه في الخلافة قوله في قصيدة له مفضلة أولهــا)) (3) . والموضع الثاني بيت يتيم في المديح ، جاء بعد مقدمة طويلة في النسيب توقف الراوى عنده حين خرج به الشاعر إلى المدح ، يقول فيه :

بدولة عبد الله ذى العز والتقـــى يخبر في أدنـــى مقامته المـــدح (4)

ويقدم هاذان البيتان الدليل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامي في الحياة العامة فانعكس ذلك في أقوال الشاعر الذى يبـــدو كأنه يمدح رجلا زاهدا متعبدا .

أما المناسبة الثالثة، فتتعلق بحادث عزل أحد الكتاب ، ولما استعاد المعزول مكانته

---

(1) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص . 42
(2) المصدر نفسه ص 44 والبيت من المقطوعة 143 في الديوان
(3) المصدر نفسه ص. 42
(4) المصدر نفسه ص. 99 والبيت من المقطوعة 38 في الديوان

عند الأمير،استبشر ابن عبد ربه وقال أبياتا منهـــا :

فأشرقت الآ فـــاق نورا وبهجة   ومدت علينا بالنعيم ظـــلالهـــا

بتجديد عبد الله أعظم دولـــة   لمولاء عبد اللـــه كان أزالهـــا (1)

ويرى ابن حيان في حديثه عن الأ مير عبد الله أ ن ابن عبد ربه كان زعيم الشعراء في عهده ، وكان المتحدث عنهم بين يديه عند ما يتقدمون إليه بأ ماديحهم التي كانت : ((لجودتها بأفواه الرواة سائرة،باسم زعيمهم وسابق حلبتهم، الفحل الخنذيذ ، والصانع المجيد،أبو عمـــر أحمـــد بن عبد ربه)) (2) .

وبا ستثناء ابن حيان،فأن أحدا لم يشـــر إلى هذه العلاقة التي ربطت الشاعر بممدوحه ، إلا عبارة سريعة وردت عند الحميدي في سياق الحديث عن ابن عبد ربه فقال : ((مدح الأ مير محمدا والمنذر وعبد الله والناصر)) (3) . ويلا حظ في هذا المديح اقتصاره على مناسبات محدودة كالتهنئة بالجلوس على كرسي الخلافة،أو بالرجوع من المعركة أو بالانتصار فيـــها ، وهي مواقف سياسية التزم الشاعر بها . أما القصيدة الأولى التي قالها لأول جلوس الأمير على كرسي الخلافة ، فتعد جسا للنبض من طرف الشاعر ، ومحاولة كسب جانب الأ مير الجديد واستعطافه وتأكيد ولائه كذلك ، واستهل مديحه بقوله :

ولي قولة في الناس لا أبتغي بهـــا   من الناس إلا أن يقال صديق (4)

ألا تشكرون الله اذ قام فيكـــم   إمـــام هدى في المكرومات غريـــق

واستمر ابن عبد ربه بعد ذلك في تتبع الأمير وتسجيل غزواته ، منها خروجه إلى الثائـــر

---

(1) اعتاب الكتاب / ابن الابار ص. 173 والبيتان من المقطوعة 191 في الديوان
(2) المقتبس / ابن حيان ج 3 ص. 41
(3) جذوة المقتبس / الحميدي ص . 94
(4) المقتبس / ابن حيان ج 3 ص. 43 .والبيتان من المقطوعة 143 في الديوان

عمر بن حفصون في مدينة ((استيجـــــة)) ففيها يقول : ((أحمد بن محمد بن عبد ربه قصيدة له حسنة أولها

هو الفتـــح منظوما على إثره الفتح   وما فيهما عهد ولا فيهما صلـــــــح (1)

وفي انتصار آخر يعني ((الأمير عبد الله بفتح ((بـــــلاى)) من قصيدة حسنة أولها :

الحـــق أبلــج واضح المنهاج   والبدر يشـــرق في الظلام الداجـــي)) (2)

د — مع عبد الرحمن الناصر (ولايته 300 — 350 هـ)

يقول ابن عذارى ملخصا الوضـــع السياسي الأندلسي لما تولى عبد الرحمن الناصر الخلافة في قرطبة سنة 300 هجرية : ((وولي والأندلس جمرة تحتدم ونار تضطرم شقاقا ونفاقا ، فأخمد نيرانها، وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة ، وكان يشبّه بعبد الرحمن الداخل)) (3) . وسوف نتبين أثر هذا الوضع الذى صوره ابن عذارى أحسن تصوير في شاعرنا ، لأنه عكس بصدق كل ذلك في أشعاره وسجله بأمانة قلـــم المؤرخ تارة، وبرؤية الأديب أخـــــرى .

بلغ ابن عبد ربه من العمر أربعة وخمسين عاما لما تولى الناصر ، معنى ذلك أن الموت أمهله ليعيش مع الأمير الجديد مدة مقدارها ثمانية وعشرون عاما، كثر إنتاجه خلالها ، وأصبح مشدودا أكثر من أى وقت مضى الى الأمير الحاكم ، ويعد ظهور الناصر أهم حدث بـــرز في حياة الشاعر، وأثر فيها من بعد ذلك في عدة جوانب . فعلاقته بالناصر تجاوزت إطار

---

(1) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص 97. والبيت من المقطوعة 38 في الديوان
(2) المصدر السابق ص 100 . والبيت من المقطوعة 31 في الديوان
(3) البيان المغرب/ ابن عذارى ج 2 ص 157

المجاملة والتملق الذى كان عليه في علاقاته السابقة بالبلاط الأموى فأصبح معجبا بالأمير الشاب، متعلقا به . ومرد هذا التحول عند ابن عبد ربه يعود على الأرجح إلى سببين اثنين، إلى تمكنه من أداة العلم، ونضجه، وتجاوزه سن الشباب، فأصبح أكثر رزانة واتزانا من ذى قبل . أما السبب الثاني فيعود إلى كون الشاعر قد وجد ضالته في الناصر، وحصل منه على الحافز الذى فقده في الأمير السابق مدة ربع قرن، فأبدع وأجاد بسبب ذلك . وفي العقد أشعار كثيرة رواها المؤلف لنفسه قالها في الناصر، مع أنه لا أثر فيه لأشعاره في الأمراء الثلاثة الذين سبقوا الناصر . يقول ابن عبد ربه في العقد عن أشعاره في الناصر ما يلي : ((وقد قلت وقيل في غزواته كلها أشعار قد جالت في الأمصار وشردت في البلدان حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت . ولولا أن الناس مكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها)) (1) .

ويصبح الناصر موضوعا لأشعار بن عبد ربه منذ توليه الخلافة سنة 300 هـ . وكان ذلك يوم خميس، فيقول :

بدا الهلال جديدا والملك غض جديد

إلى قوله :

يوم الخميس تبدى لنا الهلال السعيد

فكل يوم خميس يكون للناس عيد (2)

ويعود إلى ذكر الخميس الذى هو يوم البيعة في أشعار أخرى منها هذا البيت،

لما تطلعت في يوم الخميس لنا والناس حولك في عيد بلا عيد (3)

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص . 498

(2) الديوان : 47

(3) الديوان : 68

وفي السنة الثانية من ولايته يهنئه بولادة ابنه الحكم بأشعار منها قوله في هذا المولود :

هـلال نماه المجد واختاره الفخر تلقت به شمس وأنجبه بـدر

إلى قولـه :

هنيئـا إمام المسلمين عطيـة حباك بها رب له الحمد والشكـر (1)

ويبدو ابن عبد ربه راضيا عن قربه من الناصر ، ولا شك أنه استفاد كثيرا من هذه العلاقة وهو ما يفهم من قوله :

يـابن الخلائف إن أيام الغنـى أيامك الغـر التي أغنينـي

بنوالها وسجالها ونمالهـا أسقينني حتى لقد أروينـني (2)

ومدائحه في الناصر كثيرة (3) . ويرى ابن حيان فيه الشاعر المعبر عن هذه الفترة لأنه أدرك ((أيام الخليفة الناصر لدين الله ، ففيها استفرغ القول ... فعلا ذكره واستطار بارق شعره)) (4) . وقد لازمه كما رأينا وتتبع أعماله وحركاته وحروبه منذ صدر ولايته ، فلما رجع الناس الى الطاعة وتركوا الشقاق واستكانوا ، فرح الشاعر واستبشر وهنأ الخليفة بذلك ، ويشير ابن الخطيب إلى هذا بقوله : ((ودخل الناس أفواجا في طاعته ورغبوا في مسالمته وفي ذلك يقول شاعره ابن عبد ربه)) (5) ومن قوله فيها :

مات النفاق وأعطى الكفر ذمته وذلت الخيل إلجاما وإسـراجـا

---

(1) الديوان : 107

(2) الديوان : 225

(3) لنا عودة الى مدائحه في دراسة أغراض شعره

(4) المقتبس / ابن حيان ج 3 ص. 42

(5) اعمال الاعـلام / ابن الخطيب ص . 29

أ دخلت في قبة الأسلام مارقة   أخرجتهم من ديار الشـــرك إخراجـــا (1)

أما أشعاره في حروب الناصر فكثيرة وجيدة وأضاف إليها أرجوزة طويلة خصصها لغزواته .قال ابن عبد ربه في العقد أنـــه نظم الأرجوزة ((في مغازيه كلها من سنـــة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ،وأوقعناها في أسفل كتابنا لتكون جامعة لمغازى أمير المؤمنين وجعلتـها رجزا لخفة الرجز وسهولة حفظها وروايته)) (2) .

يقول في بداية الأرجوزة :

سبحان من لم تحوه أقطـــار   ولم تكن تدركـــه الأبــــصـــار (3)

وبعد مقدمة طويلة ،يقول في شأن أول غزوة غزاها الناصر :

ثم انتحى جيان في غزاتـــه   بعسكر يصمر من حماتـــــــه (4)

وينهي الأرجوزة بقوله :

ثم ثنى الامام من عنانـــــه   وقد شفى الشجيّ من أشجانـــــه (5)

وأمّن القفار من أنجاسهـــا   وطهّر البلاد من أرجاسهـــــا

وقد يقال أن الأرجوزة لا تتوفر على قيمة أدبية ولا فنية معتبرة ،والواقع أنها بالاضافة إلى كونها سجلا تاريخيا حافلا بأحداث وصفها شاهد عيـــان ،فأنها تقدم دليلا قويا على تعلق

---

(1) الديوان : 32

(2) العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص. 500

(3) المصدر نفسه ص 501

(4) المصدر نفسه ص . 503

(5) المصدر نفســه ص. 527

الشاعر بالناصر ووفاته له بتسجيل نشاطه وأعماله في شعر خفيف يسهل حفظه وروايتـــه (1).

(2) مع ابراهيم بن حجـــــــاج (ت 288هـ)

لعل أهم عـــلاقة تلفت النظر لابن عبد ربه مع غير أمراء قرطبة ، هي تلك التي جمعته بأمير اشبيلية، إبراهيم بن حجاج ، الذى خرج عن طاعة الأمير عبد الله، واستقل بمنطقة لا تبعد كثـيرا عن قرطبة ، وبسط نفوذه على نواحيها، في فترة اشتد الخلاف بين عبد الله بن محمد وابن حجاج ، وتأزم إلى درجة تحالف هذا الأخـــير مع الثائر الخطير عمر بن حفصون الذى أقلق المسلمين في الأندلس زمنا طويلا ، واستمرت ثورته إلى عهد الناصر الذى تغلب عليه وأخمد ثورته بعد عناء طويل .

أما المعلومات عن علاقة ابن عبد ربه بصاحب اشبيلية على أيام الامير عبد اللـــــه فهي غير متواترة ، وورد ت بشأنها إشارات قليلة في مصادر محدودة .أهم تلك المعلومات مارواه ابن حيان في المقتبس، وانفرد بالخبر ولم يرد عند غيره من قبل ، وهو أن ابن عبد ربه كان من جملة الشوار في الأندلس ، وقصد ابن حجاج في إشبيلية بهذه الصفة . يقول ابن حيان في سياق حديثه عن ابن حجاج : ((وقد انتجعه شاعرهم الأكبر أبو عمر بن عبد ربه من بين جماعة الشوار في الأندلس فأفضل عليه وعرف حقه ومدحه بأماديح هي بأيدى الناس مشهورة)) (2) . لابد من وقفة عند هذا الخبر لأسباب عديدة :

---

(1) تستحق الأرجوزة وقفة أطول عند البحـــث الخاص بآثار الشاعـــــر

(2) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص 97 . والعبارة نفسها في القـــرن السابع عند ابن الأبار نصها : ((قصده أبو عمر بن عبد ربه من بين شوار الأندلس فأفضل عليه وعرف له حقه ومدحه بأماديح مشهـــــورة)) الحلة السيراء/ ابن الأبار ص 97 .

أولا — لأن الخبر جاء عند ابن حيان وهو قريب جدا من عصر الشاعر ، فكلاهما أدرك القرن الرابع (وفاة ابن عبد ربه سنة 327 هـ وولادة ابن حيان كانت سنة 277 هـ). ولا شك أنه اطلع على الأشعار التي نعتها بالكثرة، وقال أنها بأيدى الناس مشهورة .

ثانيا — اذا استثنينا ابن الأ بار في القرن السابع، فأنه لم يذكر أحد خبر تمرد الشاعر على قرطبة واللجوء إلى ابن حجاج غير ابن حيان .

ثالثا — وصلتنا مقطوعتان (1) في عشرة أ بيات لابن عبد ربه في ابن حجاج ، لاتساعد على إظهار العلاقة التي كانت تربط الشاعر بالممدوح .

رابعا — هناك أخبار عن الأمير عبد الله صاحب قرطبة (2) وابن حجاج أمير إشبيلية تقدم تأويلا قد يفسر سبب أعراضه عن الاول واللجوء إلى الثاني ، فبينما كان الأمير عبد الله معروفا بالاقتصاد في الانفاق حتى على نفسه ، فإن منافسه ابن حجاج في إشبيليا، عرف بالسخاء وحب المدح .. يقول ابن الآبار بشأنه : ((يرتاح للثناء ويعطي الشعراء عدد الأموال)) (3) . وكانت له شبه مملكة في مدينة إشبيلية ((يضاهي الملوك ويقصده الشعراء وتؤمله الأشراف)) (4) . وكانت ((لأحمد بن عبد ربه في إبراهيم بن الحجاج أشعار كثيرة)) (5) . ويبدو أن الذى دفعه الى ذلك حاجة ماسة إلى المال ، تظهرها الأشعار التي وصلتنا في ابن حجاج ، يبدو الممدوح فيها كريما جوادا ، كقوله في القطعة الأولى :

أمن يمن يكون الجود خلوا ... وابراهيم حاتمها الجواد (6)

---

(1) المقطوعة 43 والمقطوعة 166 في الديوان

(2) انظر ص . 16 من هذا الفصل وما بعدها

(3) الحلة السيراء / ابن الأ بار ص. 97

(4) اعمال الاعلام / ابن الخطيب ص. 35

(5) البيان المغرب / ابن عذارى ج 2 ص. 28

(6) الديوان : 43

وفـــــــي الثانية :

ألا إن إبراهيم لجـــــة ساحـــل   من الجود أرست فـــــوق لجة ساحل (1)

خـــــامسا ـ رغم كل مــــا تقدم ذكره فأن سبب تمرد الشاعر على قــرطبة يظل غامضا ،إلا أن يكون الحادث وقع عرضا في مرحلة مبكرة من حياته ،فلم يكن الشاعر قد تجاوز بعد سن الاربعين حين توفي ابن حجاج سنة 288 هـ (2) .

(3) مع القائد أبي العباس(ت 305 هـ)

أن الابيات التي تم جمعها وقيلت في إبراهيم بن الحجاج لم يرد لها ذكـــر أو لبعضها في العقد ،على خلاف أشعاره في أبي العباس القائد،فأنها وردت متفرقـــة في العقد وعدد أبياتهـــا مجتمعة سبعة عشــــر في أربع مقطوعات .

لا تذكر المصادر نوع العلاقة التي ربـــــطت ابن عبد ربه بهذا القائد،الذى ذكره في العقد عدة مـــرات ،على أنه ذكر كان يرد عرضا في كل مـــــــرة ، ويعد القائد أبو العباس من بين الشخصيات الأندلسية القليلة التي ذكرها المؤلف بالاسم في كتابه . ولا تقدم لنا المـــصادر شيئا يذكر عن هذا القائد،إلا معلومات (3) تشيد كلها بشجاعته واعتماد الامير عبد الله عليه في قيادة الجيوش ،ثم من بعده حفيده الناصر .

ويبدو أن علاقة ابن عبد ربه بالقائد كانت وثيقة ، وقد يفهم من بعض أشعاره،أن القائد أبـــا العـــــباس وفر للشاعر بعض المطالب الكبيرة ،يقول عنه في العقد : ((ثم سألته حـــاجـة فيها بعض الغلظ فتلكأ فيها علي فأخذت سحاية فوقعت فيها على البديهة)) (4) .

---

(1) الديوان : 166

(2) البيان المغرب / ابن عذارى ج 2 ص. 129

(3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة القائد .ترجمته في البيان المغرب/ ابن عذارى ج 2 ص . 158.والعبر في خبر من غبر / محمد بن أحمد الذهبي ج 4 ص 141 .

(4) العقد ابن عبد ربه ج 1 ص. 269 .

ويمكن تصور أحداث قصة هذا الطلب من مفهوم سياق حديث ابن عبد ربـــــه في العقد عنها كالتالي : دخل على القائد أبي العباس ، وقال فيه أشعارا في المديح منهـــا قولـــــه :

ملك إذا استقبلت غرة وجهــــه قبض الرجاء اليك روح اليـــــــأس

وجه عليه من الحياء سكينـــــة ومحبة تجرى مع الأنفـــــــــاس (1)

فلما أتم إنشاده طلب منه حاجة لم يفصح عنها في العقد، وأنما نعتها بقولـــه : ((فيها بعض الغلظ)) ويبدو أن القائد استصعب الطلب ، فلما شعر ابن عبد ربه برد فعـــل أبي العباس ، حضرته أبيات في الحين فأخذ ورقة من بين يدي القائد فوقع فيهـــا ما حضره من أشعار على البديهة جاء منها :

ما ضر عندك حاجتي ما ضرهـــا عذرا إذا أعطيت نفسك قدرهـــــا

وينهيها بقولـــه :

لا يجتني حلو المحامد ماجـــــد حتى يذوق من المطالـــب مـــــرهـا (2) .

أثرت هذه الأبيات في القائد واستجاب للطلب وقال ابن عبد ربه بعدها : ((فقضى الحاجة وسارع إليهـــا)) (3) . فاقتراب الشاعر من أبي العباس على ما يبدو كان من أجل قضاء المصالح والأستفادة منه ، نظرا لمكانته كقائـــد يتمتع بنفوذ قـــــوي في قرطبة . وتتيح لنا بعض الأشعار التي قالها فيه تأكيد هذا الرأى، لأن الأوصاف البارزة فيها هي أوصاف الكرم والجود كقوله :

---

(1) الديوان : 111

(2) الديوان ، 102

(3) العقد / ابن عبد ربه ج 1 ص ، 269

رأينا السيف مرتديا بسيف   وهاينا الجواد على الجـــواد (1)

وقوله :

حـاشا لجودك أن يهز حاجتي   ثقتي بجودك سهلت لي وعرهـا (2)

أو قوله :

الله جرد للندى والبـــاس   سيفا فقلده أبـا العبــاس (3)

وفي أرجوزته التاريخية يورد قصة استشهاده في ميدان المعركة ، ويؤرخ في حوادث سنة خمس وثلاثمائة بقوله :

وكان في آخر هذا العـــام   نكب أبي العبـاس بالأســلام (4)

ثم يرسم لنا مشهدا حيا لمصرعه في قوله :

حتى إذا أوغل في العـــدو   فكان بين البعد والدنـــو

أسلمه أهل القلوب القاسيــة   وأفردوه للكـلاب العاويـــة

فاستشهد القائد في أبرار   قد وهبوا نفوسهـم للبـارى

في غير تأخير ولا فـــرار   إلا شديد الضرب للكفـار

(4) مع الزجـالي (ت 302 هـ)

لا شك أن لابن عبد ربه علاقة بالوزير الكاتب عبد الله بن محمد الزجـالي، مع أنـه

---

(1) الديوان : 51
(2) الديوان : 102
(3) الديوان : 111
(4) العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص . 507

يصعب أن نتبين حقيقة ذلك لأن شعره فيه قليل، وهو مجموع سبعة عشرة بيتا في قطعتين ، وردت كلها في مناسبة واحدة انفرد ابن الآبار بذكرها، وبرواية الأشعار التي قيلت فيها ، حين رجع الوزير الكاتب الزجالي (1) إلى منصبه وكان قد أبعد ، الأمير عبد الله (2) ، وفرح ابن عبد ربه بالخبر، ومما جاء في القطعة الأولى قوله :

ما فرح الناس مثل فرحتهم لما أقيل الأديب واستوزر

وابتهج الملك حين دبره عين الأمام التي بها يبصر (3) .

ويفرح برجوعه إلى منصبه كذلك في القطعة الثانية ، ويمدحه بالجود ومن قوله فيها :

عشية يوم السبت جاءت بنعمة من الله لا يرجو العدو زوالها

بها جبر الله الكسير من العلى وأدرك منه عثرة فأقالها

إلى أن يقول :

فتى نشأت من كفه ديم الندى فظلت سجال الرزق تجرى خلالها

ترى الجود يجرى من فرند يمينه كصفحة هندى أرتك صقالها (4) .

ويحق لنا أن نتساءل عن صلة الشاعر بالوزير ، فهو لا يشير في العقد إلى ذلك ولا يروى لنفسه

---

(1) عبد الله بن محمد الزجالي كان كاتبا على أيام الأمير عبد الله ، أخبار ، في تاريخ افتتاح الأندلس لابن القطية ص. 104 والمقتبس لابن حيان ج 3 ص. 6 وفي اعتاب الكتاب لابن الآبار ص. 172 - 174 وفي المدونة ص. 47 .

(2) قال ابن الأبار : كان الامير عبد الله بن محمد قد عزل عبد الله بن محمد الزجالي عن خطتي الوزارة والكتابة لموجدة وجدها عليه . . . الخ اعتاب الكتاب / ابن الابار ص. 172

(3) الديوان : 108

(4) الديوان : 191 .

شعرا يتصل بهذه الحادثة على نقيض الأخبار الخاصة بعلاقته بأبي العباس القائد وقد سبق ذكرها . ونستطيع القول أن هذه الأشعار في الوزير الكاتب هي من أشعاره النادرة في مديح أشخاص لا ينتمون إلى بيت بني مروان، وقد يكون توجهه إلى الوزير سببه إعراض الأمير عبد الله عنه، كما سبقت الاشارة إليه آنفا ، لذلك كانت فرحته كبيرة لما استرجع منصبه ، ونلمس في هذه الحادثة اهتمام الشاعر بالسياسة وانعكاسها في شعره ، ويظل التساؤل مطروحا عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين الشاعر والزجالي، الذى توفي في العقد الأول من القرن الرابع قبل ابن عبد ربه بقليل .

(5) مع شعراء عصره

سبقت الأشارة عند تناول علاقة ابن عبد ربه بالأمير عبد الله الى منزلة الشاعر، وكونه كان يرأس وفود الشعراء ويتحدث عنهم بين يديه عندما يتقدمون بالمدائح التي كانت ((لجودتها بأفواه الرواة السائرة ... بأسم زعيمهم وسابق حلبتهم الفحل الخنذيذ والصانع المجيد أبو عمر أحمد بن عبد ربه)) (1) .فمن هم هؤلاء الشعراء الذين كان يتحدث باسمهم ويتقدمهم في مجالس الأدب والشعر ؟ نلجأ مرة أخرى إلى شعره نستقرئه ، ولكنه لا يعطينا سوى ثلاثة أسماء هي : ابن أبي عبدة ، والقلفاط، وسعيد الطبيب .

أ - محمد بن عبيد الله بن أبي عبدة

ترجم له الحميدي فقال : ((أديب شاعر من بيت أدب ورياسة)) وذكر له

---

(1) المقتبس / ابن حيان ج 3 ص. 41

بيتين إلى ابن عبد ربـــه قال فيهمـــا :

أعد ها في تصابيها جـــزاعـــا   فقد فضت خواتمهـــا نـــزاعـــا

قلوب يستخف بها التصابـــي   إذا سكبت لها طارت شعاعـــا (1)

وهي دعوة د ون شك لمجلس شراب ولهو ، وجد ت عند الشاعر قبولا واستحسانا فأجابـــه بأبيات منهـــا :

حقيق أن يصاخ لك استماعـــا   وأن يعصى العذ ول وأن تطاعـــا (2)

ولا نعرف شيئا عن علاقة ابن عبد ربـــه بالشاعر محمد بن عبيد اللـــه الذي كـــان أيضا من رجال السياسة وكان أخـــوه جهور (3) . وزيرا للناصـــر إلا اشارة واحـــد ة في بيت ينعته بالصد يـــق :

متى يمش الصد يق إلي فتـــرا   مشيت إليه من كـــرم ذراعـــا (4) .

ب ـ محمد بن يحي القلفـــاط (5) (ت 302 هـ)

أتاحت لنا مشادة الشاعر مع القلفاط التعرف عليـــه ، ذكره ابن عـــذارى فيمن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ، قال عنه : ((محمـــد بن يحي النحوى المعروف بالقلفاط .. وكان من العلماء الحفاظ والشعراء الفصحاء، وكان هجاءا للناس، سبابة للأشراف كثير البذاء

---

(1) جذ وة المقتبس / الحميدى ص. 62

(2) الديوان : 138

(3) في الحلة السيراء / لابن الأبارج 1 ص . 252

(4) الديوا ن : 138

(5) ترجمته في طبقة النحويين واللغويين ص. 30 وجذ وة المقتبس ص91 وبغية الملتمس ص. 134 والمغرب في حلي المغرب ص. 111 وأنباء الرواة ج 3 ص. 231 .

والسفـــــــــه في شعره)) (1) . ولعل في هذا الخبر عن القلفاط تبرير لسبب فساد علاقته بابن عبد ربه ، وتذكر مصادر كثيرة قصتهما والعداء الـــذى كان بينهما (2).

---

(1) البيان المغرب / ابن عذارى ج 2 ص . 167

(2) المقتبس / ابن حيان ج 3 ص 42 قال : ((وذكر بعض الأدباء أن ابن عبد ربـــه والقلفاط اجتمعا عند بعض الوزراء أيام تفاسدا وتهاجيا فقال الوزير للقلفاط ، كيف حالك اليوم يا أبا عبد الله مع أبي عمر فقال القلفاط بديهة :

حـال طلاس لي عن رائـــه وكنت في قعدد أبنائـــــــــــه

فأتى لابن عبد ربه أن أجابه مسرعا فقال :

إن كنت في قعدد أبنائـــه فقد سقى أمك من مائـــــــــه

فقطعة ابن عبد ربـــه.وعجب الوزير من قوة بديهته وقـــال : غنيمة الكلام بعد سلامة الجـــواب .)) وفي نفح الطيب للمقرى ج 3 ص . 294 ـ 295 قال :

((ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمـــــد يحي القلفاط الشاعر ففسد ما بينهمـا بسبب أن ابن عبـــد ربه صاحب العقد مـــر بـــه يومـــا وكـــان في مشيه اضطراب فقال يا أبـــا عمـــر، ما علمـــت أنـــك آدر إلا اليـــوم لما رأيـــت مشيـــك، فقال له ابـــن عبد ربـــه : كـــذبتك عرســـك أبا محمـــد ، فعـــز علـــى القلفاط كـــلامـــه ، وقال لـــه : أتتعـــرض للحـــرم ؟ والله لأرينك كيـــف الهجـــاء ، ثـــم صنع فيـــه قصيـــدة أولـــها :

ياعرس أحمـــد إني مزمـــع سفـــرا فودعيني سرا من أبي عمــــــرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكـــان القلفاط يلقبـــه بطـــلاس ، لأنـــه كان أطلـــس ويسمـــي كتابه العقد حـــبل الثـــوم . فالتفـــق اجتماعهمـــا يـــومـــا عند بـــعض الـــوزراء ... الـــخ القـــصـــة كما وردت عنـــد ابن حيـــان .

فعلى لسان القلفاط عرفنا بعض صفات الشاعر الخَلقية التي كان يعيره بها
((ويسمي كتاب العقد حبل الثوم)) (1) .

ج - مع سعيد الطبيب (ت نحو 340 هـ) (2)

هو ابن أخي الشاعر، وتورد لهم المصادر أيضا مشادة وقعت بين العم وابن أخيه ،
وعنه وعن علاقته بعمه يقول ابن سعيد : ((كان آية في فنون العلم القديم
لكنه ثقيل الطلعة، سيء الأدب والمقابلة ، ولذلك كان عمه أبو عمر يكرهه ،
وذكر أن الناصر المرواني استحضره لينظر عليه في العلم، فقابله من الكلام العام الجلف
بما كرهه من أجله وأبعده)) (3) . ويذكر صاعد في طبقات الأمم تنافرهما
وتبادلهما الهجاء ((وذلك أن سعيدا فصد يوما وبعث إلى عمه أحمد بن محمد بن عبد
ربه الشاعر الأديب راغبا في أن يجوز عنده مؤنسا فلم يجبه عمه إلى ذلك فكتب اليه :

لما عدمت مؤنسا وجليسا ... نادمت بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي ... وهما الشفاء لكل جرح يوسا
ووجدت علمهما إذا حصلته ... يذكي ويحي للجسوم نفوسا (4) .

فلما وصلت الأبيات إلى عمه أجابه بأبيات منها :

---

(1) نفح الطيب / المقري ج 3 ص . 294 . هذه قرينة تاريخية قد تساعد على تحديد زمن تأليف العقد ،إذا علمنا أن القلفاط توفي سنة 302 هـ
(2) ترجمة سعيد الطبيب في : طبقات الامم / صاعد ص. 79. وعيون الأنباء/ ابن أبي أصيبعة ص . 490 وفي الاعلام / الزركلي ج 3 ص. 150 .
(3) المغرب في حلي المغرب/ ابن سعيد ج 1 ص . 121 .
(4) طبقات الأمم صاعد ص. 79 وعيون الأنباء / ابن أبي أصيبعة ص. 490 .

ألفيت بقراطا وجالينوسا لا يأكلان ويرزآن جليسا
فجعلتهم دون الأقارب جنة ورضيت منهما صاحبا وأنيسا
وأظن بخلك لا يرى لك تاركا حتى تنادم بعدهم إبليسا (1)

(6) مع صاحب القبلة (ت 295 هـ)

هو مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة ، قال عنه ابن الفرضي : ((كان عالما بالحساب والنجوم، كان مولعا بالتشريق في قبلته ، مفتونا بذلك، فلذلك كان يقال له صاحب القبلة)(2) ورد شعر ابن عبد ربه في صاحب القبلة عند ابن الفرضي، وعند صاعد الاندلسي في قطعة واحدة، هي نفسها في المصدرين ، في أحد عشرة بيتا، ينكر فيها على العالم التنبؤ والعمل بالنجوم والحساب ، وينكر فيها أيضا كروية الأرض ويعلن في نهاية القطعة كفره بهذا العلم ويقول في بدايتها :

وقلت أن جميع الخلق في فلك بهم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والأرض كورية حف السماء بها فوقا وتحتا وصارت نقطة مثلا

وينهيها بقوله :

أبلغ معاوية المصغي لقولهما اني كفرت بما قالا وما فعلا (3)

(7) هداياه وتهانيه ومواساته

وردت اشعار كثيرة في العقد لابن عبد ربه تعكس جانبا آخر من علاقته بالناس وتفاعله

---

(1) الديوان : 113
(2) تاريخ علماء الاندلس / ابن الفرضي ج 2 ص . 126، وطبقات الامم / صاعد ص 64
(3) الديوان : 190

مع حياتهم اليومية وما يطرأ فيها من أحداث ، كالأهداء والمواساة والتهنئة ، غير أننا لا نعرف فيمن قيلت . فمن الاهداء قوله، وقد أهدى عنبا وكتب معه البيتين التاليين :

أهديت بيضا وسودا في تلونها ... كأنها من بنات الروم والحبش
عذراء تؤكل أحيانا وتشرب أحيانا ... فتمصم من جوع ومن عطش (1)

وكتب مع طبق ورد أهداه :

رياحين أهديها لريحانة المجد ... جنتها يد التخجيل من حمرة الخد
وورد به حييت غرة ماجد ... شمائله أذكى نسيما من الورد
ووشي ربيع مشرق اللون ناضر ... يلوح عليه ثوب وشي من الحمد
بعثت بها زهراء من فوق زهرة ... كتركيب معشوقين خد على خد (2)

وكتب مع حوتين أهداهما :

أهديت أزرق مقرونا بزرقاء ... كالماء لم يغذها شيء سوى الماء
ذكاتها الأخذ ماتنفك طاهرة ... بالبر والبحر أمواتا كأحياء (3)

يصور هذا الأهداء وطريقته والمادة المهداة، وكتابة الأشعار مع كل هدية جانبا من تقاليد الحياة الاجتماعية في قرطبة على أيام ابن عبد ربه .

ومن شعره في التهنئة بمولود قوله :

هلال نماه المجد واختاره الفخر ... تلقت به شمس وأنجبه بدر
على وجهه سيما المكارم والعلا ... فضاءت به الآمال وابتهج الشعر

---

(1) الديوان : 117
(2) الديوان : 54
(3) الديوان : 2

الى أن يقـــول :

هنيئا إمام المسلمين عطيـــة   حباك بها رب لـــه الحمد والشكـــر (1) .

وفي المواساة ومحاولة التخفيف على المريض يقـــول :

لا غـــرو ان نال منك السقم والضرر   قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمـــر

ويضيـــف :

أن يمس جسمك موعوكا بصاليـــة   فهكذا يوعك الضرغامة الهصـــــر (2)

وفي مناسبة أخـــــرى مشابهة يواسي مريضا بقطعة منها قولـــه :

ماأنت وحدك مكسوا شحوب ضنى   بل كلـــنا بك من مضنى ومشحـــوب

ألقى عليك يدا للضر كاشفـــة   كشاف ضـــر نبي الله أيـــــوب (3)

(8) علاقته بأشخاص لم يفصح عن هويتهـــم

إذا كانت الفقرة السابقة قد أظهرت الجانب الايجابي من علاقات الشاعر بالناس ، ففي هذه الفقرة نستعرض جانبها السلبـــي في علاقته معهـــم ، لنـــرا ه معاتبـــا ومنـــكرا عليهم، حين قصروا في حقـــه وتقاعســـوا ، فلم يستجيبوا لمطالبـــه .

مثال ذلك رجل خلف الوعد ولكنه لم يرد الا فصاح عن اسمـــه ، مع أنـــه ترددت الاشارة إليه في ثلاث مقطوعات وردت في العقد مضمونها واحـــــد ، وهي تفيد الأنكار على الرجـــل مماطلته وأخلافه وعده الذى قطعه على نفسه قال : ((ومن قولنا في رجل كتب إلي بعـــدة

---

(1) الديـــــوان : 80
(2) الديـــــوان : 107
(3) الديوان : 14

في صحيفة ومطلنــي بها :

صحيفة طابعها اللـــــــؤم عنوانها بالبخـــل مخـــتوم (1)

وفي الرجل نفسه وصحيفته يقـــول في مقطوعة منها :

صحيفة كتبت ليت بها وعـــسى عنوانها راحة الراجـــي إذا يئسا (2)

ومن القطعة الثالثة قوله في هذا الرجـــل :

رجاء دون أقربه السحـــــــاب ووعد مثل ما لمع الســـــــراب (3)

وحين توسط ابن عبد ربه لاطلاق سجين عند أحد الموالـــي، قوبلت الوساطة بالرفـــض. ويبدو أن الشاعر كان قد مدح المولى من قبـــل لهذا الغرض، فلما لم يستجب لطلبـــه عاتبه بأشعار منها :

حاشا لمثلك أن يفك أسيـــرا أو أن يكون من الزمـــان مجيـــــرا

ويضيـف :

هـلا عطفت برحمة لما دعـــت ويلا عليك مدائحي وثبـــــــورا (4)

ويتصدى لشخص آخر باللوم والعتاب لأنه استعمل ببابـــه حارسا ، فانتقد تصرفه بشـــدة في أشعار هـــي :

ما بال بابك محروسا ببـــواب يحميه من طارق يأتـــي ومنتـــاب

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج 1 ص. 252. والبيت من المقطوعة 205 في الديـــوان

(2) الـــديوان : 110

(3) الديـــوان : 8

(4) الديـــوان : 88

لا يحتجب وجهك الممقــوت عن أحد　　　　فالمقت يحجبه من غير حجـــــــــاب

فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبـــــه　　　　فأن وجهك طلســم على البـــــــاب (1)

وتظهر هذه الاشعـــــار بوضوح قوة العتاب عنده وشدة غضبـه ازاء المتخاذليــــــن .

(1) الديـــــوان : 17

الفصل الثالث

ثقافته وشخصيته وأخلاقه

أولا — ابن عبد ربه كما صوره العلماء

ثانيا — تكوينه العلمي

ثالثا — شخصيته وأخلاقه :

أ — عزة نفسه

ب — تشاؤمه

ج — حبه المال والدنيا

د — ميله للهو والغناء

رابعا — تدينه :

أ — ممحصاته

ب — موقفه من الخمر

ج — حنين الى الماضي

د — هجاؤه للآخرين

هـ — التفكير في اليوم الآخر

و — الابتهال وذكر الموت

أولا — ابن عبد ربه كما صوره العلماء

تتيح لنا دراسة ابن عبد ربه من هذه الزاوية وضعه في مكانته الصحيحة ، فقد أثر كتاب العقد سلبا على المؤلف نفسه وجرت العادة عند التعريف به من طرف المتأخرين الاكتفاء في نعته بالقول : ((صاحب العقد)) نسبة إلى الأثر الوحيد الذى حفظه الزمن للأديب . أما الجوانب الأخرى وخاصة شعره ، فلم يعد يذكر منها شيء . وسوف نناقش هذه الظاهرة لنرى كيف جنى عليه ضياع شعره الذى لم يكتب له الحفظ ، ليصبح بعيدا عن ميدان الشعر بسبب ذلك في نظر المتأخرين ، بعد أن كان في عصره شاعر الأندلس بدون منازع .

الواقع ان العناية التي حضي بها العقد ، هي عناية أيضا غير مباشرة بجزء كبير من شعره الذى أثبته لنفسه فيه . ولا بد من القول بأن المصادر القديمة وحدها كفيلة بتغيير هذه الصورة ، لذلك ينبغي الرجوع إليها واعتمادها . وغني عن التأكيد بأن ابن عبد ربه لم يكن صاحب العقد فحسب ، وإنما كان شاعرا في المقام الأول ، فهو ((شاعر الأندلس وأديبها)) (1) كما قال ابن الفرضي في القرن الرابع . والى جانب هذا ((كان لابي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة)) (2) كما قال الحميدى عنه في القرن الخامس .

---

(1) تاريخ علماء الاندلس/ ابن الفرضي ج 1 ص. 38 . وفي الجزء الثاني ص. 187 يترجم ليحي بن محمد بن عبد ربه فيقول عنه : ((من أهل قرطبة أخو الشاعر)) يقصد بالشاعر ، ابن عبد ربه

(2) جذوة المقتبس/ الحميدى ص. 94

هذه هي حقيقة أدبينا كما صورها العالمان وهما القريبان من عهده ، فبالاضافة إلى كونه شاعر الاندلس،فهو عالم جليل وأديب مشهور . يؤكد الحميدى هذه الظاهرة في موضع آخر بتعبير موجز جامع ، فهو عنده : ((من أهل العلم والادب والشعر)) (1) .

وسوف نرى كيف تناقل هذه الصورة من جاء بعدهما بكل أمانة ما عدا بعض الاختلافات لا تمس جوهر الموضوع،وذلك الى غاية القرن السابع ، كما جاء عند ابن خاقان في القرن السادس ، فابن عبد ربه عنده : ((الفقيه العالم أبو عمر عالم ساد بالعلم ورأس ، واقتبس من الحظوة ما اقتبس ، وشهر بالاندلس حتى صار إلى المشرق ذكره)) (2) . وقبل أن نغادر القرن السادس نشير إلى معاصر لابن خاقان ، هو الضبي الذى نقل قول الحميدى السابق بنصه ونسبه إليه (3) . وتتنقل الصورة عبر العصور وتظهر عند ابن سعيد في القرن السابع في ثوب آخر تجدر الاشارة إليها هنا ،لان ابن سعيد أضاف صيغة جديدة ركز فيها على شاعرية ابن عبد ربه في مصدرين مختلفين جاء في الأول : ((هو قدوة شعراء الاندلس وأدبائها)) (4) ، وفي الثاني : ((أمام أهل أدبها بالاندلس ومصنفيها وفرسان شعرائها)) (5) . يعد هذا التركيز من طرف ابن سعيد في هذا العصر غاية في الأهمية

---

(1) المصدر السابق نفسه

(2) مطمح الأنفس/ ابن خاقان ص. 58

(3) بغية الملتمس/ الضبي ص. 137

(4) رايات المبرزين / ابن سعيد ص. 47

(5) عنوان المرقصات والمطربات / ابن سعيد ص. 12

بالنسبة لهذا الموضوع ، مفاده أن ابن عبد ربه لا يزال محتفظا بمكانته بين شعراء الاندلس الى غاية القرن السابع ، وليس هذا فحسب بل هو قد وتهم ورئيسهم .

ولعل هذا البحث يتمكن من وضع الأمور في نصابها بأقامة الدليل على صحة ما ذهب إليه علماء ما قبل القرن السابع ، وبواسطة أخبارهم نستطيع استرجاع الصورة الأصلية للأديب ، لأنه قد أتيح لهم دون شك الأطلاع على شعر وافر لابن عبد ربه ،لم يكتب له الحفظ وضاع جله ، ولعل هذا الضياع قد حدث في حدود المائة السابعة ، فابتداء من هذا القرن بدأت صورة ابن عبد ربه الشاعر تتغير وتفقد عناصرها الحقيقية . وشرع يفقد شيئا فشيئا مكانته بين الشعراء ليصنف مع العلماء والمخبرين . ويكمن سبب ذلك على ما يبدو في إختفاء شعره وضياعه ابتداء من هذه (1)

---

(1) لا يعرف القدر الذى ضاع من هذه الأشعار على أنه توجد قرائن كثيرة تدل على أن الذى أمكن جمعه لا يعد شيئا بالنسبة لما ضاع منه،وهذه بعض تلك القرائن :

أ ـ يذكر الشاعر بصريح العبارة أن أشعاره في الناصر كثيرة أغناء انتشارها بين الناس عن إعادة ذكرها في العقد ، يقول في معرض حديثه عن الناصر في العقد ج 4 ص . 498 ((وقد قلت وقيل في غزواته كلها أشعار قد جالت في الأمصار وشردت في البلدان حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت ولولا أن الناس مكتفون بما في أيديهم لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها))

ب ـ شهادة الحميدى التي نصها : ((وشعره كثير مجموع رأيت منه نيفا وعشرين جزءا من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر وفي بعضها بخطه .)) جذوة المقتبس ص. 94 .

السفترة ، ومن أجل تأكيد ذلك نتابع استقصاء الآراء حسب تسلسلها التاريخي .

ج - تواتر خبر أشعاره التي أسماها بالممحصات حيث عارض بها كل شعره الذي قاله في الغزل - وهو أكثر شعره - يقول الحميدي في جذوة المقتبس ص . 95 :
((ولأحمد بن محمد بن عبد ربه أشعار كثيرة جدا سماها الممحصات وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محصها بها كالتوبة منها والندم عليها)). ولم يصلنا من هذا الشعر سوى مقطوعة واحدة في سبعة أبيات (المقطوعة 90 في الديوان)

د - يقول ابن حيان في المقتبس ج 3 ص 97 عن ابن عبد ربه واتصاله بإبراهيم ابن حجاج صاحب إشبيلية : ((مدحه بأماديح كثيرة هي في أيدي الناس مشهورة)) وصلتنا من هذه الكثرة قطعتان مجموع أبياتها عشرة .

هـ - تتوفر عدة أدلة تثبت وجود مدائح كثيرة للشاعر في المنذر ، كقول ابن الأبار في حلة السيراء ص. 90 : ((وفي أيامه نجم أبو عمر بن عبد ربه)) أو قول ابن عذارى في سياق كلامه عن الأمير المنذر في البيان المغرب ج 2 ص . 120 : ((كان يجزل العطاء للشعراء فينشد ونه غازيا وراجعا وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربه)) وفي الديوان كله بيتان فقط في المنذر انفرد ابن خلكان في القرن السابع بروايتها في وفيات الأعيان ج 1 ص . 93 .

و - ولم تصلنا مدائحه في أبيه الأمير محمد من قبله، ويؤكد ابن حيان وجودها في قوله : ((وقد مدح أباه الأمير محمد أول ما مدح من الخلفاء)) . المقتبس ج 3 ص . 41 .

ففي القرن السابع نجد ابن خلكان يعده : ((من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس)) (1) بينما يضعه ابن حزم : ((في رؤساء علم الادب)) (2) . وهذه أشارة من ابن خلكان وابن حزم الى كتابه العقد على ما يبدو ، وهي أول مرة يقع فيها تغليب الجانب الاخباري والأدبي عند ابن عبد ربه على الجانب الشعر من طرف الذين ترجموله منذ عهد ابن الفرضي في القرن الرابع ، وسنلاحظ الشيء نفسه في التراجم اللاحقة . ففي القرن الثامن يقول الذهبي عنه : ((الأديب الاخباري العلامة)) (3) . أما معاصره ابن كثير فيعد ابن عبد ربه : ((من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والاخرين)) (4) . واذا تجاوزنا هذا القرن الى التاسع وجعلناه خاتمة المطاف ، لأن المقري في القرن الحادي عشر لا يضيف جديدا وانما يأخذ مرة عن ابن خاقان ، واخرى عن ابن حزم (5) . ففي القرن التاسع يعده السيوطي : ((عالم الأندلس بالأخبار والأشعار وأديبها وشاعرها)) (6) .

وما يمكن استخلاصه من كل هذا ، هو ضرورة تغيير تلك الصورة المشوهة عن ابن عبد ربه عند المتأخرين بالرجوع إلى آراء الذين عاصروه أو اقتربوا من عهده واعتماد رأيهم من أجل الوصول إلى رسم صورة جديدة لابن عبد ربه " الشاعر " تكون دون ريب أقرب الى الحقيقة .

---

(1) وفيات الاعيان / ابن خلكان ج 1 ص. 92
(2) فضائل الأندلس وأهلها / ابن حزم ص. 34
(3) العبر / الذهبي ج 2 ص . 211
(4) البداية والنهاية / ابن كثير ج 11 ص. 193
(5) نفح الطيب / المقري ج 3 . ص 193 (عن ابن حزم) و ج 7 ص 49 (عن ابن خاقان)
(6) بغية الوعاة / السيوطي ج 1 ص. 371

ثانيـــا ـ تكوينه العلمـــــــي

يحسن بنا بادئ ذى بدء الـــرجوع الى ما قـــرره المؤرخون وعلماء التراجـم الأوائل ، من أجـــل تكوين فـــكرة صحيحة عن ابن عبد ربــــه،من خلال نظرتهـــم اليه ، ولعل أحسن خدمة في هذا المجال تلك التي قدمها لنا الحميدى،وقد تكـــون فريدة في مضمونهـــا، وهي تعطي جوابا عن تساؤلات عديدة في هذا البـــاب ، فهو يقـــرر أنه اتفقت لابن عبد ربه : ((أيام وولا يـــات للعلم فيها نفـــاق ، فساد بعد خمـــول ، وأثـــرى بعد فقـــر وأشير اليه بالتفضـــيل إلا أنه غلب الشعر عليـــه)) (1) . وحين نطمئـــن إلى قول الحميدى فأننا لن نعجـــب كثيرا حين يصدمنا الغموض الذى يكتنف الأخبار عن ابن عبد ربـــه في بداية حياته ، لسبب واحـــــد هو : النشأة في الفقر وخمول الذكـر . فمن حقـــه انّ ننسب إليه أسباب الشهرة التي نالهـــا ، مجـــردة من أى عامل آخـــر خارجي، لأ ن ذلك كان من صنعه هو وحـــده ، فلم يثبت انتسابه إلى بيت متميـــز في مجتمع قرطبـــة ، بل تفيد المصادر عند ذكر جـــده الرابع سالم بأنه كان مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخـــل ، وينفي هذا احتمال انتساب الشـــاعر إلى بيت من بيوت الشرف في عصره ، وهذا سر بروز نجمـــه متأخرا بعد أن تمكن من أداة العلم وأصبح مقصد العلمـــاء في قرطبـــة حتى : ((كتب الناس عنه تصنيفه وشعـــره)) (2) . ويـؤكد هذا الرأى ما ذهب إليه ابن خاقـــان، على أن الامر عنده يختلف قليلا ، فهو كثير السجع يعتني بالصياغة اللفظية على حساب

---

(1) جذوة المقتبس/ الحميدى ص. 94. وبغية الملتمس/ الضبي ص. 137

(2) تاريخ علماء الاندلس/ ابن الفرضي ج 1 ص. 38 .

المضمون،فيصعب على المتتبع أقـــوالــــه بسبب ذلك استخلاص الـــحقيقة التي طغت عليها الصناعة في القول . مثال هذا ما أورده في سياق حديثه عن ابن عبد ربـــه حين يقول : ((وكانت له عناية بالعلم وثقة،وروايـــة متسقـــة،أما الأدب فهـــو كانت حجته وبه غمرت الأفهـــام لجتــــه)) (1) . فابن عبد ربه عند ابن خاقان هو الحجة والراوية . على أن الأمر لا يختلف كثيرا عند غيره من المؤرخيـــن الذين أكـــدوا في مجمل رواياتهـــم هذا المعنـــى .

يطرح ســـؤال نفسه هنا فيما يتعلق بطلبه العلم إن كانت له رحلة إلى المشرق على غرار ما جـــرت به عادة طلاب العلم في ذلك العهد ،إلا أنـــه يكاد يكون من المـــرجح أن ابن عبد ربه لـــم يخرج من الأندلس طلبا للعلم ،أو لم يمكن التأكـــد من ذلك على أقل تقدير ،فلم ترد إشارة منه ولا من الذين ترجموا له إلى خروجه طلبا للعلم وهذا من الأمور المستغربة في حياة ابن عبد ربه (2) ، اذا أخذنا في الأعتبار مدى اهتمام الأديب بأخبار المشرق وتوسعه فيها حتى شغـــله ذلك عن أدب بلاده وروايتــــه . وقد يكون هذا دليلا قويا على توفر وسائل التعليم والتحصيل فـــي الأندلـــس حتى أصبحت قرطبة تغني طلاب العلم عن التوجه إلى المشرق ،لأن الحركة الفكرية أخذت تزدهـــر

---

(1) مطمح الانفس/ ابن خاقان ص . 58

(2) كان منتظرا أن ترد الاشارة إلى رحلة له إلى المشرق لو وقعت عند ابن الفرضـــي، لعدة أسباب منهـــا ، اهتمامه الكبير بعلماء الاندلـــس ولكونه قريبا جـــدا من عهد الشاعر وكان من عادته كذلك ذكر رحلات العلماء في كل مرة ثبت عنـــده الخبر ،يذكر حينا الرحلة إلى المشرق دون تحديد وأحيانا كثيرة ترد الرحلـــة مفصلة بكل المراحل التي مر بها العالم خلال تنقلاته ويذكر أحيانا أعماله أثناء تلـــك الرحـــلة . ولم يرد شيء من هذا في خبر ابن عبد ربه عنده في كتابه تاريخ علماء الأندلـــس .

في هذا العهد . فمن أولاء الذين أخذ الشاعر عنهم علمه ، وكانوا مصدر إلهامه ؟
يجيب ابن الفرضي عن هذا السؤال قائلا : ((سمع من بقي ابن مخلد، وابن وضاح ، والخشني)) (1) . تواتر ذكر هؤلاء الثلاثة في أكثر المصادر التي ترجمت لابن عبد ربه وذكرت شيوخه ، من هؤلاء الذهبي في القرن الثامن على أنه لا يذكر "" الخشني "" ويتبعه ابن العماد في القرن الحادى عشر (2) . أما صاحب "" العبر "" فيقول :((سمع من بقي ابن مخلد ومحمد بن وضاح)) (3) بينما ينقل السيوطي (4) . عن ابن الفرضي روايته ولا يضيف شيئا . ومن غير المحتمل أن يكون سماع ابن عبد ربه قد اقتصر على الشيوخ الثلاثة المذكورين ، ولكن التساؤل يظل مطروحا لأننا لا نملك أخبارا مفصلة في هذا المجال . وتحسن الاشارة هنا إلى أن ابن عبد ربه نفسه أغفل هذا الجانب ولم يحدثنا في كتابه عن هؤلاء الذين لقنوه العلم ولا زمهم في مطلع حياته ، ولعله قد فعل ذلك في تصنيف آخر لم يكتب له الوصول إلينا .

---

(1) تاريخ علماء الاندلس/ ابن الفرضي ج 1 ص 38
توفي بقي بن مخلد سنة 276 هـ وكان محدثا قال عنه ابن الفرضي : ثم تلاه ابن وضاح فصارت الأندلس دار حديث (ج 1 ص 92) .
توفي محمد بن وضاح سنة 287 هـ. ترجم له ابن الفرضي بقوله : (كان عالما بالحديث بصيرا بطرقه . . . وكان لا علم له بالفقه ولا بالعربية . . . وبمحمد بن وضاح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث (ج 2 ص 16) . توفي محمد بن عبد السلام الخشني سنة 286 هـ ترجم له ابن الفرضي بقوله : ((أدخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلي رواية . . . (ج 2 ص 14 ـ 15) .
(2) شذرات الذهب/ ابن العماد ج 2 ص . 312 .
(3) العبر / الذهبي ج 2 ص . 212 .
(4) بغية الوعاة / السيوطي ج 1 ص. 371 .

ثالثا - شخصيته وأخلاقه

أ - عزة نفسه

كان ابن عبد ربه متميزا بتقدير نفسه حق قدرها، فأكسبه ذلك اعتزازا بالنفس وشعورا منه بمكانته العلمية في مجتمعه، فبرز هذا في شعره:

إذا كنت تأتي المرء تعظم حقه ويجهل منك الحق فالهجر أوسع
وفي الناس أبدال وفي الهجر راحة وفي الناس عمن لا يواتيك مقنع
وأن امرأ يرضى الهوان لنفسه حرى بجذع الأنف والأنف أسنع (1)

وعبر عن موقفه هذا بوضوح أكثر، فدعى إلى ترك موطن الذل واستبداله بغيره في قوله:

وصل الذى هو واصل فاذا كرهت نبدل
واذا نبا بك منزل أو مسكن فتحول (2)

ويلتمس لنفسه الكريمة العذر لأنها لم تبلغ مرامها ويعلل ذلك بقوله:

وأعذر ما أدمى الجفون من البكا كريم رأى الدنيا بكف لئيم
أرى كل فدم قد تبحبح في الغنى وذو الظرف لا تلقاه غير عديم (3)

ويلازمه هذا الشعور بالاعتزاز وهو على فراش الموت، وقد ضعف بدنه واستسلم للقدر واقترب أجله، فيشيد في آخر شعر له بعقله ولسانه لأنهما أقوى سلاح له

---

(1) الديوان: 130
(2) الديوان: 180
(3) الديوان: 193

في هذه الحياة وعمره اثنان وثمانون عامـا قال :

ولست أبالي عن تباريح علتي إذا كان عقلي باقيا ولساني

هما ماهما في كل حال تلم بي فذا صارمي فيها وذاك سناني (1)

ب - تشاؤمه

عبر الشاعر عن تشاؤمه تعبيرا غير مباشر في بعض أشعاره من ذلك قوله :

مستوحشا من جميع الناس كلهم كأنما الناس أقذاء على بصري (2)

وقريب من المعنى السابق ، ما ورد في البيتين التاليين وفيهما السخط والحنين للهجرة وعدم الرضى عن الوضع يقول :

وأن نبا بي في ساحاتهم وطن فالأرض واسعة والناس أفراق

رزق من الله أرضاهم وأسخطني والله للأنوك المعتوه رزاق (3)

ويبدو أن الشاعر عاش حياة عسيرة ، تعرض فيها إلى ضيق في رزقه فتحمل بسبب ذلك هموما كبيرة لم تتحملها نفسه المرهفة ، فانعكس في شعره ضيق نفسه فشكا الناس وتمنى الهلاك لهم جميعا . بل ذهب الى أبعد من هذا فاستعجل قيام الساعة وزوال الدنيا التي لم تشبع رغباته ، فأصبحت في نظره سوداء مظلمة ، يقول في هذا المعنى :

فليت الألى بانوا يفندون بالألى أقاموا فيفدى ظاعن بمقيم

وياليتها الكبرى فتطوى سماؤنا لها وتمد الأرض مد أديم (4)

---

(1) الديوان : 223

(2) الديوان : 92

(3) الديوان : 149

(4) الديوان : 192

وهو نقد صريح من طرف الشاعر لمجتمعه في عهده ، ولكنه بالى ذلك أليف يحب أصحابه ويقدر الصداقة حقها :

متى يمش الصديق إلي فترا مشيت إليه من كرم ذراعا (1)

ج ـ حبه المال والدنيا

قد تجد ظاهرة التشاؤم عند ابن عبد ربه تفسيرها في حبه الشديد للدنيا ، وفشله في النيل منها بنصبه الذى يبغيه ، لانه كثير الرغبة يبحث عن المزيد ، ويعبر عن هذا بقوله :

والحر لا يكتفي من نيل مكرمة حتى يروم التي من دونها العطب (2)

ويبد وأن جانب حب المال عنده كان كبيرا ، عبر عنه في مناسبات عديدة بالتصريح حينا وبالتلميح أحيانا كثيرة . فمن باب الصراحة قوله :

دعني أصن وجهي عن إذالته وأن تغربت عن أهلي وعن ولدى
قالوا نأيت عن الاخوان قلت لهم مالي أخ غير ماتطوى عليه يدى (3)

تردد كثيرا في شعره الحديث عن التغرب والسير في الأرض والابتعاد عن الناس ، ولا يمكن الجزم بمعرفة علة ذلك ، أكان حقا كثير التجول يضرب في أرض الله الواسعة ؟ أم إن ذلك يعكس فقط حالة النفسية وظروفا خاصة مر بها الشاعر ، فحن بسبب ذلك

---

(1) الديوان : 138
(2) الديوان : 110
(3) الديوان : 48

الى الهجرة هروبا من وضعه ؟ أولانه كان يلهث في طلب المال والتنقل في البلاد ، والعودة في كل مرة بيدين فارغتين ؟ بمعنى أنه كان يركض وراء المستحيل ، يمني نفسه ما لا تقوى على ادراكه .

وقد تساعد الأبيات التالية على تأييد هذه الفكرة ودعمها ، فهو عندما يطلب المستحيل يلح في ذلك ولا يتحرج ، معترفا في الوقت نفسه بالمطلب الصعب عندما يقول :

((ثم سألتهَ حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ فيها علي ، فأخذت سحاية من بين يديه ووقعت فيها على البديهة)) (1) .

ما ضر عندك حاجتي ما ضرها ... عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها
انظر الى عرض البلاد وطولها ... أ ولست أكرم أهلها وأبرها
حاشا لجودك أن يوعر حاجتي ... ثقتي بجودك سهلت لي وعرها
لا يجتني حلو المحامد ماجد ... حتى يذوق من المطالب مرها (2)

على أنه يوصي غيره بعدم الالحاح في الطلب، لأن الالحاح باب من أبواب الفقر يقول :

سؤال الناس مفتاح عتيد ... لباب الفقر فالطف في السؤال (3)

ولا نجد في كتب التراجم عن ابن عبد ربه خبرا في هذا السياق ، يبلغ من الأهمية مبلغ الخبر الذى ورد عند الحميدى والذى يؤكد حقيقتين اثنتين ، أولاهما كون الشاعر نشأ فقيرا خامل الذكر غير معروف . وثانيهما :

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج . 1 ص 269
(2) الديوان 102
(3) الديوان 186

كونه أصبح ثريا بعد ذلك بسبب علمه وإقبال الناس عليه .
يقول الحميدى عنه في هذا المعنى : ((اتفقت له أيام وولايات للعلم فيها نفاق فساد بعد خمول وأثرى بعد فقر وأشير إليه بالتفضيل (1)

د — ميله للهو والغناء

من صفاته التي أظهرها شعره ، ميله إلى حياة المرح واللهو ، وهو وان كان معدودا في صف العلماء والفقهاء، إلا أن هذه الظاهرة لم تكن خافية في شعره كقوله يدعو إلى اللهو :

فجدد عهد لهوك حين يبلى ولا تذهب بشاشته ضياعا (2)

ويدعو إلى التحرر في القول والعمل عن النحو الذى نحاه في البيت السابق :

قل ما بدا لك وافعل واقطع حبالك أو صل (3)

ويمعن في هذا السبيل فيدعو إلى رفض دعوة الناصح الذى يقف حائلا، ويأمر بازاحته من هذه الطريق التي رسمها وابتغاها لنفسه :

وقل لمن لام في التصابي إليك خل عن الطريق (4)

وما يؤيد ميول الشاعر للهو ، تواتر خبر عنه أوردته مصادر عديدة (5) ، تذكر قصة

---

(1) جذوة المقتبس / الحميدى ص 94. وبغية الملتمس/ الضبي ص137
(2) الديوان : 138
(3) الديوان : 180
(4) الديوان: 151
(5) ...

استراقه السمع حين بلغ سمعه غناء ينبعث من أحد القصور ، قال ابن خاقان : ((أخبرني محمد بن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة فسمع منه غناء أذهب لبه وألهب قلبه ، فبينما هو واقف تحت القصر إذ رُشّ بماء من أعاليه فاستدعى رقعة وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة)) (1) . أما القصة في نفح الطيب فتذكر صاحب القصر، والمغنية باسميهما يقول : ((وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء ، وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت ، وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب إلى مولاها ... فخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها)) (2) . يقول في هذه الأبيات :

يامن يضن بصوت الطائر الفرد	ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الارض قاطبة	أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده	صوتا يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه	لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ فأني لست أشربه	ولست آتيك إلا كسرتي بيدي (3)

فحرصه وشغفه بسماع الغناء الذى يفهم من هذه الأبيات ، يؤيده شعر آخر انفرد بروايته الثعالبي وفيه أبيات في وصف مجلس غناء منها :

وقضيب يميس فوق كثيب	طيب المجتنى لذيذ العناق
قد تغنى كما استهل يغني	ساق حر مغرد فوق ساق

---

(1) مطمح الانفس/ابن خاقان ص. 58
(2) نفح الطيب/ المقرى ج 3 ص. 131
(3) الديوان : 60

ينشر الدرفي المسامع نثـرا　　　بين در منظم متسـاق
ديننا في السماع دين مديـني　　　وفي شربنا الشراب عراقـي (1)

وفي شعر آخر يصور لنا ليلة قصرت على طولها لانه استمع فيها إلى غناء ملك عقله يقـول :

بأبـي أحور غنى موهنـا　　　بغناء قصر الليل الطويـل (2) .

إلا أن موقفه من اللهو عموما، ومن الغناء خاصة ، يتغير فيرفض سماعه ويعزف عنه بعد ما ظهر الشيب عليه فيأمر المغني بالسكوت :

أطفئت شرارة لهـوى　　　ولوت بشدة عـدوى
شعل علون مفارقـي　　　ومضت ببهجة سـروى
يا أيها الشادى صـه　　　ليست بساعة شـدو (3)

وكان لا بد لهذا اللهو أن ينتهي يوما، وتتبعه مرحلة تأمل وتفكير وحنين للماضي ، فلما وقع له ذلك أصبح الماضي عنده وكأنه لم يكن في يوم من الأيام حقيقة مرت به وعاشها فعـلا :

كأنـي لم أرق بل لم ترقنـي　　　شموس في الأكلة أو بـدور
ولم ألق المنى في ظل لهـو　　　بأقمار سحائبها الستـور (4)

---

(1) الديوان 153
(2) الديوان : 182
(3) الديوان : 241
(4) الديوان : 81

رابعـــــا : تدينــــــــــه

هل كان ابـــن عبد ربـــه مسلما في سلوكه ، يتحكم دينه في تصرفاتـــه ، أم كان معرضا عنه مقبلا على الدنيا ولاهيـــا ؟ ذلك ما سنحاول تقديم إجابة عنـــه بعد قراءة متأنيـــة في أشـــعاره واستعراض لأقوال العلمـــاء فيه .

ليس الهدف من هذا الباب هو تصنيف الشاعر أن كان في أصحاب الجنة أو في أهـــل الجحـــيم ، لأن ذلك علمه عند ربـــــه ، إنما الغرض هو مـــعرفة مدى تأثير الدين في تصـــرفاته، ودراسة ظواهره في أقوالـــه من خلال أشعاره ، أو كتاباته أو ما قاله المترجمون لــــه .

يجب الاعتراف منذ البداية بصعوبة استغلال المعلومات المتوفـــرة والوصول بها الى نتيجة مرضيـــة لأن هذه المعلومات في ظاهرها كثيرة التناقـــض ومن أجـــل الاحاطة بالموضوع تمت دراسته على أساس النقاط الستة التاليـــة :

أ - ممحــــصاتـــــه

عرف ابن عبد ربه بنوع من الشعر سماه " الممحـــصات " وتناقلـــت خبـــره جل المصادر إلا ابن عبد ربه فانه لم يذكـــره . وأول إشارة اليها جاءت عند الحميـــدي ولكنه ضـــرب مثالا واحدا، هو مقطوعة في سبعة أبيات نقضبهـــا أخـــرى وردت في أربعة ، قال الحميـــدي : ((ولأحمد بن محمد بن عبد ربـــه أشعار كثيرة جدا سماها الممحصـــات ، وذلك لانه نقض كل قطعة قالها في الصبا

والنـــــدم عليها ، ومن ذلك قطعة محص بعضــا القطعة المذكورة أولا هـــي)) (1)

ياعاجزا ليس يعفو حين يقتــدر ... ولا يقضي له من عيشه وطـــــــر
عاين بقلبك إنّ العين غافلـــة ... عن الحقيقة واعلم أنهـــا سقـــــر
سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت ... للظالمين فلا تبقي ولا تـــــــذر
إن الذين اشتروا دنيا بآخرة ... وشقوة بنعيم ساء ما تجـــــروا
يامن تلهى وشيب الرأس يندبــه ... ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظـــر
لولم يكن لك غير الموت موعظــة ... لكان فيه عن اللذات مـــزدجـــر
أنت المقول له ما قلت مبتدئـــا ... (هلا ابتكرت لبين أنت مبتكـــــر) (2)

أما القطعة الممحصة ، فالحميدي أيضـــا أول مـــن رواهـــا . يقول في معرض حديثـــه عن الشاعـــر (3) . ((ومـــا أنشـــدني من شعره علي بـــن أحمـــد وأخبرني أن بعض من كـــان يألفه أزمع على الرحيـــل في غداة ذكـــرها فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جـــود حال بينه وبين الرحيـــل فكتب إليه أبو عمر)) :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكـــر ... هيهات يأبى عليك الله والقـــدر
ما زلت أبكي حذار البين ملتهفا ... حتى رثا لي فيك الريـــح والمطـــر
يا برده من حيا مـــزن على كبـــد ... نيرانها بغليل الشوق تستعـــر
آليت أن لا ارى شمسا ولا قمـــرا ... حتى أراك فأنت الشمس والقمـــر (4)

(1) جذوة المقتبس / الحميدي ص 95
(2) الديـــوان : 90
(3) جذوة المقتبس / الحميدي ص 94
(4) الديـــوان : 89

الهدف من هـــذه المحصات كما يرى الحميدى، هو أن الشاعر استغفـــر لذنوبه لما تقدمت به السن ، وتاب عن الشعـــر الذى قاله في الغزل والصبـــا وكفر عنـــــه، فعبر عن هذه الرجعة الدينية بشعر في الزهد والندم يماثل ذلك الذى قاله في الشباب.

أمـــــا ابن خاقان الذى أورد الأشعار نفسها فيصف ابن عبد ربه بالمجون في قوله : ((وفي أيام اقلاعه عن صبوته وارتجاعه عن تلك الغفلـــة وأوبتـه وانثنائـــه عن حجون المجون الى صفاء توبتـــــه محص أشعاره في الغزل ، وقص من قوادمهـــا وخوافيهـــا بأشعار في الزهـــد على أعاريضهـــا وقوافيهـــا)) (1) . تبعه في ذلك المقرى الذى يبدو أنـــه أخذ عنه (2) . أما غير ابن خاقان والمقـــرى ، فعكسوا ما ذهب اليه الحميدى ولم يصفوا الشاعر بالمجون . (3)

أمـــــا العلماء الذين ترجموا للشاعر فإنهم كادوا يجمعون على ترديد عبارة وردت عند الحميدى وهي أنه كانت لابن عبد ربه : ((شهـــــرة مع ديانته وصيانتـــه)) (4) أما ابن خاقان فبعد قـــوله : ((الفقيه العالم)) يضيف : ((مع ديانة وورع وصيانة)) (5) ونضيف لهذين شهادة الضبي الذى يقول في معرض ترجمة لــــــه لابن عبد ربه ((مع ديانته وصيانتـــــه)) (6) .

---

(1) مطمح الانفس/ ابن خاقان ص . 61
(2) نفح الطيب/ المقـــرى ج 7 ص . 53
(3) مـــن هؤلاء الضـــــبي في بغيـــة الملتمـــس ص . 139 . وياقوت في معجـــم الادبـــــاء ج 4 ص 223
(4) جذوة المقتبس / الحميدى ص. 94
(5) مطمح الانفـــس/ ابن خـــاقان ص. 58
(6) بغية الملتمـــس / الضبـــــي ص. 137

ب - موقفــه من الخمــر

هل كان ابن عبد ربه يهــوى الخمر ويتعاطى شربهــا ؟ اذا احتكمنا إلــى شعــره من أجل الحصول على جواب ، نجــد أن ابن عبد ربه بالفعــل يمكــن أن يكون معدودا من شاربيهــا ، لأنه صريح في ذلك وقــوله لا يحتمل تأويــلا إلا أن يكون ممن تسري عليهم الآيــة الكريمة عن الشعراء في قولــه تعالــى ((وأنهــم يقولون ما لا يفعلــون)) يقــول :

دع قول واشية وواشــي واجعلهما كلبي هــراش

واشرب معتقة تسلــل في العظام وفي المشــاش

حتى ترى العود المســن بها أرق من الخشــاش (1) .

ومن حقنا أن نتخيله وقد لعبت به الخمر فصار فعلا يــرى الجمل الكبير في صورة حشرة بفعل الخمــر . ويبدو من خــلال تتبع شعره في هذا الموضوع أنــه كانت لابن عبد ربه مشاركة في مجالس الخمر ، وكان يصفهــا وصفا أمينــا ، وللتمثيــل على ذلــك نورد قــولــه عن الخمر بعد وصف مجلسهــا في بدايتــه :

وافتضضنا من العواتــق بكــرا نكحت أمها بغيــر صــداق

ثم بانت ولم تطلق ثــلاثــا لم تبــن حرة بغير طــلاق

ديننا في السماع دين مدينــي وفي شربنا الشراب عراقــي (2)

وفي هذا القول تصريح بموقفه من شرب الخمر ، فهو على مذهب أهل العراق لأنهــم

---

(1) الديــوان : 118

(2) الديــوان : 153

لا يحرمون من شرب النبيذ غير القـــدر المسكـــر . ومثله قوله في القطعة التالية ، واصفا مجلس شـــراب جمعه بمن كان يحب :

كلما علني من الراح صـــرفا   علني بالرضا ب من شفتيـــه
ناول الكأس واستطال بلحـــظ   فسقتني عيناء قبل يديـــه (1)

ويصـف الساقي :

وكف أدارت مذهب اللون أصفرا   بمذهبة في راحة الكف صفـــراء (2)

وتعود الصورة نفسها في مناسبة أخـــرى :

وحاملة راحا على راحة اليـــد   مورد ة تسقى بلون مـــورد
متى ما ترى الابريق للكأس راكعا   تصلي له من غير طهـــر وتسجـــد
بتلك وهذى فاله ليلك كلــه   وعنها فصل لا تسأل الناس عن غـــد (3)

أى لا تفكـر في اليوم الآخر ، ولا تشغل بالك به،إنما عليك بالشراب واللهـو طول ليلك . وتلتقي هذه الأشعار بعد جمع شتاتها في نقطة واحدة تعبر من خلالها عن فكرة واضحة،وتصور لنا وجهة نظرالشاعر وموقفه من الخمـــر . على أنه صرح في شعـره فـي مناسبة واحدة بعدم تعاطيهـــا :

أما النبيذ فأني لست أشربـــه   ولست آتيك إلا كسرتي بيـــدى (4)

---

(1) الديـــوان : 237
(2) الديـــوان : 3
(3) الديـــوان : 55
(4) الديـــوان : 60

ج - حنيـــــن إلى الماضـــــي

أمـــــا موضوع الحنين إلى شبابه في شعـــــره فكثير ، ولقد سبقت الاشارة آنفـــا إلى أشعاره في اللهـــــو ويبدو أنـــــه ترك حياة الشباب ولهوه في سن مبكرة جـــــدا ، وإلا فكيف نفسر حنينه إلى شبابه وهو لم يبلغ بعد سن الثلاثيـــــن في قوله : (1)

ســـلام على عهد الشباب (2) الذى مضى   اذ العيش غض والزمان أنيـــــق

واذ لبنات الخدر نحوى تطلـــــع   كما لمعت بين الغمام بـــــروق (3)

وينزعج خوفا حين يرى طلائع الشيب على شعره وكأنه النذير بالمـــوت الذى لم يكن يصدق به من قبل :

ألا إن القتير وعيد صـــــدق   لنا لو كان يزجرنا القتيـــــر

نذير الموت أرسله إلينـــــا   فكذبنا بما جاء النذيـــــر (4)

ويتكرر هذا المعنى نفســـه في مكان آخـــر من شعره ، بدا فيه قلقا على مصيـــره ، نادما على فعله حين اتبع سبيل الغي ، وترك سبيل الرشاد في صباه قال :

---

(1) المقتبس/ ابن حيان ص، 43 قال عن مناسبة القصيدة التى ورد فيها البيتان المذكوران : ((ومن أحسن من امتدح به ابن عبد ربه الأمير عبد الله بن محمد لأول جلوسه في الخلافة قوله في قصيدة مفضلة)) ومعلوم أن ولاية الامير عبد الله كانت سنة 275 ويكون لابن عبد ربه من العمر حينئذ 29 عام

(2) وقد يكون الدافع إلى هذا شعوره بأن الامير عبد الله بتوليه الحكم سوف لن يسمح له بذلك السلوك أو هي طريقة في التعبير يعلن بها عن نيته بإظهار الاستقامة والصلاح ما دام ذلك يرضي الأمير المعروف بالتقوى والصلاح كما سبق ذكـــــره

(3) الديـــوان : 143

(4) الديـــوان : 81

ألا ويح قلبي للشـــــبا ب الغض إذ ولـــــــى
جعلت الغي سربـــالي وكان الرشد بي أولـــــى (1)

ولكنه بالرغم من الندم الذى أصابـــه حين ودع شبابه فانه لم يستطع إخفاء حنينه إلى تلك الأيـــام والتسلي بذكـــرها أو بالاحـــرى تذكرها . ذلك واضح في شعره الذى يقول فيــه :

كنت إلف الصبا فودعنـــــي وداع من كان غير منصــــرف
أيام لهوى كظل إسحلـــة وذا شبابي كروضة أنــــف (2)

ولتأكيد ما لمسناه من القطعة السابقة يمكن أن نتابع عرض نماذج أخـــرى في هذا الباب لتتجلى صورة الشاعر ، ولنلاحظ من خلال أفكـــاره المتعددة من حيث مصادرها على أنها متشابهة ومتكاملة في جوهرها ، فإذا قارنا البيت الأخير في القطعة التالية مثلا بنظيره في القطعة السابقة ، نلاحظ اتحادهما في المضمون وان اختلفا في الشكـــل قال الشاعـــر :

قالوا شبابك قد مضت أيامـــه بالعيش قلت وقـــد مضت أيامـــي
لله أية نعمة كان الصبـــا لو أنها وصلت بطـــول دوام
حسر المشيب قناعه عن رأســـه وصحا العواذل بعد طول مـــلام
فكأن ذاك العيش ظل غمامـــة وكأن ذاك اللهـــو ظل منـــام (3)

---

(1) الديـــوان : 171
(2) الديـــوان : 140
(3) الديـــوان : 199

فالمعنى المستخلص من البيت الأخير في القطعتين واحد ، فأيام الشباب ولت سريعة ومرت مرور الخيال . ولكن هذا التحسر والأسف على شبابه الذي ولى ، له ما يبرره ، فالبرغم من استسلامه للشيب الذي كدر صفوه ، فانه لم يرض بالحرمان وهجران الأحبة حين لزمه الشيب الذي أكسبه عداوتهن وابتعادهن ، وحتى شماتتهن في قوله :

بكرت علي عواذلي يلحينني وعلى الذى لم يعدني أعد ينني

إيها عليك فقد كبرت عن الصبا ونهى المشيب عن الذى ينهينني

وعلى مفارقة الشباب شمتن بي وعلى معاداة الصبا عاد ينني (1)

ويقبل الشاعر في نهاية المطاف بحقيقة الأمر الواقع ، على أن الحنين إلى تلك العهود لا يزال يراوده ، ويعيش في مخيلته ، كأنه لا يريد أن ينسى ، يقول :

وبان الصبا إذ طوى ثوبه فلا أحد ناشر طيه

ولا القلب ناس لما قد مضى ولا تارك أبدا غيه (2)

د ـ هجاؤه للآخرين

ومن صفاته التي يكشف عنها شعره الهجاء ، على أن ابن عبد ربه لم يكن هجاء بطبعه ، إنما تعطينا الأبيات القليلة المنقولة عنه فكرة عن مزاجه ، فهو يبدو عنيفا لا يرحم . وقصته مع القلفاط مشهورة في مجلس أحد الوزراء ، حيث أفحم خصمه

---

(1) الديوان : 225

(2) الديوان : 240

ببيت قالـــــه على البديهة ردا على هجـــــاء القلفاط له في المجلس المذكـور وهـو قوله :

أن كنت في تعدد آبنائـــــــه فقد سقى أمك من مائـــــــــــــه (1)

علق ابن حيان على البيت بقوله : ((عجب الوزير من قوة بديهته وقال : غنيمة الكلام بعد سلامة الجواب)) (2) . ويهجو شخصا ما طله ولم ينجز ما وعـــــده بقوله :

من وجهه نحس ومن قربـــــــه رجس ومن عرفانه شـــــــــــــم (3)

وفيه يقول :

كلب يـــــهر اذا ما جاء زائره حتى اذا ما جاء مهدى تحفة نبصـــــــا (4)

وينعته بالكلب أيضـــــا في مقطوعة أخـــــرى منها :

كـــــلاب لو سألتهم تـــرابـــا لقالوا : عندنا انقطـــــع التـــرا ب (5)

هـ ـ التفكيـــــر في اليوم الآخـــــــر

لقد أتيح للشاعر أن يعمر طويلا ، ولنا أن ندرج شعر هذا الباب بسبب ذلك فـــي الأشعار التي قالها في سنوات متأخرة من عمـــره ، إذا احتكمنا إلى مضمونهـــــا ، لأننا لا نكاد نعرف شيئا عن الضبط التاريخي لأشعاره ، إلا ما له قرينة أو مناسبة مرتبطـــــة

---

(1) الديـــــوان : 234
(2) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص 42
(3) الديـــــوان : 205
(4) الديـــــوان : 110
(5) الديـــــوان : 8

بوضع معين أمكن تحديده في إطار زمني معروف ، وهو قليل نسبيا إذا قارناه بجملة أشعاره . يقول محرضا على العمل الصالح والتوبة قبل فوات الأوان :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا   والموت ويحك لم يمدد إليك يدا

وارقب من الله وعدا ليس يخلفه   لا بد لله من إنجاز ما وعدا (1)

والختم بالعمل الصالح تكفيرلما تقدم من الذنوب ، يقول في هذا المعنى :

خل الصبا واختم بالنهى عملا   فأن خاتمة الأعمال تكفير (2)

ويعبر عن ندمه، معترفا بذنبه واثقا من رحمة ربه رغم انغماسه في المعاصي _ اذا كان هذا الاعتراف عن حقائق واقعة _ لأنه تذكر يوم القيامة فهاله ذلك وصاح مستغيثا :

يا ويلنا من موقف ما به   أخوف من أن يعدل الحاكم

أبارز الله بعصيانه   وليس لي من دونه راحم

يارب غفرانك عن مذنب   أسرف إلا أنه نادم (3)

و _ الأبتهال وذكر الموت

ويجدر هنا ذكر نوع آخر من الشعر توجه به إلى الله بالدعاء،لما أصيب في ولد له يدعى يحي،فبكاه طويلا ، وقد ترك موته جرحا عميقا في قلبه ، بل وقبل أن يموت كان يلتجئ إلى الله بالدعاء حين أعيته الحيل ، راجيا له

(1) الديوان : 53
(2) الديوان : 95
(3) الديوان : 182

الشفـــاء . وتعبر الأشعار التالية عن اليأس الذى أصابـــه ، فيقول مبتهلا الى ربه بكل جوارحـــه وبعاطفة صادقـــة :

بني لئن أعيا الطبيب ابن مسلـــم ضناك وأعيا ذا البيان المسجـــع

لأبتهلن تحت الظلام بدعـــوة متى يدعها داع الى اللـــه يسمـــع

بقلقـــل ما بين الضلوع نشيجهـــا لها شافع من عبرة وتضـــرع

الى فارج الكرب المجيب لمن دعـــا فزعت بكربي أنه خيـــر مفـــزع

فيا خيـر مدعو دعوتك فاستمـــع ومالي شفيع غير فضلك فاشفـــع (1)

وحين تغلب المرض وانتهى الأجل ومات الابن (2) أصبح الرجـــاء بالشفاء من المرض دعاء وابتهالا الى الله بالرحمـــة :

يارحمة الله جاوري جدثـــا دفنت فيه حشاشتي بيـــدى

ونوري ظلمة القبور علـــى من لم يصل ظلمه الى أحـــد (3)

ولكي لا نبتعد كثيرا عن هذا الجو ، بقي أن نعرف رأى الشاعر في المـــوت ، فقد تردد ذكره كثيرا في أشعاره ، وحفظت لنا المصادر عدة مقطوعات في هذا البـــاب نستعرض منها اثنتيـــن : يدعو في الأولى إلى الاستهانة بالدنيا والتحضير للآخرة لان الأولى دار غرور والثانية دار يقيـــن كقوله :

---

(1) الديـــوان : 132

(2) هو يحي بن أحمد بن محمد بن عبد ربه توفي سنة 314 للهجرة (تاريخ علماء الأندلس) ابن الفرضي ج 2 ص 187

(3) الديـــوان : 44

أتفرح والمنية كل يـــوم تريك مكان قبرك في القبـــور
هي الدنيا وأن سرتك يوما فأن الحزن عاقبة الســرور
ستسلب كل ما جمعت منهـا كـعارية ترد الى المعيـــر
وتعتاض اليقين من التظني ودار الحق من دار الغـــرور (1)

ويشغله التفكير في الموت ويستحضر لحظاته الأخيرة ،فنعرف منه كيف كانت في ذهنــه تلك الساعة التي سيفارق فيها الحياة ،يصور المشهد وكأنه يرسم لوحة بكل جزئياتها ، فنشاهد الأهل والأولاد متجمعين والأنفاس الأخيرة والدموع المنهمــرة ثم الاستسلام للقضاء الذى لا مرد لــه يقول :

من لي اذا جدت بين الاهل والولد وكان مني نحو الموت قيــد يــد
والدمع يهمـل والأنفاس صاعدة والدمع في صبب والنفس في صعــد
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفـه حتى يفرق بين الـروح والجسـد (2)

إن الذى يجب أن نستخلصه من هذا ،كون المعلومات عن صفاتــه في هذا الباب فــي ظاهرها متناقضة ،لمسنا فيها اللـهو والخمر والهجــاء ،كما وجدنا الزهد والتوبة وذم الدنيا . وهذه الاوصاف في حقيقتها تعكس نموذجــا صادقا لشاعر الأندلــس في نهاية القرن الثالث وبداية الرابــع ،فشاعرنا لم يكن بالعابد الزاهــد الملازم للمساجد، وهو أيضا لم يكن أبا نواس الأندلس ،فرغم الغموض الذى ما يزال يكتنف هذا الجانب،إلا أن الاحتكام الى آثاره لايتركنا نبتعد كثيرا عن جادة الصواب حين نجازف بالحكــم فيما يخص سيرته .

---

(1) الديــوان : 78
(2) الديــوا ن : 52

الباب الثاني

شعره

الفصل الأول : شعر الغزل

الفصل الثاني : شعر الحروب والمدح

الفصل الثالث : أغراض أخرى

الفصل الأول : شعر الغزل

أولا : الشاعر العاشق كما صوره شعره

1 - الأطلال

2 - الغزل من خلال مجالس اللهو والخمر

3 - مفهوم الحب عند الشاعر

4 - أثر تجربة الحب في الشاعر

ثانيا : المحبوب في شعر ابن عبد ربه

1 - الأسماء وتحقيقها

2 - الغزل الحسي

3 - الأوصاف

ثالثا : ظواهر أخرى

رابعا : خصائص الغزل الفنية

1 - ابن عبد ربه ورأى له في شعره

2 - الجانب الشكلي

3 - أسلوبه في الغزل

1 - الأطلال

2 - الغزل من خلال مجالس اللهو والخمر

أ - المرأة النديمة

ب - المرأة المغنية

3 - مفهوم الحب عند الشاعر

أ - رأيه في حبه

ب - شخصيته مع محبوبه

ج - صورة الحب في شعره

د - الشوق والحنين

4 - أثر تجربة الحب في الشاعر

أ - الأسى والحزن

ب - الجزع واليأس

ج - دموع وبكاء

د - المرض والاستسلام

تمهيـــــــــد

للباحث أن يتساءل في البدء عن مكانة ابن عبد ربـــه من الغزل في الأندلـــس وعن ملامح هذا النوع من الشعر في المجتمع الأندلسي الذى لاتزال تشغله في هذه الفترة قضايا هامة تتعلق بمصيره وتثبيت اقدامه على هذه الارض .

ان دراسة هذا الفن في شعر ابن عبد ربه سيساعد دون شك على تفسير بعض الظواهـــر الاجتماعية التي بدأت تميز المجتمع الأندلسي . وسنحاول البحث عن خصائص الغزل الاندلسي شكلا ومضمونا في تجـــربة ابن عبد ربه من خلال أشعاره الكثيرة في هذا النوع الذى يمكن النظر إليها من زوايا أربع :

يسلط الضوء في الاولى على شخص الشاعر العاشق ، وعلى المحبوب في الثانيـــــة ، أما الثالثة فتبحث في ظـــواهر أخـــرى ، وتتناول الرابعة بالبحث الخصائص الفنية لشعر الغزل عند ابن عبد ربـــــه .

١ ـ الأطـــــــــــلال

قبل التعرض الى ملامح ابن عبد ربه في غزلياته، تنبغي الاشارة الى أنـــــه لم يتبع نهج العاشقيـــن في الوقوف على الأطلال وبكائهـــــا . فعلى الرغم من وفرة شعر الغزل ، فأن أبياته الطلليـــــة قليلة جدا ، منها هذه الأبيات التي تصف وقفته على الاطلال ، ويطلب من رفيقه استنطاق الربع وســـؤالـــه ، واصفا ذهوله وعجزه عن الكلام بسبب الرهبة التي أصابته لما تذكر الاحبة يقول :

محل تحل عراها السحـــــاب ... وتحكي الجنوب عليه الشمـــــال

فيا صاح هذا مقام المحب وربع الحبيب محط الرحالا

سل الربع عن ساكنيه فاني خرست فما أستطيع السؤالا (1)

وتبدو العاطفة هنا قوية تفيض بالحنين حين ينظر حوله فيرى الأشياء كلها تذكره بالمحب وتثير فيه لواعج الشوق ولا يجد متنفسا إلا هذه الصيحة المشحونة بالحزن والأسى والاستسلام ، فجاء السكوت عن الكلام في الشطر الأخير أكثر بلاغة من التعبير بالقول . ويخاطب في النموذج الثاني الدار التي عفى رسمها مستخدما صورة أخذها عن الجاهليين في قوله :

فالدار بعدهم كوشم يد يادار فيك وفيهم العجب

أين التي صيغت محاسنها من فضة شيبت بها ذهب (2)

وفي مناسبة أخرى وبعد الاسترسال في شكواه من طول ليله ، يذكر شوقه الى محبوبته ، ويمعن في وصف لوعته وتوجعه ، وحنينه الذى أثاره رسم الدار التي كانت تأويها فيقول :

يا طول ليل المبتلي بالهوى وصبحه في ليله أطول

فالدار قد ذكرني رسمها ما كدت عن تذكاره أذهل (3)

على أننا نلمس في شعره ما يوحي برفضه الوقوف على الأطلال وبكائها ، ولدينا في شعره

---

(1) الديوان : 188

(2) الديوان : 22

(3) الديوان : 186

مثالا ن يفيدان هذا المعنـــى ،أمـــا الأول فجاء في مقطوعـــة يتوجه فيهـــا باللوم الشديد، مخاطبا ظالمته التي قاطعته، وعاقبته بالقتل دون ذنب ، وبسبب هـــذا كان بكاؤه لأنه لم يتعود بكاء المنازل والرســـوم، يقول :

قتلت نفسا بلا نفـــس وما ذنب بأعظـــم من سفك الـــــــدم
لمثل هذا بكت عينـــــي ولا للمنزل القفـــر ولا الرســـــــم (1)

وأمـــا الثاني فجاء بعد أبيات ثلاثـــة يصف فيهـــا بلغة هادئـــة سليمة محاسن تلك التي أثارت عنده ما يعد همّا في حقيقتـــه، لأن الوقوف والبكاء على الأطـــلال لا يصدران عن حزن صادق ، قـــال :

غـــزال زانه الحـــور وساعد طرفه القـــــدر
يريك إذا بدا وجهـــا حكاه الشمس والقمـــــر
براه الله من نـــــور فلا جـــن ولا بشـــــر
فذاك الهمّ لا طـــلل وقفت عليه تعتبـــــر (2)

2 — الغزل من خلال مجالس اللهو والخمـــر

مر في الباب الأول التعرض الى مواقف الشاعر من مجالس الخمر واللـــهو ، وتتناول الموضوع هنا من جانب آخـــر لمحاولة الكشف عن عنصـــر المرأة في تلـــك

---

(1) الديـــوان : 210
(2) الديـــوان : 103

المجالس . ويمكن النظـــر الى الموضوع من خلال زاويتيـــن اثنتيـــن ، تبحث الأولى في المرأة ومجالس شرابـه ، أمـــا الثانية فتبحث في المرأة والغناء .

أ- المـــــرأة النديمـــة

لعل أول ما يلفت الانتباه فـــي هذا المجال ، هو اهتمام الشاعر وعنايته بتصوير الجو المحيط بلهوه تصويرا شاعريا رقيقـــا ، وتلاعبه بالصور وحبكهـــا من أجـــل خلق معنى جديد يتولد عنده بفعل ذلك المـــزج ، كما يفعل الرسام الماهـــر الذى يجيد اختيار الألـــوان ومزجهـــا لتعكس اللوحة بصدق ما يريد الفنان التعبير عنه بواسطة الشكل واللـــون ، كما فعل في هذين البيتين :

فما السحر ما يعزى الى أرض بابل ولكن فتور اللحظ في طرف حـــوراء
وكف أدارت مذهب اللون أصفـــرا بمذهبة في راحة الكف صفـــرا ء (1)

فسحر اللفظ صورة قديمة مبتذلة ، وسحر الكفين كذلك ، ولكن الجديد الذى اهتدى إليه ابن عبد ربه هو ربط الصورتين ، للتعـــبير عن معنى جديد ، نتج عن هذا التركيب الجديد الذى هو تعبيرها بألحاظهـــا وقت حركة كفيها وهي تناول الكأس . ومهما يكن الرأى مختلفا بشأن صدق الصورة أو اصطناعها ، فأنهـــا في حقيقتهـــا رقيقة وبارعة ، وتدل على مقدورة الشاعر في الخلق والاجـــادة .

ومن أجـــل تعزيز هذا الرأى نستعرض مقطوعة ثانية مشابهة للاولى في مضـــمونها وسيتبين التقارب بوضوح ، إذا قارنا البيتين السابقين بالبيت الأخـــير في القطعة

---

(1) الـــــديوان : 3

التاليـــــة التي ضمنها المعنى نفســـه،وفيها أيضـــا مقارنة حركة الكـــف التي تناول الكأس بحركة التعبير بالطـــرف ،يقول :

بذمام الهوى أمت اليـــــه | وبحكم العقار أقضي عليـــــه
بأبي من زهبا علي بوجـــه | كاد يدمى لما نظرت اليـــــه
كلما علني من الراح صرفـــا | علني بالرضاب من شفتيـــــه
ناول الكأس واستمال بلحـــظ | فسقتني عيناه قبل يديــــه (1)

لعل الصورة في هذا البيت الأخيـــر أجمل منها في المقطوعة السابقـــة ، فإضا فـــة إلى ما سبق ذكـــره ،فأنه سخر في هذا البيـــت لفظا واحـــدا ليبلغ به معنييـــن في نفس الوقـــت ،فعبر بقولـــه ((سقتنــــــي)) عن معنى قريب بديهي ، ومعنى بعيد لطيف في آن واحـــد . أما الصورة الحسيـــة في البيت الثالث، والتي كنى بها عن التقبيل الذى ينتج عنه امتزاج الريقيـــن وقت تناول الخمـــر، فأنه عبر عنها في مناسبـــة*اخـــرى ـ وقد يكون ذلك في مجلس شراب مشابه لمجلسه السابـــق ـ بالابيات التاليـــة ،فهي أن سقته في الأشعار السابقة الرضاب من شفتيهـــا نلاحظ في الابيات التالية امتزاجه في قولـــه :

وبدر غير ممحــــوق | من العقيان مخــــلـــوق
اذا أسقيت فضلتـــه | مزجت بريقـــه ريقـــي
فيالك عاشقا يسقـــى | بقيـــة كأس معشـــوق (2)

---

(1) الديـــوان ، 237
(2) الديـــوان : 156

ونعثر على المعنى نفسه مرة أخرى في شعر آخر له يقول فيه :

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقي (1)

ويبدو من الامثلة السابقة واضحا ولوع الشاعر بالجمع في شعره بين الصورة المادية المحسوسة المتمثلة في الساقي، والكأس، والمحبوب، وبين الصورة المعنوية الخفية التي يوحي بها المجلس، مع ما يدور في ذهن الشاعر من أفكار، مثل المنظر الأنيق، والرقة، والجمال الخفي، وهي تسمو عادة فوق المعاني الحسية المبتذلة والتي يتغنى بها الشعراء عادة في ظروف مشابهة .

ب — المرأة المغنية

إن أهم ما قال الشاعر في الغناء والمغنيات على الاطلاق ستة أبيات انفرد الثعالبي بروايتها في يتيمته، بدأها بوصف للمغنية في ثلاثة أبيات، أتبعها باثنين في الخمر في ذلك المجلس، ثم ختمها بتحديد موقفه من شرب الخمر وسماع الغناء، وقد سبقت الاشارة الى البيت الاخير في الباب الاول، يقول الشاعر في هذه الأبيات :

وقضيب يميس فوق كثيب طيب المجتنى لذيذ العناق

قد تغنى كما استهل يغني ساق حر مغرد فوق ساق

ينثر الدر في المسامع نثرا بين در منظم متساق

وافتضضنا من العواتق بكرا نكحت أمها بغير صداق

---

(1) الديوان : 151

ثم بانت ولم تطلق ثلاثـــا لم تبن حـرة بغير طـــلاق

ديننا في السماع دين مديـــني وفي شربنا الشراب عراقــي (1)

اعتني في هذه المقطوعة بالوصف الحسي للمغنيــة وحركاتهـــا ، ولكنه لا يبدى شيئا من العاطفة نحوهـــا - على غيرعادته - في الابيات الثلاثة الاولى ، ثـم ذكـر في الابيات الثلاثة الأخيـــرة ، وبصراحة واضحة ونادرة في أشعاره ، وصفـا دقيقا لمجلس خمـر كان هودون شك طـرفا فيه ، ثم بـرر في البيت الأخيـر ما جاء في الابيات السابقـة ، موضحا مذهبه من سماع الغناء ، وشرب الشراب ، وكأنـه توقع اعتراضا ، فبين بسبب ذلـك موقفـه مقررا كونه من أنـصار الغنـاء على مذهب أهل المدينـة ، ومن أنصار الشراب على مذهب أهل العراق .

وفي مجلس غناء آخـر يـبدو الشاعر متعلقا بالمغـنية ، خصص بيتين اثنين لوصفها ووصف حركاتهـا وهي تغني ، وترك البيتين الأخيرين لوصف حالـه وأثـر ذلك عليه . فالجديد في هذه المقطوعـة ، هو وجود ذلك الخيط الذى أحكم الربط بين الشاعر والمغنيـة ، فعكس العلاقة الموجودة بين الطرفين ، وهـو أمـر لم يكن واردا في مجلس المغنية السابقـة ، يقول في هذه المقطوعة :

شادن يسحب أذيال الطرب يتثنى بين لهـو ولعـب

بجبين مفرغ من فضـة فوق خد مشرب لون الذهـب

كتب الدمع بخدى عهـده للهوى والشوق يملي ما كتـب

ما لجهلي ما أراه ذاهبـا وسواد الرأس مني قد ذهـب (2)

---

(1) الديـوان : 153

(2) الديـوان : 21

وفي المقطوعة التالية أخذ بمناجاة المغنية ، مازجا الغزل بالشكوى ، واصفا لوعته ، وموضحا مطلبا يدخل السلوى الى قلبه الكئيب ، متمثلا في قبلة تمناها ، ويبين في البيت الأخير سبب تعلقه بها ، لأنه استأنس بغنائها في هذه الليلة التي قصرت على طولها ، يقول :

يامدير الصدغ في الخد الأسيل   وجميل السحر بالطرف الكحيل
هل لمحزون كئيب قبلة   منك يشفي بردها حر الغليل
وقليل ذاك الا أنه   ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحور غنى موهنا   بغناء قصر الليل الطويل (1)

يحاول الشاعر الافصاح عن وجهة نظره أولا ، وثانيا ابداء عواطفه ومشاعره يصورها بأمانة ووضوح ، ورأينا كيف يتكرر التعبير عن موقف معين في أكثر من مناسبة ، وتميزت في ذلك كله صفة بارزة في الشاعر ، تمثلت في إعجابه بالمغنيات ، وميوله الى تبادل الحديث معهن في لقاءاته ومجالسه التي أشار اليها . فهل بعد هذا كله نصدق الشاعر ، ونعد ماقاله من باب الحقيقة والواقع ، وأنه مر فعلا بهذه التجارب ؟ يبدو أنه ما كان ليجرؤ على البوح بهذه التفصيلات الكثيرة المشحونة بالعاطفة لمجرد التسلية بالقول ، بدليل أنه حين تقدمت به السن ، وابتعد عهده بصباه عمد الى الماضي يحدث نفسه به ، ويتمتع بذكره ، ويحن اليه مستعرضا شريط الاحداث ، وكأن ذلك السرور ، وذلك اللهو ، والسماع للغناء ، لم يكن شيئا معاشا فيما مضى من الأيام ، يقول في هذا المعنى :

---

(1) الديوان : 182

أرى للصبا وداعــــا وما يذكــر اجتماعـــــا
كأن لم يكن جديــرا بحفظ الذى أضاعــــا
ولم يصبنا ســـرورا ولم يلهنــا سماعــــا
فجدد وصال صـــب متى تمصــه أطاعــــا (1)

3 — مفهـــوم الحب عند الشاعـــر

لابد من القول في البدايـــة بضرورة الاعتماد على شعـــره واستنطاقـــه ، من أجـــل الوصول الى رؤيـــة واضحـــة ،أو قريب من ذلـــك في قضية هامـــة جداء، وهي الى ذلك تفتقـــر الى مصادر أخـــرى تساعد على شرح الأفكـــار والاتجاهات في شـــعره ،لأنها تبدو في كثير من الاحيان متضاربة ومتناقضـــة ، على أنهـــا تـــظل رغم كل ذلك المنطلق الأساسي لكل استنتاج ،لأنها صدرت عن المعني مباشـــرة، وترجمت بذلك واقعـــه كما أراد أن يظـــهره . وقد سمحت هذه الأفكار المتصلة بهذا الموضوع بتصنيفهـــا بعد جمع شتاتهـــا وإمعان النـــظر فيها إلى أربعة أقســـام ، نتناولها بشيء من التفصيـــــل .

أ — رأيـــه في حبـــه

يمكن تقرير حقيقة تبدو جلية في شعر الغزل عند ابن عبد ربـــه ،وهي ظاهرة عدم الرضا التي خيمت عليه . والظـــاهرة ناتجة دون شك عن الحرمان الذى عانـــى منه، عندمـــا لم تتحقق في الواقـــع تلك المغامرات التي كان يمني بها نفســـه

---

(1) الديـــوان : 173

فجاء شعره ممزوجا بمرارة الحرمان التي لم يستطع اخفاءها ،على أنه يحاول جهده تمويه حقيقة أمره، ويعترف بذلك في قوله :

كتمت الهوى جهدى فجرده الاسى ... بماء البكا هذا يخط وذا يملي (1)

واذا كان حريصا على التكتم، فأنه لم يستطع ذلك ،فكشف أمره اليأس الذى أصابه، حين دعا صراحة الى الكف عن طلب المحال، وعدم انتظار الوصال الذى أصبح بعيد المنال في قوله :

ياطالبا في الهوى ما لا ينال ... وسائلا لم يعف ذل السؤال

لاتلتمس وصلة من مخلف ... ولا تكن طالبا ما لا ينال (2)

ويشبه هذا قوله في شعر آخر له ضمنه الفكرة نفسها ، والتي تتلخص في المطلب المحال أيضا :

ياأيها المشغوف بالحب والتعب ... كم أنت في تقريب ما لا يقترب

دع ود من لا يرعوى إذا غضب ... ومن إذا عاتبته يوما عتب (3)

فالحب في هذه الابيات يتلخص ،في اللذل ، والخلف،وطلب المستحيل، والتعب والارهاق ،ونتج هذا دون شك عن الصدود والهجر الذى كان يلقاه من الطرف الآخر ،فأصبح الحب بسبب ذلك في نظره أسود قاتما نغص عليه حياته وشحنها بأنواع الهموم والاتعاب ،يؤيد هذا قوله أيضا :

---

(1) الديوان : 174

(2) الديوان : 179

(3) الديوان : 25

بحبك عاشرت الهموم صبابة　　　كأني لها ترب وهن لداتي (1)

ويبدو أنه لم يبلغ مراده في علاقاته الغرامية ، فعاش طول حياته مترقبا فرصة تتحقق ، وعكس شعره بصدق هذا الجانب إلا أنه لا يعطينا كل المعلومات من أجل استيفاء البحث في هذا الجانب بكل تفاصيله ، فلا نعرف لابن عبد ربه مثلا قصصا غرامية على نحو ما عرف به شعراء كثيرون اشتهروا بمحبوباتهم ، أو ارتبطت شهرتهن بهم ، ولا يعرف أيضا سبب هذا الكتمان ، ولعله يكمن في الظروف الاجتماعية السائدة في الأندلس ، أو للظروف الخاصة بالشاعر نفسه . فلئن كانت الغاية لم تتحقق ، فأنه متمسك بموقفه ، مصرا على حبه الذى هو قدره المحتوم ، فهو بالطبع لا يملك قوة يعاكس بها القدر كما يقول :

من يتب عن حب معشوقه　　　لست عن حبي له تائبا

فالهوى لي قدر غالب　　　كيف أعصي القدر الغالبا (2)

فما عسى أن تكون الحيلة اذا كان الحب قضاء وقدرا ؟

قضى الله بالحب لي　　　فصبرا على ما قضى (3)

على أنه تفطن الى النتيجة التي انتهى اليها ، فحمّل حبه الذى لم ينصفه تبعة ما أصابه في قوله :

ما أنصف الحب قلبي في حكومته　　　ولا عفا الشوق عني عفو مقتدر (4)

---

(1) الديوان : 27

(2) الديوان : 19

(3) الديوان : 124

(4) الديوان : 74

لو توقفنا عند هذه الأبيـــــات لتبينت لنا نظرة الشاعر الى الحب بوضـــوح ، فهو متأكد من حبه ، مؤمن به ، ولكنـــه متردد في موقفه الذي به يجابه فشلــــه ، فهل سيستسلم للأمر الواقع ويرضى بالقدر ، في حين يستمر على وفاء وعهده . أو يترك الحب جـــانبا ويبتعد عنـــه نهائيا ، ما دام النيل قد أصبح في حكـم المستحـــيل ، ولكنه من جانبه راض على نفسه لأنه — وان أخل الطرف الآخر بالتزماته — فهو قـــد أدى واجـــبه المتمثل في حبها في قوله لهـــا :

أديت من حبي اليك فريضـــة أن كـــان حب الخلق مما يفـــرض (1)

وهو مقتنع بذلك ، يقع عليه جانب من مسؤولية ما حل به ، يحملهـــا نظراتـــه التي سببت له كل هذه المعاناة ، حتى أصبح لا يقوى على تحمـــل لوعة الحب في قوله :

عيني كيف غررتما قلبـــــي وأبحتماه لوعة الحـــــــــب
يا نظرة أذكت على كبــــدي نارا قضيت بحرها نحبـــــــي
خلوا جوى قلبي أكابـــده حسبي مكابدة الجـــوى حسبـــي
عيني جنت من شؤم نظرتهـــا مالا دواء لـــه على قلبــــــي (2)

وهناك ظاهرة أخـــرى لابد من ملاحظتها لدى استعراض عاطفة الحب عند الشاعر ، وهي محاولة تصوير حبه وهو يتأرجح بين نقيضين ، وكأنه تمكن من الجمع بينهمـــا ، ويبدو الشاعر من خلال ذلك قلقا ، مترددا لا يقوى على الاختيار . وفي شعره أمثلة عديدة تعكس هذا الاتجاه عنده كقوله :

يا مذكي النار في فـــؤادي أنت دوائي وأنت دائـــــي (3)

---

(1) الديـــــوان : 122
(2) الديـــــوان : 27
(3) الديـــــوان : 4

أو قولـــه :

وفتنني بلواحظ تشكو الضنى دائي بهن وربما داوينني (1)

ويشبه هذا قوله أيضا معتبرا حبيبه دواء وشفاء، كما هو الداء أيضا :

وأزهر كالعيوق يسعى بزهراء لنا منهما داء وبرء من الداء (2)

وفي هذا المفهوم يندرج البيت التالي ، ففيه يجمل ما فصله في الابيات السابقة ، فالحبيب هو الطبيب ، وهو السقم ، هو الحياة إن رضي ، وهو الموت أن أعرض يقول :

فيا من بعينيه سقامي وصحتي ومن بيديه ميتتي وحياتي (3)

ويبدو أن الحب عند الشاعر لم يكن نزوة من نزوات الشباب العابرة ، وأن بدا في أغلب الاحيان أنه حب من جانب واحد ، وهو أمر يفسر كثرة الألم والشكوى منه في شعره كقوله :

ياطول ليل المبتلى بالهوى وصبحه في ليله أطول (4)

أو قوله مستنجدا :

خذ بكفي لا أمتغرقا أن بحر الحب قد غارا
أنضجت نار الهوى كبدي ودموعي تطفىء النارا (5)

---

(1) الديوان : 225
(2) الديوان : 3
(3) الديوان : 27
(4) الديوان : 186
(5) الديوان : 94

ويظهر الصدق في شهادته التي جاءت في البيت التالي ، وسحابة الحزن بادية فيه ، وأثر الصدق واضح في صيغته ، وهو يحدثنا عن حبه وزفراته ودموعه يقول :

محب طوى كشحا على الزفرات وأنسان عيني خاض في غمرات (1)

وقد يطول بنا الحديث لو تتبعنا الشاعر واستقصينا كل أشعاره في الموضوع ، على أن الأمثلة السابقة المعروضة بالنسبة لهذه النقطة ، كفيلة بأعطاء صورة لا غبار عليها للحب عند ابن عبد ربه . ولنا أن نتساءل عما يمكن استخلاصه من كل هذا .
فأول استنتاج هو أن حبه كان من طرف واحد ، لأنه لم يجد في الجانب الآخر الاستجابة التي كان يمني بها نفسه ، وهذا يؤدى الى الاستنتاج الثاني الذى يتلخص في كون الحب عنده كله معاناة ، فلم ينل وصالا ولم يحظ بقرب ، وظل يجرى وراء سراب نصيبه منه التعب والنصب . أما الاستنتاج الثالث فهو ان ذلك لم ينل من موقفه رغم كل ما أصابه ، فظل مؤمنا بحبه ، متمسكا به ، لأن الحب قدره ولا مفر مما هو مقدر له ، وهو الى ذلك راض عن نفسه حين أدى واجبه المتمثل في حبها ، رضى يجعله يحمل نفسه مسؤولية ما حل به في سبيل الحب إمعانا في الوفاء ، رغم ما لحق به من أذاء تحمله صابرا راضيا . فالحب اذن عند ابن عبد ربه وفاء وتضحية من جانبه فقط ، إيثارا منه لمحبوبه على نفسه ، وهو نموذج يقربه من الحب العذرى وأصحابه .

---

(1) الديوان : 27

ب - شخصيته مع محبوبته

بعد الوقوف على نظرة الشاعر الى الحب عموما فيما سبق ، نخصص هذه الفقرة لشخصية الشاعر تجاه محبوبه .

الجدير بالذكر أولا، هو الاشارة الى المنزلة التي وضع فيها محبوبته، بحيث يظهر أمامها صغيرا ذليلا ، وهو بهذا لا يخرج عن القاعدة ، فالتذلل للمحبوب أمر معروف في الأدباء ، بل استحسنه النقاد القدماء . ودراسة هذا الجانب قد تساعد على الكشف عن حقيقة هؤلاء اللائي قال فيهن هذا الشعر الوفير . ولقائل أن يشك في أمرهن وحقيقة وجودهن ، على أن أقوى دليل يقوم حجة في اثبات وجودهن هو الشعر نفسه ، ما دمنا لا نستطيع رفضه أو الطعن في صحته، خاصة وأن أكثر شعر هذا الباب رواه لنفسه في كتاب العقد .

وثمة دليل آخر يعزز هذا الرأى ، وهو ما ذكرناه في الباب الأول في شأن طبع الشاعر في شبابه، وما عرف عن ميوله وحبه حياة المرح واللهو ، على غرار أدباء وشعراء عصره ، وأن كان قد عدل عن ذلك في أواخر أيامه ، وأعلن توبته ورجوعه .

وهذا لا يعني أن كل ما صرح به في أشعاره يمكن تصديقه، واعتباره أمرا واقعا مسلما به ، لأن ابن عبد ربه شاعر قبل أى اعتبار، ولا شك أن في أشعاره الكثير من القول يندرج في باب الخيال الذى هو الفن المستحسن في الشعراء .

واذا عدنا مرة أخرى الى شعره، وفي موضوع تحمله لمختلف أنواع الذل نجد له أمثلة عديدة في هذا الباب . فحينما يشعر ابن عبد ربه بشدة وطأة الذل عليه ، يكتشف أنه لا يقدر على شيء سوى توجيه العتاب لنفسه في قوله :

أقول لقلبي كلما ضامه الأسى ... اذا ما أبيت العز فاصبر على الذل

برأيك لا رأيـــي تعرضت للهوى   وأمرك لا أمرى وفعلك لا فعلـــــي (1)

فكأن الشاعر مغلوب على أمره، يتنازعه أمران كلاهما مر : العزة التي تعني ضياع الحبيب، والذل الذى يعني ضياع عزته وأنفته . والتردد بين الاختيارين - وكلاهما صعب - نلاحظه في بيت آخـــر له يقول فيـــه :

كـآبة الذل في كتابـــــي   ونخوة العـــز في جوابـــــي (2)

وهذا لا يعني أن الشاعر كان يتحمل الذل راضيا ، انما يقع ذلك منه على مضض، يخفي مرارة في داخله، كما تبين واضحا في البيتين السابقيـــن . وقريب من المعنى المذكور قولـــــه :

اذا ما بـــدا انتهبت عيني محاسنـــه   وذل قلبي لعينيه فينتهـــــــك (3)

وهذا لا يعني أيضا أن الابيات الثلاثة هي كل ما يمكن الاستدلال به على ظاهرة التذلل في أشعاره، لأن فيها كثيرا من الدلالات المماثلة ، اذا لم تكن صفة الذل فيها الغالبـــة، ففيها ما يوحي بوجودها في جـــزء كبير من المعانـــي التي تضمنتهـــا . وقد تساعد الأمثلة التالية على استجلاء بعض هذه المعاني .

أن ابن عبد ربه مثلـــه مثل كل العاشقين يتعرض لظلم حبيبه المتمثل في أحكامـــه الجائرة، الا أنه يتقبل ذلك ويراه عدلا وأنصافا في قولـــه :

بنفسي جائر في الحكـــــم   يلفى جوره عـــــــــدلا (4)

---

(1) الديـــوان : 174
(2) الديـــوان : 20
(3) الديـــوان : 160
(4) الديـــوان : 170

ويمعن في التعبيـــر عن الاستعداد للتضحية في سبيل رضاها ،فيهون كل شيء عليه وان بالغت في الطلب وتمنت قتلـــه ،وهي التي بخلت برد الســـلام،على أنـــه يقابل جفاءهـــا وسوء تصرفها بقولـــه :

بنفسي التي ضنت برد سلامهـــا ولو سألت قتلي وهبت لها قتلـــي (1)

ويصر على الفناء في حبها لان الغاية في نـــظره بلوغ الرضـــا ، ولو أدى الى زواله، ويترجم عن هذا الموقف بقولـــه :

أن رضيتم بأن أمـــو ت فموتي حقيـــــــــر (2)

نجد هذا المعنى في مواطن كثيرة من شعره تعبر معظمها عن غرض رئيسي يتلخـــص في رغبة ملحـــة في التضحية بالنفس والنفيس من أجل المحبوب، من ذلك قوله في الفداء والتضحية بنفســـه :

يامن دمي دونه مسفـــوك وكل حـــر له مملـــــوك (3)

أو قـــوله :

فديت التي قتلت مهجـــتي ولم تتـــق الله في دمهـــا (4)

وشبيه بالبيتين قوله التالي في المعنى نفسه على أن الفداء في هذا البيت مشفوع بالطمع في تلبية الطلـــب،وتحقيق الوصال ،يقول مبتدئا كما بدأ البيت السابق :

---

(1) الديـــوان : 174
(2) الديـــوان : 101
(3) الديـــوان : 159
(4) الديـــوان : 214

فديت التي كانت ولا شيء غيره   منى النفس لو يقضى لها ما تمنت (1)

واذا احتكمنا الى هذه الاشعار، نجد أن حياة ابن عبد ربه العاطفية كانت كلها حرمانا، لأنه لم يستطع أن يخفي ذلك أو بالأحرى، لم يقدر له أن يعيش تجربة سعيدة ويستمتع بها ليصورها، أي أنه ليس لنا أن ننتظر من الشاعر الذى طغى الحرمان على حياته العاطفية، ولا يملك من أمرها غير جانبها السلبي، تصوير الجانب المفقود. فالصدق الفني يفرض انعكاس التجربة التي عاشها الاديب بالفعل.

ويلح الشاعر في تصوير هذه التجربة المرة مع حبيبته، ويقول واصفا حاله ويحملها في الوقت ذاته ذنب ما أصابه :

ويحي قتيلا ما له من عقل   بشادن يهتز مثل النصل (2)

وترتقي المبالغة فوق هذا درجة، وذلك حين يأخذ المعنى السابق ويزيد فيه ليصبح الحبيب مرادفا للموت، أو هو الموت بعينه في قوله التالي :

يافتنة بعثت على الخلق   ما بينها والموت من فرق (3)

وتتعدد الأشعار ولكن الموقف يظل واحدا، وسبيل الخلاص هو الفناء يقول :

دعني أمت من هوى مخدرة   تعلق نفسي بها علائقها (4)

---

(1) الديوان : 26
(2) الديوان : 183
(3) الديوان : 142
(4) الديوان : 156

ويمعن في التعلق بالموت حتى يصبح عنده رمزا للخلاص،ويفضله على ألم الفراق وعذابه في قوله :

أن يوم الفراق أفظع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق (1)

أما في البيتين التاليين ، فيناجيها ويخاطب فيها ضميرها ، محاولا إقناعها ، ويتضح من لهجته التقريرية الهادئة هذه المرارة الارهاق الذى أصابه بسبب عشقه وولهه واكتوائه بنار الحب ، فينعتها بالظالمة في البداية،وبالقاتلة في النهاية ، يقول :

أهكذا ياطلا عاقبتني لا يرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلا نفس وما ذنب بأعظم من سفك الدم (2)

أبرزت الأمثلة السابقة بجلاء مقدار العناء الذى تحمله الشاعر بسبب مواقف الطرف الآخر منه ، كما أظهرت الشاعر في موقف المدافع عن النفس،المبرئ ساحتها من المسؤولية ،لأنه اعطى كل شيء كان يطلب منه حتى روحه،كما تبينه الابيات التالية :

أعطيته ما سالا حكمته لو عدلا
وهبته روحي فما أدرى به ما فعلا (3)

وقد تسلب منه الروح عنوة كما في قوله :

سلبت الروح من بدني وعت القلب بالحزن (4)

---

(1) الديوان : 14
(2) الديوان : 210
(3) الديوان : 185
(4) الديوان : 222

أو يترك قلبه مقيدا عندها :

خليت قلبي في يدى ذات الخال مصفدا مقيدا في الأغـــــــلال (1)

أتاح لنا هذا العرض إلقاء الضـوء على شخصية الشاعر ازاء محبوبتـه ، فمن خلالها لاحظناه شاعرا أنهكـه الحب وأجهده ، ثم أخـفق في مطالبه رغم كل ما أبداه من تذلل وطلب الرضـا ، على أن الأمر الذى لا بد من ملاحظته هو إصراره على إظهار الذل ، ومن أجـل أن يقيم الدليل على وفائه وصدقـه ، يهب حياته ويضعها رهن إشارتهـا ، ويحكمها مصيره راضيا . وقد يقوم موقف كهذا ، دليلا على احترام الشاعر للمـرأة ، وعلى المنزلة الرفيعة التي خصها بهـا في قلبه ، رغم ما أصابـه في سبيلها ، فلم ينقلب الحب كـرها بسبب ذلك كما كان متوقعـا .

ج — صـورة الحب في شعـره

الهدف من طرق هذا الموضوع هو البحث عن مسلك ابن عبد ربه في شعر الغزل ، والتعرف على المعاني التي جـرت على لسانه ، وبعبارة أخـرى الكشف عن لغـة الحب عنده .

1 — اذا كان من الضرورى أن تكون لدى ابن عبد ربه فكرة رئيسية ترددت عنده واشتغل بالحديث عنها كثيرا ، فأن ذلك سيكون دون شك الحديث عن قلبه وذكر ما أصابـه بسبب علاقـاته الغرامية . فكلما أضناه الشوق وأصابه الحرمان ، عمد إلى الشكوى

---

(1) الديـوان ، 189

وتصوير الصراع الذى بداخله وما يعانيه قلبه من شدة الوجد وألمه وعدم القدرة على السلوان . وفي مقدمة هذه المعاني ، النار التي تصلي قلبه ، عبر بها عن معاني عديدة أتاحت له الغوص في أعماق قلبه ، ونتعرف على شيء منها من خلال بعض الأشعار ، وسنلاحظ فيها توارد ألفاظ مثل : ((الحريق)) و ((النار)) و ((الجحيم)) و ((الجوى)) وعبارات مثل ((القادح نارا)) و ((يذكي نارا)) ومعاني مثل ((قلبه أصلي نارا)) و ((قلبه يحترق جوى)) . نلاحظ بعض ذلك في قوله مثلا :

أصلى فؤادي بلا ذنب جوى حرق   لم يبق من مهجتي شيئا ولم يذر (1)

ويتكرر المعنى نفسه في مناسبة أخرى يقول فيها :

يذكين في قلبي وبين جوانحي   حرقا بنار جحيمها أصليني (2)

فمفتاح المعنى واحد في البيتين ويكمن في قوله ((أصلى)) الوارد بلفظه بداية في الأول ، ونهاية في الثاني .

أصبح قلبه هدفها المفضل ، ترميه تارة ، وتارة أخرى تصدعه صدع الزجاج ، أو تقطعه ، أو تغير عليه ، وقد تقيد ، في الأغلال . فالرماية ، والتقطيع ، والاغارة ، والتقييد ، كلها صياغات متعددة لمفهوم واحد ظل يردده الشاعر كما في قوله :

صدعت قلبي صدع الزجاج   ماله من حيلة أو علاج (3)

---

(1) الديوان : 74

(2) الديوان : 225

(3) الديوان : 34

أو قولـــه :

رميت فؤادي فـمــا ترکت به منهضـــا (1)

ويشغله التفكير في مصير قلبه الذي أصبح رهينة بين يديها،لا يملك من أمره شيئا إلا أنه يقرر ذلك معترفا بواقعه وكأنه راض بما حل به،لا يستطيع فك قيده، يـقـــول :

خليت قلبــي في يدى ذات الخال مصفـدا مقيدا في الاغـــلال (2)

وقد يكون قلبه معه ولكـــنه مقيدا بين الضلوع في قوله :

قلبي رهين بين أضـلاعــي من بين إينـاس وأطـــمـــاع (3)

وابن عبد ربه مثله مثل أغلب العاشقين، حين اشتد به الحنيـن واستبد به ،تمنى قلبـــه الطيران إلى محبوبته، وعبر عن ذلك في قوله :

يطير إليك من شوق فـــؤادى ولكن ليس تتركه الضـــلوع (4)

ولكن قلبه يتمكن من ذلك في البيتين التـاليين، فيطير إليها ثم يطلب استرجاعـه ، يقول في الأول :

ابغ لي عندك قلبـــا طار من بين ضلـــوعي (5)

أما في الثاني، فموقفه فيه يوحي بالاستسلام والقبول بالأمر الواقع عـنـدما طار قلبه في قوله:

---

(1) الديـوان : 124
(2) الديـوان : 189
(3) الديـوان: 136
(4) الديـوان : 134
(5) الديـوان : 133

طار قلبي بحبهـــا   من لقلـــب بطيـــر (1)

وفي هذا المعنى يعرض علينا ابن عبد ربه صورة واقعية لطيفة ، تنم عن روح خفيفة مرحة غير مألوفة من الشاعر في مثل هذه المواقف ، وهي لا تخلو من طرافة ، عرضها الشاعر على حقيقتها كما يفترض أنها حدثت ، فجاءت الصورة بسبب ذلك قريبة واضحة ، حين عبر عن حركة وضع اليد على قلبه ليمنعه من الطيران عندما فاجأته حبيبته بنظراتها من بين الستور :

ما رنقت عيناك لـــي   بين الأكلة والستـــور

إلا وضعت يـــدي علـــى   قلبي مخافة أن يطيـــر (2)

وهذه صورة أخرى يحكي ابن عبد ربه قصة غارة تخيلها وقعت على قلبه من طرف حبيبته ، فلما أراد استرجاع ما أخذ منه ، خسر الجولة ، وتعرض عقله بالاضافة إلى ذلك فأصبح الشاعر ضحية لغارة ثانية . صور كل هذه المعاني في بيت واحد جميل يقول فيه :

أغار على قلبي فلما أتيتـــه   أطالبه فيه أغار على عقلـــي (3)

ونتساءل في النهاية مع الشاعر عما يمكن أن يبقى من هذه المضغة التي يحملها بين جوانحه بعد كل هذا العناء الذى عبرت عنه الابيات المذكورة ؟ يوجد جواب ذلك عند ابن عبد ربه حين وصف لنا ما تبقى من قلبه ، وصفا ينطبق بصدق مع ما لمسناه في شعره حين فتح لنا قلبه فاتضحت صورته في أذهاننا كما أظهرها قوله التالي :

---

(1) الديـــوان : 101

(2) الديـــوان : 97

(3) الديـــوان : 174

لـــم يبـــق من قلبي ســـوى رسم تغيـــر نهـــــــــــــو دارس(1)

ذلك هو وقع الحب على قلب الشاعر ، وتلك هي النتيجة التي انتهى إليهـــا بعد هذه المغامرات الشاقة المضنية ، وتحمله كل أنواع الأذى ، فأصبح هدفها المفـــضل من أجل ذلك اشتكى كثيرا النار التي أحرقت قلبه من شدة الوجد ، فرأينا كيف أصبح قلبه مقيـدا مغلولا عند هـــا ، على أنه يفلت منه ويطير إليها فيسـتقر عندها ، وحينئذ يناجيها مطالبا رد قلبه اليه ، ثم رأيناه في نهاية المطاف محطما مهشما وكأنه آثار دارســـة .

2 ـ تلك هي الأطوار التي مرت به وتحمل وقعها كما أراد تشخيصها . بقي أن نعرف كيف تعيش صورتها في خياله حين يكون بعيدا عنهـــا ، ويظل ذهنه مشغولا بالتفكير فيهـــا مع ذلك كقولــــه :

فكيف ولي قلب اذا صبت الصبـــا أهاب بشوق في الضلوع دفيـــن (2)

ويسلك ابن عبد ربه في البيت التالي منهجا آخـــر في التعبير ليعلن عن شدة تعلقـــه بمن أحـــب ، لانه ظل محافظـا على عهـــده ، متمسكا بوفائه ، صادقا في عاطفتـه ، وهذا بين في قولـــه :

فما لي من تذكرك امتـــنــــاع ودون لقاءك الحصن المنيـــــــــع (3)

وحين تلح عليه الذكرى تتحول الى وقائع مجسدة في عالمه ، ومشخصة بمثول الحبيـــب بين يديه ، ينقل الينا مشهدا حسيـــا لما حدث في ذلك اللقاء ، مع وصف جميل لوقائـــع تلك الزيارة ووقعها على نفسه واســـتبشاره . ويتبين لنا من الابيـــا ت التاليـــة

---

(1) الديــــوان : 114
(2) الديـــوان : 216
(3) الديـــوان : 134

التي ورد فيهـــا هذا الوصف كيف كان ابن عبد ربه يسعد ويرضى بـــاللقاء ، ويعد زيارة الطيف في المنام مكسبا يجد فيه بديلا لما فقده في الواقع . يقول في هذه الابيات:

ســـرى طيف الحبيب على البعـــاد ليصلح بين عيني والرقـــــــــاد
فبات الى الصباح يـــدى وســاد لوجنتـــه كما يـــدى وســـــادى
بنفسي من أعاد الي نفســــي ورد الى جوانحه فـــــــــؤادى
خيال زارني لما رآنـــــــي عدتني عن زيارته عـــــــوادى
يواصلني على الهجران منـــــه ويدنيني على طول البعـــــاد (1)

جميل ربطه في البيت الأول بين الاطراف الثلاثـــة التي جمعها في مخيلتـــه، وبعـــث فيها الحياة، فأصبح الزائـــر في الخيال وكأنه موجود في عالم الواقع حقيقـــة ، وأجمل منه التعبير عنده عن السعادة والابتهاج بالنوم الذى أتاح له فرصة اللقـــاء بطيف الحبيب ، وكان في السابق لا يعرف للنوم طعمـــا . كل هذا في تعبير جميـــل موجز جامع في قوله : ((ليصلح بين عيني والرقـــاد)) .

والذى يمكن التنويـــه به في غزل ابن عبد ربه هو المقدرة الكبيرة عنده في تسخيــــر اللغة وتطويعها للمعنى الذى يريد أن يـــؤديه دون تصنع، وهو يجمع في وقت واحـــد بين عمق الـــمعنى وبعده، وسلاسة اللفظ وعذوبته .

ثم لايلبث خيـــال الحبيب الـــــذى كان يزوره في المنام أن يهجره بدوره لأنـــه تعلم الهجر منه كما يقول ، فأصبح يتحمل حرمانين اثنيـــن : حرمان من الحبيـــب وحرمان من الخيال، يعبر عن ذلك في بيتين جميلين بقـــوله :

وصد الخيال الواصلي منك في الكرى بصدك عني فـــالفـؤاد مشـــــــــوق

---

(1) الديـــوان : 63

تعلم منك الهجر لما هجرتـــه　　　فليس له في مقلتـــي طريـــــــق (1)

وحين يمعن المعشوق في الصدود ، يتولد لدى الشاعر بفعل الزمن ميل الى العزوف والنسيان ، وهو ما يـــؤكده في المثال التالي مضيفا اليه شيئا جديدا هو السلوان ، لانه الحل الذى اقتنع بضرورة تبنيه مرغما ، على أنـــه موقف لم يتـكـرر في شعره ولم يسبق له أن أعلن صراحة عن اجـــراء مماثل ، لانه لا يبادل هـــجرا بهجر ، فالوفاء طبع فيه بصرف النـــظر عن موقف الطرف الثاني منـــه ، وهي صفة مثالية في الأديب يبرزها شـــعره . يقول متؤكـدا المعنى السابق ، مضيفا المعنى الجديد المشار اليه :

تعلم منه الهجر طيف خيالـــه　　　هدوا فما يلقاه طيف خيالـــــــــي

وأعرض حتى كاد يعرض في المنى　　　ويمنع ذكراه الخطور ببـــــــالـي (2)

حرص الشاعر وهو يعلن عن موقفه السلبي لأول مـــرة على إظهـــاره مع ذلك في سيـــاق لطف من حدّته ، استعمال لهجة خفيفة ، فيها كثير من المرونة ، ويبدو ذلـــك في قولـــه : ((حتى كاد يعرض في المنـــى)) فلم يتعمد الجـــزم وكأنه متمسك بخيط من الأمل في تغيير الموقف ليستبدل الحرمان بالوصال ، والبعاد بالقرب ، والفراق باللقـــاء ، وأن كان اليأس قد تغلب والأمـــل قد ضـــاع .

واضح من هذه الامثلة اهتمام ابن عبد ربه البالغ بعدم النيل من مكانة محبوبته وبمحاولة التستـــر ، والسيطرة على اللغة وعلى الاوصاف التي يستعملها ، وحسن التصرف في المواقف الحرجة ، فنحن نلاحظ عاطفة الحب حتى في الاعلان عن السلوان ونسيان الحبيب كما في البيت الثاني من المثال الأخـــير .

---

(1) الديـــوان : 143
(2) الديـــوان : 177

3 - وينبئ شعر ابن عبد ربه عن مظهر آخر من مظاهر الحب عنده ، وقد ورد في مناسبات عديدة وصف الأرق وشغلت هذه الظاهرة - الى جانب ما سبق - بال الشاعر واستعملها وسيلة للتعبير عن حبه كلما هيجته الذكرى في الليل ، لأنه التربة الصالحة لذلك مثاله قوله يشكو الارق والحرمان ، وحتى من اللقاء في الخيال ، كما رأينا ذلك في الفقرة السابقة ويقرنه بالأرق هنا ، يقول :

سلب الكرى عيني وألبسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله (1)

ويتكرر ذكر الأرق وأسبابه ، وغالبا ما يحمل فيها حبيبه مسؤولية سهره ، وطول ليله الذى لا نهاية له ، كقوله يستهل قصيدة طويلة بذكر الأرق :

أرقت وقلبي عنك ليس يفيق وأسعدت أعدائي وأنت صديق (2)

يتقن ابن عبد ربه صناعة الصورة التي يريد التعبير بها عن المعنى الذى يجول في ذهنه ، فبعد أن قضى الليلة ساهرا بدونها ، يخاطب محبوبه واصفا ما حل به في بيتين جميلين يقول فيهما :

تجافى النوم بعدك عن جفوني ولكن ليس تجفو ها الدموع
يطيب لي السهاد اذا افترقنا وأنت به يطيب لك الهجوع (3)

يجمع الشاعر في هذين البيتين بين ألم الفراق وطول السهر والبكاء ، ويلهو باللفظ في البيت الأول ، وبالمعنى في البيت الثاني بقوله ((يطيب لي السهاد)) وهو يريد إظهار العكس ، أو كأنه يريد أن يقول لحبيبه : ما دمت تتمتع بنومك الهانئ

---

(1) الديوان : 238
(2) الديوان : 143
(3) الديوان : 134

الطيب ، فأ نا أرضى بسبب هنائك بنصيبي من الأرق والسهاد ما دامت سعادتك تسعدني . فطيب نوم الحبيب دليل على خلو القلب من الهموم التي لا تعرف الطريق إليه بينما هو يشقى ويحرم من النوم ، كقوله يناجيها :

ياخلي الدرع نم في غبطة   أن من فارقته لم ينم (1)

وفي البيتين التاليين يعمد الى السهاد فيجسده ، ويجعله يقوم بأملاء مضمون رسالة الشوق الموجهة ، بينما هو يقوم بالكتابة ، وتمده الدموع بالمداد . واختيار السهاد للقيام بمهمة الاملاء في هذه المقطوعة لم يأت من طرف الشاعر عفوا ، لان الارق فعلا يلهم بالافكار التي تتضمنها رسائل العشاق ، نلاحظ ذلك في قوله:

كتاب الشوق يطويه الفؤاد   ومن فيض الدموع له مداد

تخط يد البكاء به سطورا   على كبدي ويمليها السهاد (2)

وبعد هذا ألا يحق لنا أن نعد هذا دليلا قويا على صدق الشاعر في غزله ، وبأن شعر الغزل عنده يصدر عن تجربة حقيقية مر بها ؟ .

خلاصة القول في كل ما تقدم ، يعبر عنها الشاعر نفسه ، فيوجز في بيت واحد كل ما أصابه من سهاد ودموع ، وما لحق بعقله وفؤاده ، بسبب هذا الحب الذي أقض مضجعه ، وأسال دموعه ، وأذهب عقله ، وسلب منه قلبه يقول :

فؤادي رميت وعقلي سبيت   ودمعي مريت ونومي نفيت (3)

ولعل الشاعر بتأكيده على ظاهرة الأرق وصبره عليها يريد أن يعطي دليلا آخر على قبوله وتحمله ما أصابه وفاء منه لحبه .

---

(1) الديوان : 203
(2) الديوان : 43
(3) الديوان ، 29

د ـ الشـوق والحنيـن

مع هذا الموضوع الرابع نأتي الى ما يمكن أن يعد بمثابة الانتهاء إلى نقطة الوصول في مسيرته الطويلة، من أجل محاولة الكشف عنها والتعرف على طبيعتها، فالنهاية لابد أن تكون مرضية أو غير ذلك، لأن ابن عبد ربه كغيره من الشعراء العاشقيـن لا يمكن أن يقف به الامر عند الشكوى، بل أن سعيه، وحرصه يهدفان إلى تحقيق الوصال، فهل تم له ما أراد ؟

قد يصعب على الباحث تأكيد الجواب نفيا أو إيجابا فالغموض لا يزال يكتنف هذه الجوانب من حياة الشاعر لاننا لا نعرف بعد على وجه الدقة ماذا كان واقعه في حقيقة الامر. على أن هذا لا يمنعنا من محاولة الكشف عن مواقفه في شعره بالنسبة لهذا الموضوع من خلال ثلاث مراحل : الاولى مرحلة المناجاة . الثانية مرحلة بين اليأس والرجاء . الثالثة مرحلة الوصال .

* المنـاجـاة

من مظاهر حبه في شعره مناجاة الحبيب وتوجيه الخطاب إليه، محاولا استعطافه عندما أعياه الانتظار كقوله :

أدعو إليك فلا دعاء يسمـع   يامن يضر بنا ظريه وينفـع (1)

ويوحي البيت في صيغته عن عدم حصول الشاعر على شيء . وقد أكثر من الخطاب والمناجاة وهي خاصيـة وجدت عند شعراء الغزل، ولم ينفرد بها ابن عبد ربه وهي تقوم دليلا آخر على البعد الموجود بين الطرفين، وعلى صعوبة الاتصال، لأن النداء

---

(1) الديـوان : 129

أصبح غير مسموع ، ووجـــود صيغة النداء تستدعي افتراض بعد المنادي عن المنادى وأن كان يـــراه . وفي البيت التالـــي يناديهـــا وينعتها بالظالمة لأنه ظـل وفيا لهـــا ، بينما قابلت الوفاء بالقطيعـــة :

ظالمتي في الهوى لا تظلمـــي   فتصرمي حبل من لـــم يصـــــــرم (1)

ويخاطب فيها ضميرها وينزهـــه عن قبول الظلـــم ، وهو بسبب ذلك يأمـــل أن يتغـــير موقفهـــا . ويلح في الشكوى ويبالغ في الوصف ، فيقول مستنجـــدا مستغيثـــا :

يامجيل الروح في جســـــدي   والذى يفتــر عن بــــــــــرد
وفريد الحسن واحــــــــد ،   منتهاه منتهى العــــــــــدد
خذ بكفي إنني غـــــــرق   في بحار جمة المـــــــدد (2)

ويبدو أن هذه اليد التي استنجد بهـــا لم تمد إليـــه ، وظل يصارع أحزانـــه ، ويلتمس نورا يخرجه من الظلمات التي أصبح يتخبط فيهـــا . وبهذا المعنى يتوجه إليها بالنداء مـــرة أخـــرى ملتمسا عندها نـــورا ، وفي مقدورها لو شاءت أزاحة الظـــلام عنه يقـــول :

ياقضيبـــا فوق دعص نقـــا   وكثيب تحت تمثال عـــــــاج
أنت نوري في ظلام الدجـــى   وسراجي عند فقد الســـــراج (3)

وواضح من هذا البيت الأخـــير مدى استعطاف الحبيب الذى لم يحفل به ولم يلتفت اليه ، رغم مـــا أبـــداه من تواضع وتذلل وتعلق به ، ولكن موقف الشاعر ظل ثابتـــا

---

(1) الديـــوان : 210
(2) الديـــوان : 49
(3) الديـــوان : 34

لا يتأثر برد ود الفعل لأنه يرى منها الجانب الجميل فقط . وما لمسناه في البيتين السابقين نجده أيضا في البيتين التاليين ، خصص البيت الأول أيضا لوصفها ، وضمن البيت الثاني — كما فعل في مثيله من قبل — ما دلّ على تواضعه وتذلله، حتى ود لو أصبح خده بساطا تمشي عليه في قوله :

يا غصنا مائسا بين الرياط مالي بالعيش بعدك اغتباط
يامن إذا ما بدا لي ماشيا وددت أن له خدي بساط (1)

* بين اليأس والرجاء

يرمي الشاعر من وراء المناجاة استمالتها واستعطافها بشتى الصيغ التي استعرضنا بعضها للوصول الى تحقيق الوصال الذى عزعليه ، من أجل ذلك شغل الوصال كل تفكيره، وعكس شعره بصدق ذلك الانشغال والقلق الذى لم يكن ليظهره لو أدرك بعض ما أراد ، من أجل ذلك يمكن تقرير حقيقة منذ البداية وهي أن مفهوم الحرمان وأن تعددت أشكال التعبير عنه ، يطغى على موضوع شعره هنا فيضطر الشاعر بفعل ذلك إلى الاكتفاء بالظهور في موقف من يطالب بشيء عزيز المنال، أو في حكم المستحيل، كقوله :

لا تلتمس وصلة من مخلف ولا تكن طالبا ما لا ينال (2)

على أنه وردت حالة واحدة وهي فريدة في شعره جاء فيها طلب تحديد موعد لقاء من طرفها في قوله :

---

(1) الديوان : 125
(2) الديوان : 179

ودعتني بزفرة واعتنـــــاق   ثم نادت متى يكون التـــــلاقي (1)

وباستثناء هذه الحالة التي ظـــهر فيها الحبيب طالبا ،فأن كل أشعاره في موضـوع الوصـــال هي تلك التي يبدو فيها الشاعـــر راغبا مستجديا ، ويأتي الجواب بالسلب في معظم الحالات التي وصفهـــا ،كهذا الرد الصريح الذى جاء في الحوار التالـــي بيـــن الاثنيـــن :

إذا ما قلت أين الوصـــل ؟ قالت   طلبت العز في دار الهـــوان (2)

وقد لا يكون الرد في نفس المستوى من الصراحة السابقة الا أنه جواب لا يوحـــي بطمع في لقاء، نلاحظ ذلك في حوار آخـــر مماثل للسابق يقول فيه :

قلت متى نلتقي ياسيـــــدي   قال غدا عند الصـــــراط (3)

تظهر هذه الامثلة الرفض الذى كان يصادف الشاعر كلما طرق باب الحبيـــب ،والجفاء الذى كان يتعرض له ، وتبرز في الوقت ذاته نمطا معينا في التعامل سنه ابن عبد ربـــــه على نفســـــه واتخـــذه سبيلا ، ويتمثل ذلك في إصراره على مواصلة الطلـــب دون ملل ، لا ينال من عزمه الرفـــض ولا يؤثر في صيغة أسلوبه ولهجتـــه ، وظل محافظا على توازنه مراقبا ألفاظـــه ومعانيه ،لأنه لم يفقد الأمل في لقاء يمني به نفسه ،رغـم ما يلاقيه من عناء وضيق كقولـــــه :

متى أشفي غليلـــــي   بنيل من بخيـــــل (4)

---

(1) الديـــوان : 147
(2) الديـــوان: 226
(3) الديـــوان : 125
(4) الديـــوان: 181

والتساؤل عن الـزمن هنا يعني اليأس من حلوله . ويلجأ إلى استعمال تجربة أخرى في البيت التالي ، وهي مخاطبة عاطفتها الدينية التي تأبى قتل النفس بطبعها ، ويبدو من السياق أنها عللت هجرها بتحريم الدين لذلك النوع من العلاقة ، فأنكر الشاعر عليها لأنها بعملها هذا تكون قد فرت من محظور لتقع فيما هو أكبر منه ، يقول في هذا المعنى :

وجدت وصلي في الكتاب محرما　　　وجدت قتلي فيه غير محرم (1)

وفي مجال الحلال والحرام ، يصادفنا بيت آخر شبيه بهذا ، عللت فيه الوصل بالفعل الحرام ، والهجر بالتالي حلال :

تحسب الهجر حلالا لها　　　وترى الوصل عليها حرام (2)

وننتهي ببيت جميل يمكن اعتباره من أحسن الأبيات التي قالها في الوصل ، ولكنه وصل يفضل عليه الهجر ، فالشاعر مبالغ في صورته دون شك ولا يعقل أن الهجر أحلى من الوصل ، وما ذهب إليه لا يتلائم وما عرف عنه ، على أننا نلمس فيه رغم ذلك سلوكا معينا من طرف الشاعر ينم عن شدة تعلقه وو فائه ، وعدم اهتمامه بالنتيجة فقط ، حتى أنه يرضى بالصدود حين يقدم له في طبق شهي يزينه الخلق الحميد ، كالحياء هنا في قوله :

إذا جئتها صدت حياء بوجهها　　　فتهجرني هجرا ألذ من الوصل (3)

---

(1) الديوان : 212
(2) الديوان : 208
(3) الديوان : 174

* الوصـــــــــــال

بعد هذا الاستقراء لأفكار الشاعر التي وصف من خلالها حالــه، وعبر عن شعوره وآلام نفسه، يحق لنا أن نتساءل عن نصيبه من الوصــل، وهل في شعره ما يدل على الحصول بنصيب منـــه ؟ . الحقيقة أن نصيب الوصال مــــن شعره قليل جدا إذا قيس بنقيضـــه، وتعني هذه القلة أحـــد أمـــرين : أما أن الحرمان مسلم به وتعرض له بالفصـــل وهو ما توحي به أشعاره، أو أنـــه أغفـــل رواية شعر الوصال ولــم يشأ أن يحدثنا عن وقائعه قصدا . ورغم ذلك توجـــد بعض إشارات في أبيات معدودة يمكن التوصل بها إلى القول بأنه قد تحقق له بعض ما أراد . من ذلك البيتان التاليان :

كم جنة لك قد سكنت ظلالهـــا متفكها في لذة وتنعـــــــــــم
وشربت من خمر العيون تعلـــلا فإذا انتشيت أجود جود المـــــرزم (1)

وقد يتم له ذلك في مناسبة أخـــرى على أنه حدث خلسة هذه المـــرة في قولـــه التالـــــــي :

فلا نيل إلا أن أخالس لحظـــة ولا وصل ألا أن ينـــم شهيـــــق (2)

وتوحي أخيرا الأبيات التاليـــة بأنـــه عاش فعلا تجربة الحب التي طال انتظارهـــا :

كأنما بات ناعما جـــــذلا في جنة الخلد من يعانقهـــــا
وأي شيء ألذ من أمـــــل نالته معشوقة وعاشقهـــــا

---

(1) الديـــوان : 212
(2) الديـــوان : 143

دعني أمت من هوى مخـــدرة تعلق نفسي بها علا ثقهـــــــــا (1)

وما عدا هذه الاشارات الصريحة الى احتمال وقوع وصال من خلال اعترافاته في أشعاره ، فأننا لا نملك دليلا ماديا ملموسا يعزز هذا أو ينفيـــه .

4 ــ أثر تجربة الحب في الشاعـــــر

يجب الانطلاق من فرضية ينبغي التسليم بهـــا مبدئيا من أجـــل الشروع في دراسة هذا الجانب في الشاعـــر ، وتقضي هذه الفرضية بوجود درجة من الصدق الفني في شعر هذا الباب من أجـــل مناقشته واستخلاص ما يمكن أيقوم د لـــيلا يسترشد به للوصل الى حكم لا يكون بالطبع عين الحقيقة ،ولكنه يحمل في طياته جـــزءا منهـــا. عمد ابن عبد ربه الى إخفاء بعض الجـــوانب في حياته الغرامية، ولم يرد أن يبوح بهـــا كما مرت الاشارة اليه سابقـــا ،على أننا نجده في هذا الموضوع على النقيـــض من ذلك،لان شعره الذى أمكـــن جمعه حافل بصور كثيرة عكست لوعته وصبابته،لأنـــه أطلق لنفسه الشاعرة العنان ،فجاء شعره وافـــرا ومعبرا ،نحاول استعراض بعض نماذج ترجمت عن مجمـــــل الافكار والمعاني التي وردت عنده في هذا الموضـــوع ،واقتضى تصنيفها بعد جمع شتاتهـــا في أربع قضايا أساسية يمكن عرضها مرحليـــا ، وحسب أطوارها على الشكل التالي :

أشعار تصور الاسى والحـــزن. متبوعة بأخـــرى تنم عن عدم تحمله الصبـــر. ينتج عنه فـــي المرحلة الثالثة الجـــزع والبكاء في شعره. ثم ينتهي به الأ ـــر إلى المرض والاستســـــلام .

---

(1) الديـــــوان : 156

أ ـ الأســــى والحـــزن

يتقلنا ابن عبد ربه في شعره هذا الى أعماق نفسـه ، ويعبر به عن تأثيـر تجربة الحب فيه فيقول :

مخب طوى كشحا على الزفـرات   وانسان عيني خاض في غمـرات
بحبك عاشرت الهموم صبابـة   كأني لها تـرب وهن لداتـي (1)

تساوى البيتان في قوة التعبير وحسن التصوير ، فشحن البيتين بمفردات مثـل : ((الزفـرات)) و ((الغمـرات)) و ((الهموم)) و ((الصبابة))

وهو يهدف الى الاعتماد على ألفاظ قوية من أجل الوصول بها الى مستوى قوة المعنى المراد بلـوغه ، فتحقق للشاعر ذلك دون شـك .

تدل أشعار كثيرة على حرصه البالغ والعناية بتصوير لواعج نفسـه ، من ذلك البيت التالي الذى تبدو فيه الدنيا في نـظره ضيقة لا تتسع لموطئ قدم ، يقول واصفا حاله :

ضاقت علي الارض مذ صرمـت   حبلي فما فيها مكان قـدم (2)

ويزداد حزنه ويجد الألم في نفس الشاعر مكمنا ، قد يثيره نوح الحمـام ليجد فيـه متنفسا لحاله فيعبر عن ذلك بقوله التالـي الذى لا نلمس فيه قوة البيتين السابقين ، على أننا نعثر فيه على شيء آخـر أكثر تعبير وهو ذلك الجو الذى يوحي بالحزن العميق ووفق الشاعر في تصويره بواسطة لغة ملائمة خافتة حزينة ، رأينا الشاعر فيها ، مستسلما

---

(1) الديـوان ، 27
(2) الديـوان ، 213

لمصيره راضيا به لأنه وجد بجانبه حمامة تشاركه حـــزنه وتخفف عنه بعضه يقول :

وأن ارتياحي من بكاء حمامـــة كذى شجن داويته بشجــــــــون
كأن حمام الأيك حين تجاوبـــت حــزين بكـــي من رحمة لحـــــزين (1)

ظهر جليا في أشعار ابن عبد ربه تصوير الحـــزن في أطوار مختلفة وبصيغ متعددة تعتـــني جميعها بتقريب الحقيقة ، ووفق الشاعر في ذلك ولانت له قصيـــدته . من ذلك البيتان التاليان يعرض فيهما حاله ويصرح بأشجانه ، وينطبق عليه ما لاحظناه فـــي البيتين السابقين من مظاهر الأسى العمـــيق ، واللغة الهادئة الكئيبة المناسبة للألم المعبر عنه ، يقول :

ينبيك أنك لم تجد وجـــــدى ما خدت العبرات من خـــــــــدي
نام الخلي على الشجي بـــــه وجفا الملول ولج في الصـــــــد (2)

وقد التزم الشاعر بهذا النهج كلما أراد التعبير عن هذا الجانب في حياته العاطفيـــة ، لأن نصيبه الحرمان والحـــزن كما يقول :

غزال ليس لي منـــــــــه سوى الحزن الطويـــــــــل (3)

ويمعن في تصوير هذا الحرمان ويعطينا مثالا على ذلك في البيت التالـــي، يساند ما ورد في البيت السابق ويدعمـــه ، لأنـــه حرم من كل شيء حتى من القبلة التي أصبح يمني بها نفسه ، وفي أمكانهـــا لو شاءت تخفيف بعض الحزن والألـــم يقـول :

---

(1) الديـــوان : 216
(2) الديـــوان : 62
(3) الديـــوان : 181

هل لمحزون كئيب قبلـــة   منك يشفي بردهـا حر الغليـــل . (1)

ب ـ الجـــزع واليـــــأس

عندما يطول الانتظار ولا ينال المترقب من ورائـــه شيئا ، يتولد عند ذلك فيه شعور باليأس ، وهو ما حـــدث لشاعرنا لأن النتيجة التي انتهى اليها، أقنعتـــه بضرورة اليأس، ألا أنه لا يتحمل الصبـــر يقول :

ما أقرب اليأس من رجـــائـي   وأبعد الصبـــر من بكائـــي (2)

وهذا يعزز ترجيح جانب الصدق عند الشاعر ، يساند هذا الرأى ويؤيد صحتـــه ، وجود الأتجاه نفسه في أشعار متفرقة في الديوان يجمع بينها على تباعدها معنى واحد فرض نفسه بقوة وربـــط بينهـــا ، وهو هذا الألم الدفيـــن الذى لازم الشاعر وكأنه جـــزء من شخصيته يرافقه كظلـــه ويظهر في كل شعره من ذلك قولـــه :

وتأبى علي الصبر نفس كئيبـــة   وقلب بألطاف الهموم رقيـــق (3)

ويظل على هذه الحال من عدم الصبر ، يشكو الصدود ويفيض وجـــدا وقد أصبح الصبر عنه بعيـــدا في قوله :

يصد اصطبارى اذا ما صددت   وينأى عزائي اذا ما نأيـــت (4)

ولا يلذ له عيش حين يفقد الصبر، ويتساءل مستنكرا وهو يريد بذلك تقرير حقيقة لا مناص

---

(1) الديـــوان : 182

(2) الديـــوان : 4

(3) الديـــوان : 143

(4) الديـــوان : 29

من التسليم بها في نظـــره ، فعزاؤه الذى نـــأى عنه في البيت السابـــق ، يصبح في البيت التالي ميتـــا ، وكذا الشأ ن بالنسبة للصبر الذى ورد ذكـــره في البيتين ، الا أنه في البيت السابق صدوده ، وفي البيت التالي موت. يقول الشاعر في هذا المعنى :

كيف لي أن ألذ بعيـــــــش   مات صبري به ومات عـــزائـــــــي (1)

ج - دمـــــــوع وبكـــــــاء

كل ما تقدم قوله ، يمكن أن يعد مقدمة أو تمهيدا لهذا المصيـــر الذى آل اليه، وهي نهاية حتمية كان لا بد للشـــاعر أن يصل اليها ، وهو ما اتفقت الابيات التالية على اظهاره ، فزيادة على ما لمسناه من خلال الامثلة السابقة ، فأن الذى يميـــز الأشعار التالية بالاضافة الى ما سبق ذكره ، هو التعبير بكثرة الدموع عن الافراط في البكـاء معبرا عن تجارب مر بها وفرضت عليه القول . واذا تساءلنا عن أسباب بكائـــه وجدناها متمثلة في : شدة الشوق ، وحرقة البعاد ، ومرارة السهر ، فمن الاول قولـــه :

كتب الدمع بخدى عهـــــــده   للهوى والشوق يملي ما كتــــــب (2)

وقولـــه :

وأخرس لفظي وهو ليس بأخـــرس   وأنطق دمـــعي وهو ليس بناطـــق (3)
فيا بأبي تلك الدموع التي همـــت   فدلت على مكنون تلك العلائــــــق

---

(1) الديـــوان : 5
(2) الديـــوان : 21
(3) الديـــوان : 154

وفي بيت آخـــر يبين كيف أصبحـت الدمـوع مطـرا ينزل، ويعبر عن ذلك بـصورة فيها السماء التي تمطر، والارض التي تستقبل المطر، فالعين هي السماء، والدموع المـطر، وأما الخد فهو أرضها، في قوله :

فخدى أرض للدموع ومقلتـي سماء لها تنهل بالعبـرات (1)

وحصاد هذا المطر دون شك الأسـى والحزن . ومن الثاني وهو حرقة البعد، قوله الذى يظهر كثرة بكائه، لأنه استنفذ الدمع بسبب ذلك :

بكيت حتى لم أدع عبـرة أذ حملوا الهودج فوق القلـوص

بكاء يعقوب على يوسـف حتى شفى غلته بالقميـص (2)

فكما تمثل هذه الأشعار جانبا من أفكـار الشاعر، فإنها تعكس أيضـا إخلاصـه، وتعطي صورة عن العاطفة التي تبين ارتباطه الوثيـق بمن أحب، لانه ظل يفكـر، ويحن، ويتحسر، وكأنه حريص في كل المناسبات على الظهور بمظهـر المحافظ على العهد، الوفي لوعده .

ويتبين المعنى الثالث وهو ارتباط الدموع بالارق في الأبيات الثلاثة التالية، لان وجوده يـدل على مقدار العنـاء الذى كان يصيبه ليلا . يقول في الأول وقد كثـرت دموعه وأبعدت نومه :

وجفونا تذرى الدموع آسـى وتبيع الرقاد بالسهـد (3)

أمـا الثاني ، فيوضح فيه، العلاقة بين الدموع والأرق، وبين ما أصيب من هموم وبعد

---

(1) الديـوان : 27

(2) الديـوان : 121

(3) الديـوان : 67

عقد مقارنة بينهما ، يجـــد نفسه مقيدا بالارق ، ولكن دموعه طليقة ، وهو يريد من وراء تلك المقارنة إظهار معاكسة القدر لـــه ، وحصوله دائما على عكس ما يتمناه ، وذلك في قوله :

سهاد ودمع بالهموم توكـــلا فذا موثـــق فيها وذاك طليـــق (1)

وفي المثال الثالث يعقد مقارنة أخـــرى باتباعه أسلوب البيت السابق ، فجفاء النوم له يقابله هنا عدم جفاء الدموع عينيه ، وكان يتمنى أن يحدث العكس ، فتكف الدموع وينام هنيئـــا ، وهو شيء لم يتحقق له بسبب ابتعاد الحبيب فيقول :

تجافى النوم بعدك عن جفونـــي ولكن ليس تجفوها الدمـــوع (2)

د ـ المـــــرض والاستســـلام

ويمر ابن عبد ربه بفترات طويلة من الحزن ، يستسلم بعدها لليأس فينطوي على نفسه ويكتفي بوصف المصير الذي آل إليه ، لأن الشكوى أصبحت لا تجدي نفعـــا ، ولم يعد عنده أي رجاء في تحقيق الأمـــل ، يقول :

شكوت ما بي إليك وجـــدا فلم ترق ولـــم تبـــال (3)

هذه هي نهاية قصة ابن عبد ربه الغراميـــة ، وهي نهاية حزينة مثله في ذلك مثل العشرات من الشعراء العشاق الذين تعرضوا للمصير نفسه . وفي البيت التالي

---

(1) الديـــوان : 143
(2) الديـــوان : 134
(3) الديـــوان : 175

يعبر عما أصابه بنبرة كلها صدق وتسليم بالأمر الواقع ،كما يوضح بلغة صريحة في هذا البيت مما رمز اليه في البيت السابق فيبدو سقيما نحيلاء أعياه المرض الذى سببه البعاد كما يقول :

هيج البين دواعي سقمي وكسا جسمي ثوب الألم (1)

وفي البيت التالي يحمل حبيبه مسؤولية هذا السقم الذى أصابه،على أنه يقدر أن يشفيه لأنه برهن في السابق على استطاعته تحقيق ذلك ، يقول في هذا المعنى :

كنت الشفاء نصرت لي سقما أبدا تتوق إلى هوى مردي (2)

وهو المعنى نفسه المقصود من البيت التالي ، وقد مر ذكره وقال فيه :

أنت دائي وفي يديك دوائي يا شفائي من الجوى وبلائي (3)

ويبدو الشاعر في هذه الامثلة المعروضة صادقا مع نفسه ولو أن فيها كثير من المرارة لم يحاول الشاعر إخفاء ها ،وعبر عنها بلغة قوية سليمة، واستطاعت أن تترجم الأسى الذى بداخله ،فتكونت عندنا بسبب ذلك فكرة واضحة متكاملة عن الحالة النفسية في تجربة الشاعر العاطفية من خلال إنتاجه الشعري .

---

(1) الديوان : 203

(2) الديوان : 62

(3) الديوان : 5

ثانيـــــا ـ المحبوب في شعـــــره

1 ـ الأسماء وتحقيقها

2 ـ الغزل الحسي

أ ـ العيون

ب ـ الخدود

ج ـ الأسنان

د ـ الجسم ومفاتنه

3 ـ الأوصاف

أ ـ المحاسن العامة

ب ـ أوصاف اللون المفضلة

ج ـ قوامها

د ـ أوصاف أخرى

هـ ـ ملابسها وزينتها

ـ الثياب

ـ الحلي

١ ـ الأسمـــاء وتحقيقهـــــا

تعرفنا فيما سبق على ابن عبد ربه العاشق من خلال إنتاجه وبقي الآن أن نتعرف على الشق الثاني، اعتمادا على شعره كذلك .

تركز البحث التالـــي على ثلاثة محاور رئيسية : في المحور الاول ، الاسماء وتحقيقهـــا . وفي الثاني ، الغزل الحسي . وتناول المحور الأخــير الاوصـــاف .

قد يكون ابن عبد ربه جـــرى على طبيعة شعـــراء المشرق وما تفرضـــه العادات والتقاليد العربية التي تنكر على الشاعر التشبيب . فلم تقترن بالشاعر بسبب ذلـــك أسماء تعلق بها رغم تغلب جانب الغزل في شعره على غيره من الأغراض ، الأمـــر الذى جعل التساؤل التالي مطروحا : هل كان ابن عبد ربه يرمي الى إخفاء الاســـماء ولا يـــريد أن يبوح بها قصـــدا ؟ لأن وجودهن في حياته أمكن ترجيحه كما تبين لنا في القسم الاول من هذا الباب . وقـــد نجد بعض الجواب عن هذا الســـؤال في الاشعار القليلة التالية منها قولـــــه :

أن قلبي يحب من لا أسمــــــي   في عناء أعظـــم به من عنـــــاء (1)

واذا كان متعمدا عدم التصريح بالاسم في هذا البيت فأنه لجأ في البيت التالي الى الكناية باسمها، حين طلب منه ذلك في قولــــه :

أغــض الجفون إذا ما بــــــدت   وأكني اذا ما قيل لي سمهـــــا (2)

وما يجعلنا نطمئن إلى حقيقة تبنيه هذا الموقف وكونه يتعمد الأخفاء، ورود نفس الموقف

---

(1) الديـــوان : 5

(2) الديـــوان : 214

في مناسبة أخرى ، أى عدم التصريح واللجوء الى الكناية في قوله :

والذى لست أسميه ولكني أكنيه (1)

ولم يرد في أشعاره كلها أكثر من اسمين هما : هند وليلى ، ولا يستبعد أن يكون التصريح بهما من باب الكناية التي أعلن عنها في الأمثلة السابقة ، ويرجح ذلك اختياره لأسماء جرت على كل لسان . ورد ذكر لهند مرتين في البيتين التاليين :

فأنى لمت في هند محبا صادق الحب

وهند ما لها شبه بشرق لا ولا غرب (2)

ورد ذكر لليلى واحدة في أشعاره كلها وذلك في قوله :

ما لليلى تبدلت بعدنا ود غيرنا (3)

كما صرح بنسبتها إلى قومها مرة واحدة كذلك حين قال :

غزال من بني العاص أحس بصوت قناص (4)

وما عدا هذه الابيات التي يغلب عليها الكتمان والتستر، فأنه سكت عن هويتهن، ولم يذكر شيئا يساعد على التعرف إليهن، تبعا للتقاليد العربية القديمة التي انتقلت إلى الأندلس .

---

(1) الديوان : 239
(2) الديوان : 24
(3) الديوان : 106
(4) الديوان : 120

2 ـ الغـــــــزل الحســـــي

يجب من البداية التأكيد على شيء تميز به شعر الغـــزل عند ابن عبد ربـه ، وهو نزاهته من كل فحـــش ، فليس فيه على كـــثرته ما يـــمكن أن يدل علـــى مجون في قول أو عمـــل ، فلذلك جاء شعره بعيدا عن الاسراف ، نزيها في تعبيـره ، مجردا من الفحـــش وهذا ما سنلاحظـــه في شعره وهو كثير في هذا الباب .

اذا كان ممكنا تصنيف الشعراء من خلال الموضوعات التي اهتموا بها في غزلهم ، وبعد إمعان النـــظر في هذا النوع من الشعر عند ابن عبد ربه ، فـــأنه في الامكان إدراجه مع أولائـــك الذين فتنـــوا بوصف الوجه والتغني بـــمحاسنـــه .

وتمثل حسن الوجه و بهائــــه عند ، عمومــــا ، في البدر ، والشمس ، والهلال ، والنور الذى تولد عنها ، وهي المعاني التي رددها في هذا الموضوع . وفي الابيات الثلاثة التالية نلا حـــظ تلك المعاني القديمة التي تردد صداهـــا عنـــد ابـــن عبد ربه دون تجديد فيهـــا . عمد في البيت الأول الى المبالغة المألـــوفـــة في هذا السياق في قوله :

ومن هو أن بدا والبدر تـــــم خفي من حسنه البدر التمـــــام (1)

وينعكس المعنى نفسه في البيت الثاني ولكنه أمعن في المبالغة أكـــثر ، فالبدر الذى خفي في البيت السابق بفعل الحسن ، يصبح في البيت التالي مظلمـــا حين يشـــرق الوجـــه يقـــــول :

رشا لو رآه البدر يشرق وجهـــه لأظلم وجه البدر وهو شريـــــق (2)

---

(1) الديـــوان : 194

(2) الديـــوان : 143

ويجتمع القمران في البيت الثالث وهي مرتبة أخرى في المبالغة ، لأن الوجه أصبح في منزلة الشمس والقمر مجتمعين في قوله :

يريك اذا بدا وجهها حكاه الشمس والقمر (1)

وفي الوجه ركز ابن عبد ربه على ثلاثة أشياء بالخصوص هي : العيون ، والخدود ، والاسنان

أ ـ العيون

يمكن القول أن افتتان ابن عبد ربه يكاد يكون وقفا على العيون ، ومعنى ذلك أن ذكرها يرد كثيرا في معرض الاعجاب على أنه لا يخلو من الشكوى والعناء بما أصابته به عيون الحبيبة ، فيشبهها عندما يقصد هذا المعنى بالسيف في قوله :

لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا (2)

أو بالسهام في قوله :

أن تبك عيناك لي يامن كلفت به من رحمة فهما سهماك في كبدى (3)

وفي قوله كذلك :

ويحي قتيلا ما له من قاتل إلا سهام الطرف ريشت بالحور (4)

على أن جانب الاعجاب يتغلب وتميل كفته ، فنلا حظ في شعره معاني التزم بترديدها

(1) الديوان : 103
(2) الديوان : 35
(3) الديوان : 61
(4) الديوان : 98

كالسقم الذى كان يشده الى هذه العيون،وورد وصفه في عدة مناسبات كقوله،

وكأنما غاض الاسى بجفونها حتى أتاك بلؤلؤ منثور (1)

ومنها البيت التالي الذى يصبح السقم كل شيء فيه ، فيسند اليه أداة النداء ويناجيه بقوله :

ياسقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق (2)

ويؤكد المعنى نفسه في البيت التالي :

شمس تجلت في ثوب ظلم سقيمة الطرف بغير سقم (3)

وفي المثالين التاليين يعلن ابن عبد ربه عن شغفه بالألحاظ السقيمة،ويبين في البداية كيف كان تأثير ذلك عليه،أما في المثال الثاني فيعقد فيه مقارنة جميلة بين حالته التي يوجد عليها من السقم الحقيقي وبين مظهر السقم في العيون مع تمتعها بواقع الامر بالسلامة والصحة،يقول في الأول :

وفتنني بلواحظ تشكو الضنى دائي بهن وربما داوينني (4)

ويلاحظ في البيتين التاليين المعنى المذكور سابقا :

وصحائح مرضى العيون شحائح بيض الوجوه نواعم الابشار
أضنينني بلواحظ تشكو الضنى وكسونني ماهن منه عواري (5)

---

(1) الديوان : 72
(2) الديوان : 147
(3) الديوان : 213
(4) الديوان : 225
(5) الديوان : 91

وفي الابيات السابقة أمثلة مختلفة لمعنى واحد ورد فيها جميعا ، وعبر عنه بطرق مختلفة تكاد تتحد حتى في اللفظ كقوله : ((وفتنني بلواحظ تشكو الضنى)) وتكراره للقول نفسه في مكان آخر لفظا ومعنى بعد أن غير كلمة واحدة في قوله : ((أضنيني بلواحظ تشكو الضنى)) بينما وردت في الابيات الاخرى عبارات متوافقة في المعنى وأن اختلفت لفظا كقوله : ((مرضى العيون)) و ((سقيمة الطرف)) و ((سقيم الجفون)) . هذه بعض الدلالات عن المعاني التي كانت تجول في ذهن الشاعر، عبر بها عن السقم الذى فتنه في العيون وملك عقله وقلبه .

ومن الصفات البارزة التي نعت بها الالحاظ ، وترددت كثيرا في شعره ، الوصف بالسحر كقوله :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر وطرف إذا ما فاه ينطق بالسحر (1)

ويحمل السحر مسؤولية ما حل به في قوله التالي :

أطلاب ذحلي ليس بغير شادن بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلي (2)

وهناك أمثلة كثيرة في هذا الصدد منها قوله :

بأبي وأمي غادة في خدها سحر وبين جفونها سحر (3)

ويناديها مستنجدا ويذكر مفعول السحر في عينيه بقوله :

---

(1) الديوان : 73

(2) الديوان : 174

(3) الديوان : 104

يا مدير الصدغ بالخد الاسيل ومجيل السحر بالطرف الكحيل (1)

ويتمنى في البيت التالي لو أنه لم يصادف ذلك السحر في قوله :

فليت السحر من عينيك لم أره ولم يرني (2)

ومن أحسن الصور في هذا المعنى قوله :

لواقط حبات القلوب اذا رنت بسحر عيون وانكسار جفون (3)

واذا تتبعنا هذه العبارات ((سحر العيون)) و ((السحر من عينيك)) و ((مجيل السحر بالطرف)) و ((بين جفونها سحر)) و ((بعينيه سحر)) و ((طرف ينطق بالسحر)) لاحظنا مدى إصرار الصورة على ذهنه وتمكنها منه ، فترددت بشكلها في أشعاره على تعدد مواطنها وتشتتها في الديوان ، وليس بينها من فرق سوى ذلك الاختلاف في التركيب، وتأكد بذلك تأثره بسحر العيون وكون الاحساس به نابعا من أعماقه .

ومن مظاهر تعلق ابن عبد ربه بوصف العيون ما نلمسه في بعض أشعاره من تصوير لغتها في الحوار الذى كان يحسن تأويله وفهم إشاراته لأن إشارة العين أصبحت البديل ، في غياب الحديث المباشر الذى تعذر عليه تحقيقه في قوله :

منع الكلام سوى إشارة مقلة فبها يكلمني وعنها يسمع (4)

---

(1) الديوان : 182
(2) الديوان : 222
(3) الديوان : 216
(4) الديوان : 129

وتنوب العين عن الكلام وتحدثه بـــــلغتها، فيستشف من الحديث الوعد بالوصـــال وينتظر الانجاز في قـــوله :

كم موعد لي من الحـاظ مقلتــــــه لو أنـــه موعد يقضى بانجــــاز (1)

وقد ينتشي من حديث الالحاظ في مجلس خمر قبل أن تنال منه الكأس في قولـــــه :

ناول الكأس واستمال بلحـــــــظ فسقتني عيناه قبل يديـــــــــه (2)

وفي هذا السياق، وإذ يحين موعد الفراق ، ويتعذر الحوار المباشر، تنوب العيـــن فـــي هذا الموقف عن اللـــــسان فتودع ، وتلقي بالسلام ساعة الرحيـــل، يقول في هذا المعنى :

أزف الرحيل فودعتني مقلـــــــة أوحت الي جفونها بســـــــلام (3)

وشبيه بهذا الموقف نفسه قولــــــه :

أومت اليك جفونها بـــــــوداع خود بدت لك من وراء قنــــاع (4)

فالعين في هذه الامثلة تقوم بأداء مهمة أساسيـــة، وتلعب دورها كامــــلا لأنها أصبحت وسيلة اتصـــال ، تبادله الحديث في قولــــه : ((أشارة مقلة)) ربما تحدد معه الموعد ((كم موعد لي من ألحاظ مقلته)) أو تودعه ((ودعتني مقلة)) و ((أومــت جفونها بوداع)) وقد تسقيه فينتشي ((فسقتني عيناه)) .

---

(1) الديـــوان : 109
(2) الديـــوان : 237
(3) الديـــوان: 207
(4) الديـــوان: 131

ومن الاوصاف التي أحبها في العين ووقف عندها طويلا ، الاحوار الذى كان موقفه منه واضحا ، وهو من الاوصاف التي أشاد بها كثيرا ، وأعطانا في شعره صورا واضحة عنها تنم عن تعلقه بهذا النوع من الجمال - من ذلك قوله :

حور سقتني بكأس الموت أعينها ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور (1)

ويتأكد المعنى في البيت التالي :

حوراء داعبها الهوى في حور حكمت لواحظها على المقدور (2)

ويبالغ الشاعر في إظهار الاعجاب باحوار اللحظ حتى أدى به الامر الى تحدى القدر ، وهو يشبه قول ابن هانيء الاندلسي في المعز لدين الله :

ماشئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار (3)

ويرتقي احوار العين في رأى الشاعر الى درجة متميزة ليصبح بسبب الاعجاب به سحرا بعينه في قوله :

فما السحر ما يعزى الى أرض بابل ولكن فتور اللحظ في طرف حوراء (4)

ويصف في المثال التالي والذى يليه ، ولعه وهيامه بالاحورار ، ويدعم بهما ما تقدم ذكره من أشعار له في الموضوع نفسه ، يقول في الأول :

أنا في اللذات مخلوع العذار هائم في حب ظبي ذي احورار (5)

---

(1) الديوان : 95
(2) الديوان : 72
(3) ديوان ابن هانيء .- بيروت : صادر ، 1964 .- ص 146
(4) الديوان : 3
(5) الديوان : 99

وفي الثانـــــي :

من لـي بأحـور ما يبين لسانه   خجلا وسيف جفونه ما يقطــع (1)

ويأتي الأحـورار في هذا البيت الأخـير في مقدمة ثلاثة أوصاف نصيب العين منهـا الاول والثالث ، وتوسطها الاعجاب بصفة الحياء ، بينما تميز البيت السابق له بصفة الاحـورار لوحدهـا . وله في أشعاره أوصاف أخـرى غير الاحـورار نعت بها العين كقولـه : ((طرفه ناعس)) في البيت التالي :

أيقظ طرفي إذ بدا من نعسـة   من طرفه ناعس مستيقـظ (2)

ومنها ((المقلة الوحشيـة)) في قولـه :

يا مقلة وحشية قتلـت   نفسا بلا نفس ولم تظلـم (3)

ونجد في نهاية الامـر أنه كانت للشاعر مع العيون قصة طويلة ، وتجربة عرفناهـا من خلال هذه الامثلة ، وتتلخص الاوصاف التي ترددت فيها كثيرا ، والتي اهتم بها الشاعر وعبر عن أعجابه بها في : الاحـورار ، والسحـر ، والسقم ، والتشبيه بالسيف ، والسهـم . وله أشعار أخرى في التغزل بالعين أوحت له بأفكار ومعاني لا تبتعد كثيـرا عن مضمون الابيات المذكورة ، لان موقفه كان ينصب أساسا على إظهار الاعجاب والتعلـق ، والضعف كذلك أمام مفعولها .

---

(1) الديـوان : 129

(2) الديـوان : 126

(3) الديـوان : 211

ب ـ الخـــــــــــــــدود

وله في الخدود شـــعر كثير اهتدى فيه الى معاني وصور جميلة رقيقــــة ، يستدل بها على صدق الاحساس وعمقه . ونلا حـــظ في أوصافها اهتمام الشاعــر البالغ بصفة الحمرة التي لا يكاد يخلو منها بيت، ويستعير حمرتــه من التفـــاح ، والورد، والذهب، والعقيـــق، ليصبغه على الخدود . فمن الورد قوله :

صفرة في حمرة في خـــــــــده جمعت روضة ورد وبهـــــار (1)

أو قولـــــه :

و جـــوه جرى فيها النعيم فكللـــــت بـــورد خدود يجتنى بعيـــون (2)

ومن الذهب قوله :

بجبين مفرغ من فضـــــــــة فوق خد مشرب لون الذهـــب (3)

---

(1) الديـــــوان ، 99
(2) الديوان : 216 . وفي الديوان أمثلة أخـرى عديدة شبه الخدود فيها بالورد كقوله : (الديوان : 74)
لا والرحيـق المصفى من مراشفـــــه وما بخديه من ورد ومن طـــــــــرر
وقـوله : (الديوان : 228)
أى ورد فوق خد بــــــــدا مستتيرا بين ســــــــــوسا ن
وقـــــوله ، (الديـــوان ، 123)
وكـــل ورد خديه ورمان صدره بعـــض على مـــص وعـــض على عـــض
وقـــــوله : (الديـــوان ، 100)
ما لخديـــك استعـــــــارا حمرة الـــورد النضـــــيـــر
(3) الديـــوان ، 21

ورسم لوحة بديعة لهذا الخد الجميل في بيت جديد، ضم الى جمال الصورة، الرقة في التعبير، كما أظهر البيت مقدورة الشاعر على الجمع بين جودة المعنى والمبنى في آن واحد، يقول فيه مشبها الخد بالذهب أيضا :

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت   كما جرى ذهب في صفحتي ورق (1)

وفعل الخجل وتأثيره في لون الخدود لم يرد في البيت السابق وحسب، لأن المعنى نفسه تكرر في بيت آخر، ورده بطريقة تكاد تكون لفظية . ففيه الذهب والفضة، وامتزاجهما، وتلون الخد بفعل الحياء . نلاحظ ذلك اذا قارنا البيت السابق بالتالي الذى يقول فيه :

ذهب خدها يذوب حياء   وسوى ذاك كله ورق (2)

وتوظيف التفاح ورد في البيت التالي :

وتفاح خد ورمان صدر   ومجناهما خير شيء جنيت (3)

وأما العقيق فورد في البيت التالي :

عطابيل كالآرام أما وجوهها   فدر ولكن الخدود عقيق (4)

ومن المعاني الجميلة في هذا المجال، والمبالغة المستحسنة، ما نجده في البيتين التاليين، يبالغ في البيت الاول مبالغة مستحبة من أجل تصوير الرقة المتناهية

---

(1) الديوان : 146
(2) الديوان : 157.
(3) الديوان : 29
(4) الديوان : 143

يخشى بسببهـا على وجنتهـا التي أصيبت بفعل نظـراته ، ولعله يقصد من وراء ذلك أيضـا الاثر الذى ترتب عن الجرح وهي الحمرة التي لا حظـها على خدودهـا في قولـه :

ظبي له وجنة من رقـة تجرحها مقلتي إذ تلحـظ (1)

وتسحـره الخدود في البيت الثاني ، وقد كان السحر من قبـل وقفا على العيون يقول :

بأبي وأمـي غادة في خدهـا سحر وبين جفونـفها سـحر (2)

ج — الأسنـان

واذا كان الشاعر قد أجـهد نفسه في وصف الخدود فأتى بالجديد فأنـه على النقيـض من ذلك عندما وصف الاسنان وانتظامهـا وجمال المبسم ، فأنـه لم يأت بجديد وانما ردد المعاني المألـوفة ، كالدر، والبرد ، والبرق ، وهي المعاني التي وجدها في الشعـر القديـم . ورد المعنى الاول في قولـه :

فاذا ابتسمـن فدر الثغر منتظم واذا نطقن فدر اللـفظ منثـور (3)

وفـي قوله :

ينثر الدر في المسامع نثـرا بين در منظـم متسـاق (4)

---

(1) الديـوان : 126
(2) الديـوان : 104
(3) الديـوا ن : 95
(4) الديـوان : 153

ويتحد البيتان في المعنى والمبنى ، ففي كل منهما صورة حسية وأخرى معنوية ، هي نفسها من حيث مضمونها في البيتين ، فالحسية تخص وصف الاسنان بالدر ، وأما المعنوية فتخص وصف منطقها بالدر أيضا . ويقصد الشاعر من وراء ذلك في البيتين كليهما الى ربط الصورتين والتعبير عن معنى جديد نتج من امتزاج الصورتين القريبتين من أجل الخروج بصورة ثالثة بعيدة . والاختلاف الوحيد في البيتين يكمن في الجانب الشكلي فقط . فالصورة الحسية في البيت الاول جاءت في البداية تبعتها الصورة المعنوية ، بينما وقع العكس في البيت الثاني . ويتم اتحاد البيتين في كل شيء اذا عكسنا البيت الاول ، وقرأناه من العجز ، نلاحظ حينئذ التطابق في البيتين على النحو التالي :

((فاذا تطقن فدر لفظ منثور وإذا ابتسمن فدر الثغر منتظم))

ويبقى البيت الثاني على حاله :

ينثر الدر في المسامع نثرا بين در منظم متساق

أما البرد فورد توظيفه في البيت التالي :

ياجميل الروح في جسدى والذى يفتر عن برد (1)

أما البرق فجاء استعماله مقرونا بالابتسام أيضا في البيت التالي :

شمس بدت لك من مغاربها يفتر مبسمها عن البرق (2)

---

(1) الديوان : 49

(2) الديوان : 142

ولـــم تقتصـــر أشعار ابن عبد ربه في محا ســـن الوجـــه على العنا صر الاربعة المذكورة بل تجا وزتهـــا ،فشملت كل أجـــزاء الوجه الاخـــرى، ولم تغفل ذكـــر الفم والشفتين والصـــد غ والجبهة (1) . وحتى الخـــال وردت الاشارة اليه في البيت التالي :

خليت قلبي في يـدى ذات الخـــــال مصفدا مقيـــدا بالاغـــــــلا ل (2)

والنتيجة التي توصلنا اليها بعد استمرا ضمعانيـــــه في أشعا ر الوجـــه، والعيـو نه والخدو د، والاسنان ،هي أ ن الشاعر استطاع أيبد ع في حالتين، واكتـــفي بالتقليد فـــي حالتين ،أبد ع في العيو ن والخدو د على النحو الذى تم عر ضه ،ولكنه لم يأت بجد يد في أشعاره في الوجه ووصف الاسنان . والابداع فر ضه الاعجاب الحقيقي الذى بلغ حـــد التعلق، جعله يغوص في العيو ن فخرج بمعاني جد يد ة بينما لم يتوفر هذا الشرط في الجانب الثاني، واكتفى بسبب ذلك بترد يد أ قو ا ل غيـــر ه من الشعراء .

---

(1) فمثال الفم وما يتبعه قوله : ((الد يـــوان : 74))

لا والرحيق المصفى من مراشفـــه وما بخد يه من ورد ومن طـــــــر ر

وقوله :(الديـــوان): 194)

بنفسي من مراشفه مـــــــدام ومن لحظات مقلتـــه سهـــا م

وقـــو له : (الد يـــوان : 3)

ألا بأبي صد غ حكى العين عطفه وشار ب مسك قد حكى عطفة الـــــرا ء

ومثـــال الجبهة قولــــه : (الد يـــــوان : 209)

من لقرن الشمس جبهتـــــه وللمع البـــرق مبتسمـــــــــه

وقـــو له : (الد يـــوان : 21)

بجبين مفرغ من فضـــــــة فو ق خد مفـــرغ لو ن الذ هـــــــب

(2) الد يـــوان : 189

د ـ الجسم ومفاتنه

يتصل بما مر بحثه أيضا الغزل بمفاتن الجسم ، ويأتي في مقدمتها أمران شغل بهما ويبدو أنه لم يلتفت الى سواهما :

الاول : الصدر الذى ورد وصفه عند الشاعر ، ويبدو أن عظم الصدر كان مستحبا عنده ، أو هو من مقومات الجمال في ذلك العهد في قوله :

بيضاء مضمومة مقرطقة   تنقد عن نهدها قراطقها (1)

ووصف الصدر في أماكن متفرقة من ديوانه ، وشبه النهود بالثمار في الغصون في قوله:

وربط متين الوشي أينع تحته   ثمار صدور لا ثمار غصون (2)

على أن التشبيه الذى التزم به في وصف النهود هو تشبيهها بثمرة معينة هي الرمان في قوله :

أى تفاح ورمان   يجتنى من خوط ريحان (3)

ويفصل في البيت التالي والذى يليه ما كان قد أجمله في البيت السابق ، ونعرف منه أنه كان يقصد بالتفاح الخدود ، وبالرمان النهود . يقول في الاول مفصلا ما أجمل سابقا :

وتفاح خد ورمان صدر   ومجناهما خير شيء جنيت (4)

---

(1) الديوان : 156
(2) الديوان : 216
(3) الديوان : 228
(4) الديوان : 29

أمـــا في الثاني ،فبالاضافة الى الصورة السابقة،ففيه معنى جديد لم يكن منتظـــرا من الشاعر ،تمثل في دعوة صريحةغير مألوفة الى أفعال هي من الغزل المكشوف الذى لم يعرف به الشاعر في غير هذا الموقع، يقول في هذا البيـــــت :

وكل ورد خديه ورمان صــــــــــــدره بمص على مــــص وعض على عــــض (1)

الثانــــــــــــي : الخصـــــــــــر . لا يخرج ابن عبد ربه في هذا الغزل الحسي الوصفي عن المعنى المألوف ،ويبدو أن ضمور الخصر صفة مفضــــلة ومقيـــاس للجمال عنده ،عبر الشاعر عن ذلك مـــرة بالتصريح ،وأخـــرى بالتلميح ، فمن الاول قوله:

ذات دل وشاحهـــــا قلـــــــــــــق من ضمـــور وحجلها شـــرق (2)

ومن الثاني قـــوله :

دقيق فرنـــد الحسن أما وشاحـــــــه فيهفو وأما حجله فيضيـــــــق (3)

واضح من البيتين تطابق المعنى المتمثل في رقة الخصر،يقابله امتلاء في موضع الحجل منهـــــا . وتتكـــرر الاشادة برقة الخصر عند الشاعر في المثالين التاليين نصا ومعنى، ويدل ذلك دون شك على الاعجاب الذى جعله يلجـأ بسببه الى مبالغة جميلة،عندمـــا بلغ الخصـــر من الرقة حـــدا تخيله متقطعـا في قـــولـــــــه :

---

(1) الديـــــوان : 123
(2) الديـــــوان : 157
(3) الديـــــوان : 143

يامن تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا (1)

وتستدعي هذه الرقة حذرا ومعاملة خاصة :

وأحلل الوشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الرقيق (2)

3 ـ أوصافها

يشغل شعر الغزل الوصفي حيزا معتبرا في ديوان الشاعر ، لانه الميدان الذى وجد فيه نفسه ، فأعطى صورا كثيرة مشتتة في ديوانه،أمكن بعد جمعها وربطها ببعضها معرفة الاوصاف التي كان ينشدها ، وكان على رأسها الاعجاب بالجمال عموما ، وهي الظاهرة التي تميز بها الشاعر ، وشعره حافل بالصور في أشكال عديدة ويمكن تمييز خمسة أمور أساسية : ثلاثة منها خاصة بالاوصاف الخَلقية،وتوزعت مادة العناصر الخمسة على النحو التالي :

أ ـ المحاسن العامة ب ـ أوصاف اللون المفضلة ج ـ القوام د ـ أوصاف أخرى ه ـ الملابس والزينة :

أ ـ المحاسن العامة

من أجل تقريب الصورة الى الاذهان يمكن تلخيص المحاسن التي ترددت على لسان ابن عبد ربه في ستة أوصاف ، اذا تجمعت يمكن تصورها على الشكل التالي : (دمية) (ناعمة) (حسناء) (جميلة) (فاتنة) (ساحرة).وهي أوصاف

---

(1) الديوان : 145

(2) الديوان : 151

مستخلصة من شعر الغزل كله، وسنتبين ذلك من خلال بعض الامثلة التالية، فوصفها بالدمية جاء في قوله :

يا دمية نصبت لمعتكف بل ظبية أوفت على شرف (1)

والناعمة في البيت التالي :

وصحائح مرضى العيون شحائح بيض الوجوه نواعم الأبشار (2)

ويغرم ابن عبد ربه بالحسن فيرد عنده ذلك في عدة أماكن، في كل منها صورة جديدة تنم عن أعجابه الشديد وتعلقه بالجمال المتميز بالمحاسن التي لا تعد ولا تحصى، كقوله في البيت التالي :

وفريد الحسن واحده منتهاه منتهى العدد (3)

واذا كانت في الحسن فريدة، فلا نها كانت في الخلق أيضا فريدة، وهو يعلم دون شك أنه قد أمعن في المبالغة حين قال :

خلقت من بهجة وطيب إذ خلق الناس من تراب (4)

ولكن الغاية تبرر الوسيلة، لان الغاية عنده ليست في مقارنة محاسنها بمحاسن غيرها، وأنما هدفه الوصول بها الى مرتبة عالية جداً، تختلف كليا عن المعهود، وحين يشده الحسن يعبر عنه بصورة تبين مدى حبه الجمال، ونلمس فيهما

---

(1) الديوان : 141

(2) الديوان : 91

(3) الديوان : 49

(4) الديوان : 20

الاعجاب الذى بلغ حد الانبهار في قوله :

اذا بدا انتهبت عيني محاسنه وذل قلبي لعينيه فينتهك (1)

وإذا أرهقه ذلك ولم يستطع تحمله عمد الى المناجاة والاستعطاف وهو نموذج آخر يبرهن عن تعلقه الشديد بالحسن والجمال :

يا بديع الحسن كم لي فيك من وجد بديع (2)

وأبدى ابن عبد ربه اعجابا كبيرا بالحسن والجمال ، وحاول إظهاره ووصفه . وقد يكون الجمال أحيانا من النوع الذى لا يمكن وصفه ، فيكتفي حينئذ بالاعلان عن قصوره وعدم القدرة على التصوير ، لانه أصبح أمام جمال يعجز دونه كل وصف ، ولا يمكن تصوره حتى في الخيال :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر وطرف اذا ما فاه ينطق بالسحر (3)

وهو ما يفهم من البيت التالي أيضا ، حين عجز الوصف ، ولم يسعفه اللفظ فاكتفى بالقول : (ساحر)

ياساحرا ما كنت أعرف قبله في الناس ساحر (4)

أو (فتنة) في قوله :

يافتنة بعثت على الخلق ما بينها والموت من فرق (5)

---

(1) الديوان : 160

(2) الديوان : 133

(3) الديوان : 73

(4) الديوان : 96

(5) الديوان : 142

يظهـــر ابن عبد ربه في الامثلة السابقة مولعا بالجمال ، يقف أحـــيانا أمـــامـــه حـــائـــرا وأحيانا أخـــرى تنقصة الكلمات ، وتخـــونه الأفكـــار ، وقد يتوصل في بعضهـــا إلى الوصف والتجسيـــد .

ب ـ أوصـــاف اللـــون المفضلـــة

إن الشي ء الجدير بالذكـر في البدايـــة هنا، هو الأشا رة الى سيطرة عنصـــرين أساســـيين تم توظيفهمـــا لهذا الغرض، هما الشمس والقمـــر ، ومثلـــه البدر والهـــلال ، فقد اعتمد الشاعـــر عليهما من أجل التعبير عن النـــور ، والحسن، والجمال، والبيا ض . وسيتضح ذلك من خلال الامثلة المختا رة من جملـــة أشعاركثيرة له في هذا النوع . وبعد فرز أشعا ر الشموس والاقمـــار ، تميزت ثلا ث مجموعات هي : 1 ـ مجموعة استخدم فيها الشمس فقط . 2 ـ وأخـــرى القمـــر فقط . 3 ـ أما الثالثة فوظف فيها القمرين في وقت واحـــد .

1 ـ الشمـس : يستطيع المتأ مل في أشعاره ملا حظة ثلا ث معاني في هذا الباب : معنى تبدو فيه الشمس والحبيب في منزلة واحـــدة ، فالحبيب في هذا النوع شمـــس ووجوده يغني عنهـــا ، وقد يرتفع عن الشمس درجة ، فيصبح أحسن منهـــا ، وهـــي مبالغة معهودة في الشعراء وهذا هو المعنى الثاني . أمـــا الثالث فهو نقيض السابق لا ن الحبيب في منزلة أقل من الشمس . وأحســـن مثال للمعنى الاول قولـــه :

كأن الشمس لما غبت غابـــت   فليس لها على الدنيا طلـــوع (1)

---

(1) الديـــوان ، 134

لان الشمس في هذا المثال ليس لها أي مفعول ، فوجودها أو عدمها سواء ، ما دام وجود الحبيب يغني عنها . وقريب من هذا المعنى ما قاله في البيتين التاليين :

شمس بدت لك من مغاربها ... يفتر مبسمها من البرق
ما كنت أحسب قبل رؤيتها ... للشمس مطلعا سوى الشرق (1)

ونجد المعنى الثاني في البيت التالي :

بزت الشمس نورها وحباها ... لحظ عينيه شادن خرق (2)

ونلاحظ المعنى الثالث في البيت التالي :

وتطلعت بين الحدوج كأنها ... شمس تطلع من خلال غمام (3)

وفي نفس المستوى من المعنى قوله :

بيضاء أنماها النعيم بصفرة ... فكأنها شمس بغير شعاع (4)

2 – القمر : نستعرض في الفقرة التالية بعض أبيات ، من جملة أشعار عديدة لجأ الشاعر فيها الى التشبيه بالقمر ، ويمكن تصنيفها أيضا الى ثلاث مجموعات حسب المعاني التي عني بها الشاعر . فالبدر في المعنى الاول هو الحبيب نفسه ، بينما في المعنى الثاني يفوقه في الحسن الى درجة إخفاء نوره كما تخفيه الشمس . والملاحظ

---

(1) الديوان : 142
(2) الديوان : 157
(3) الديوان : 207
(4) الديوان : 131

بالنسبة للمعنى الثالث تشبيهها بالهلال على غير عادته . ومثال الاول قولـــه :

رأيت بها بدرا على الارض ما شيـــا ولم أر بـدرا قط يمشي على الا رض (1)

أما المعنى الثاني الذى فا ق المحبوب فيه البدر ، فأ خفى ظهوره ، وتغلب عليه ، نلمسه في البيت التالي :

ومن هو أن بدا والبد ر تـــــم خفي من حسنه البد ر التمـــــام (2)

ويتسبب ظهوره زوال نور البدر ، فيصبح مظلما ، وهو معنى شبيه بالسابق على أنه أكثر مبالغة :

رشا لو رآه البد ر يشرق وجهـــه لا ظلم وجـه البد ر وهو شريـــــق (3)

أما المعنى الذى يصير فيه أقل من البدر درجة فورد في البيت التالي :

كـأن التي يوم الوداع ترضـــت هلال بدا محقـا على أنه تـــــم (4)

3 ـ الشمس والقمـر مجتمعـــــان : ونمضي مع الشاعر في محاولة استكمال الصورة ، من خلال دراسة المعاني في هذه النقطة التي عالجتها أشعاره ، وبعد التمييـر بين المعنيين في الفقرتين السابقتين ، نحاول بعد ذلك استجلاء اللوحة التي تم فيهـــا من قبل الشاعـــر رسم القمرين مجتمعين . وأول المعاني تبادرا الى الاذهـــان في

---

(1) الديـــــــوان : 123

(2) الديـــــــوان : 194

(3) الديــــــوان : 143

(4) الديـــــــوا ن : 195

هـــذا المجال هو تصويره الحبيب مرة نهارا ومرة أخرى ليلا . فيجد بالطبع الشمس أداة يعبر بها في الحالة الاولى ، والقمر في الثانية كما في قولـــه :

بنفسي بدر أخجل البدر نـــوره وشمس متى تطلع الى الشمس تغـرب (1)

أو في قولـــه :

الشمس تحسب أنها شمس الضحى والبدر يحسب أنـها البـــدر (2)

والمعنى الثاني هو التردد بين المعنيين ، فالشاعر في حيرة من أمره لا يدرى أيهمـا أنسب لمحبوبه في قوله :

لم أدر جني سباني أم بشـــر أم شمس ظهر أشرقت لي أم قمـــر (3)

ويأخذ المعنى الثالث من الاثنين مجتمعين بعد مزجهما ، لتوليد نور مشترك يخلعه على الحبيب في قولـــه :

نور تولد من شمس ومن قمـــر في طرفه قدر أمضى من القـــدر (4)

وهناك مصادر أخرى غير الشمس والقمر ، استقى الشاعر منها ألوانه ، ولكنها تأتي في درجـة أدنى في اعتبار الشاعر . وتكاد كل الاشعار التي تصلح مثالا في هذا الجانب ، تتفـق في ثنائية اللون ففيها جميعا البياض مشفوع بالحمرة، لأنه تعلق بتزاوج اللونيـن ، ومرد هذا الاعجاب الى حبه الشديد لهذا التركيب المعين ، لذلك نجد الشاعر يأخذ

---

(1) الديـــوان : 9

(2) الديـــوان : 104

(3) الديـــوان : 98

(4) الديـــوان : 74

ألوانــه من الورد والذهب والفضة ويمزجـهما بطريقته الخاصة ،فيجد عادة الخجل والحياء سبيلا لذلك . وتوضح بعض هذه المعاني بجـلاء الابيات التالية . نجد في الأول البياض الذى يشوبه الاحمرار في قوله :

بيضاء يحمر خداها اذا خجلـت كما جرى ذهب في صفحتي ورق (1)

وفي المثال الثاني يرد المعنى نفسه :

ذهب خدها يذوب حيـاء وسوى ذاك كلـه ورق (2)

أما المثال الثالث ،فان وضوح الصورة فيه غنية عن كل تأويل في قوله :

كأنه فضة مسبوكـة أو ذهب خالص مسبـوك (3)

ويتفق المثال الرابع مع الامثلة السابقة في وجه الشبه ،على أنه يختلف معها في المشبه به ، لأنه استعمل بالنسبة للا بيض الاقحـوان ،وأمـا بالنسبة للحمرة فاستعان بورد الربيع . ولعل في هذا مظهرا من مظاهر حب الطبيعة عند الشاعر ،عبر عنـه بطريقة غير مباشرة حين قـرن مظهر الابتسام وتورد الوجه ،بابتسام الطبيعة المتمثل في ورودها وأزهارهـا في قوله :

يذكرني تبسمك الاقاحـي ويحكي لي تورّدك الربيـع (4)

ويوظف الطبيعة مرة أخرى في البيت التالي ،فيخيل اليه وهو يراها وكأنه في روضـة

---

(1) الديـوان : 146

(2) الديـوان : 157

(3) الديـوان : 159

(4) الديـوان : 134

زاهيــــة بألوان ورودها ، يقول :

للـــورد حين ليس يطلع دونـــه   والورد عندك كل حين يطلـــــع (1)

ج ـ قـــــوامهـــــــا

إن مقياس جمال قوام المرأة عند ابن عبد ربه يتـــمثل في الغصن أو القضيب ، ويتردد استعمالهما عنده كلما أراد أن يظهر الرشاقة في القوام والميل والليونة ، فالوشاح الذى لا يستقر على خصرها دليل الرقة يقابله امتلاء في موضع الحجل منها ، يقول :

دقيق في رند الحسن أما وشاحـــه   فيهفـــو وأما حجله فيضيـــــق (2)

وهذا النـــموذج المحبب في المرأة عند ابن عبد ربه يتمثل في امتلاء الساقين ، ورقة الخصـر . ويـؤكـــد الشاعر هذا المعنى في بيت آخـر يعقد فيه أيضا مقارنة بيـن مـــوضع الوشاح وموضع الحجل يقول :

ذات دل وشاحها قلـــــــق   من ضـمور وحجلها شـــــرق (3)

ويـؤكد إعجابه برقة الخصر في بيتين آخرين ، الى درجة الـــخوف عليها من التقطـع في البيت الأول ، وتقطعه بالفعل في البيت الثاني ، قال في الاول :

واحلل وشاح الكعاب رفقـــا   واحذر على خصرها الرقيـــــق (4)

وقال في الثانــــــي :

---

(1) الديـــوان : 129
(2) الديـــوان : 143
(3) الديـــوان : 157
(4) الديـــوان : 151

يامن تقطع خصره من رقـــــة   ما بال قلبك لايكون رقيقـــــا (1)

وهي رشيقة خفيفة تنثني من شدة اللين كالغصن وذلك ما نلاحظه في المثالين التاليين، يقول الشاعر في الاول :

يا غصنا ينثني من لينـــــه   وجهك من كل عين يحفـــــظ (2)

ويشبه هذا المعنى قوله في البيت الثاني :

ياهلالا في تجليـــــه   وقضيبا في تثنيـــــه (3)

ويعبر عن هذا المعني نفسه مـــرة أخرى بتصوير أجمل ، يريد من ورائـه إظهار تعلقه ويبرر سبب إعـــجابه فيقـــول :

وقضيب يـميس فوق كـثيـــب   طيب الـمجتـنى لـذيذ الـعنـاق (4)

ويستعير من الغزال أوصافا أخرى جديدة يسبغها على محبوبه،منها الصورة التالية التي ظهر فيها رشيقا كـالغزال يتـما يل ميل النصال في قولـــه:

وبحي قتيلا ماله من عقـــل   بشادن يهتز مثل النصـــل (5)

فاستخدم الشادن بطريقة بارعة ، فجاء مشبها ومشبها به في وقت ذاته . فالمحبوب في رشاقة وجمال الشادن ولكنه يعني بالشادن نوعاخاصامنه وهو ذلك الذى يتميز بالرشاقة

---

(1) الديـــوان : 145
(2) الديـــوان : 126
(3) الديـــوان : 239
(4) الديـــوان : 153
(5) الديـــوان : 183

ويتمايل تمايل النصل .

د ـ أوصـــــاف أخـــــرى

ومن الاوصاف التي وجدها في حبيبته ، واستحسنها ، فعثر عليها في الغزال أيضا هو الميل في المشي والاختيال والدلال في قولـــــه :

شادن يزهـــى بخد وجيـــــد ما ئس فاتن بحســـــن ودل (1)

ودليل المرأة محبب عند الشاعر ، ويعبر عنه أيضا في قوله :

وشــــــادن ذي دلال معصـــــب بالجمــــال (2)

وتتعدد عنده الاشارة الى الدلال كلما عمد الى تصوير الحركة والرشاقة ، ويربطها في هذه الصـــرة بالشباب وحيويته في قولـــــه :

وريان من ماء الشباب تهافتــــت به نشوات من صبـــــى ودلال
كما اهتز بـــان من أكـــاليل روضة تداعبه ريحـــا صبا وشمـــــال (3)

وفي البيت التالي يعبر الشاعر عن الفكرة نفسها ، ولكن الغزال هنا يعوض بالغصـــن ، كما فعل في البيت السابق :

غصن نمـــا فـــوق دعـــــص يختال كـــل اختيـــــال (4)

صفة أخرى هي الحياء نعثر عليها في أبيات الشاعر ، كانت تستهويه وتكمل في رأيـــــه

---

(1) الديـــــوان : 178
(2) الديـــــوان : 187
(3) الديـــــوان : 177
(4) الديـــــوان : 187

جمال المـــرآة ، ولعل أحسن بيت يصـــور ذلك قوله :

إذا جئتهـــا صدت حياء بوجههـــا فتهجرني هجرا ألـــذ من الوصـــل(1)

فالسبب الذى جعله يقبل هجرها ، تمتعه بتلك اللحظة التي تغلب فيها الحياء عليهـا فصدت بوجهها ، وهي صورة فنية رائعة تنم عن رهافة حس تميز بنه الشاعر .

ويتغير التعبير شكلا ولكن المعنى يظل واحدا ، وهو الاعجاب بنـالأثــر الذى يتركه الحياء فيها ، فيزيدها جمالا ، وهو إعجاب أيضا بهذه الصفة المحببة في المرأة عنده ، يقول في هذا المعنى :

بيضاء يحمر خداها اذا خجلـــت كما جـــرى ذهب في صفحتـــي ورق(2)

ويحلو للشاعر التغني بهذا المنظر ، وبالأثر الذى يتركه الحياء على وجههـــا حين يتغير من حالة الى آخـرى ، كالسوسن الذى يصير ورداً ، وكالدر الذى يصبح عقيقـــا . ورد المعنى الاول في قولـــه :

كم ســـوسن لطف الحياء بلونـــه فأصار ، وردا على وجناتــــــــه (3)

أما المعنى الثاني ففي قوله :

ما أن رأيت ولا سمعت بمثلـــــه درا يعود من الحياء عقيقـــــا (4)

يوجد خيط لطيف يربط هذه الامثلة الثلاثة ، نتبين من خلالها نظرة الشاعر الى صفة الحياء في المرأة وهي متمثلة في نظرته الى لحظة التحول ، ومراقبة ما يحدث عندها من

---

(1) الديوان : 174
(2) الديـــوان: 146
(3) الديـــوان : 231
(4) الديـــوان : 145

من التغيير من حالة الى أخرى،ففي المثال الاول ،عبر عن التحول بواسطة صورة فنية رائعة سرى فيها الذهب على صفيحة من فضة كما تسرى الحمرة بفعل الخجل على خدها ، وتحول السوسن الابيض بمفعول الحياء فأصبح وردا في الحالة الثانية ،أما الحالة الثالثة ففيها تحول لون الدر حين أصبح عقيقا .

هـ ـ ملابسها وزينتها

بعد التعرض فيما سبق الى جملة من المحاسن والاوصاف ، تجدر في الأخير الاشارة الى أوصاف الزينة وما تضعه المرأة الاندلسية من حلي وملابس ونظرة ابن عبد ربه اليها . فبعد قراءة متفحصة في شعره بحثا عن أصناف الحلي والثياب أمكن تقسيم الاشعار الى مجموعتين متميزتين ، تنعكس في الاولى أنواع الملابس وأشكالها وبعض صفاتها ، وتكشف المجموعة الثانية عن بعض الحلي التي كانت تزين المرأة في ذلك العهد وظهرت في أدب الشاعر .

1 ـ الثياب

تصف الابيات التالية بعض الملابس فتذكر أنواعها ، وتحدد أشكالها وألوانها ، ويبدو أن الظاهرة الموجودة في الأشعار كلها ، هي كون الثياب فيها مشبعة بمختلف الألوان ،على أن الشاعر لا يبدى ميله نحو لون معين يفضله ، فيخبرنا مثلا أنها وضعت ثوبا كثير الالوان ،وأنه في جمال ألوانه وتعددها يشبه أنوار الربيع في قوله :

ويطمتين الوشي أينع تحته ثمار صدور لا ثمار غصون

بـرود كأنوار البيع لبسنهـــا ثياب تصا ب لا ثياب مجـــــون (1)

وهذه لفتة شاعرية جميلة ، فبعد وصفه اللباس حاول أن يبين الغرض من وضعهـــن للـزى المذكـور ، فنفى أن يكون وضع بسبب ميل فيهـــن للمجون . ويشير في بيت آخــر الى أعجابه أيضـــا بالرياط فيقول :

ياغصنا مائسا بين الريـــا ط مالي بعدك بالعيش اغتبــــــا ط (2)

وهناك علاقة متينة بين المشي واللباس ، فأذا كان البيت السابق قد صور الميل في المشي بين الرياط ، فأن البيت التالي يصور المشي مع سحب الذيول يقـــول :

وساحبة فضل الذيول كأنهـــا قضيب من الـــريحان فوق كثيــــب (3)

ونتبين في البيتين التاليـيـــن نوع الثياب . فهو في الاول من الحريـــر ، وفي الثاني من النوع الجـــيد الذى هو اللين المصبوغ بالزعفران ، يقول عن الحرير :

ياهلالا قد تجلـــــــى في ثياب من حــــــريـــر (4)

وعن الثاني يقول :

تختال في لين المجـــــــســد بين حارصـــة وحـــــارس (5)

---

(1) الديوان : 216 . في قاموس المحيط : الريط كل ملاءة غير ذات لفقيـن كلها نسج واحد وقطعة واحـــدة . وفيه أيضا : البرد بالضم ثوب مخطط

(2) الديـــوان : 125

(3) الديـــوان : 12

(4) الديـــوان : 100

(5) الديـــوان : 114 . وفي اللسان : الثوب المجسد وهو المشبع عصفراً أو زعفرانا . وهو المصبوغ المـشبع بالجسد وهو الزعفران والعصفر .

وقد تلبس ثوبا من نوع معين يذكره في البيت التالي :

بيضاء مضمومة مقرطقـــــة   تنقد عن نهدهـــا قراطقهـــــا (1)

2 ـ الحلـــــــي

ورد عند ابن عبد ربه ذكر ثلاثة أشياء تتزين بها المـــرأة هي الحجل ، والســوار ، والوشاح . ولم يرد ذكر للعقد ضمن هذه الحلي ، وهو الاسم الذى اختاره لمصنفــه المشهور .

ذكر الحجل في أشعاره ثلاث مرات ، وكذلك الوشاح ، أما الســـوار فذكره مــرة واحدة في قوله :

بأبي طاقة آس أقبلـــــــت   تتثنى بين حجل وســـــوار (2)

ويعالج الشاعر المعنى بنفس الاسلوب في كل مرة ، فكما ربط في السابق بين الثياب والمشي فأنه أيضا ربط هنا بين وجود الحلي والحركة في الأيدى والارجـــل ، وهو الســـر الكامن في التحلي بهذه الزينة في رأى الشاعر . ويأتي ذكـــر الوشاح كلما أراد التعبير عن رقة الخصر ورشاقته . يظهر ذلك في الابيات الثلاثة التالية ، وقد مـــرت الاشارة إلـــيها في مناسبة سابقة يقول :

واحلل وشاح الكعاب رفقـــا   واحذر على خصرها الرقيـــــق (3)

---

(1) الديـــوان : 156 . والمقرطقة لابسة القرطق وهو ثيـــاب
(2) الديـــوان : 99
(3) الديـــوان : 151

ورد ذكــــر الوشاح في موضعين للدلالة على رقة الخـــصر مع مقارنته في كل مـرة بالحجل في الموضعين ، يقول في الاول :

ذات دل وشاحها قلــــــــق   من ضمور وحجلها شـــــــرق (1)

وهذا المعنى هو نفسه المقصود التعبير عنه في البيت التالي :

دقيق فـرند الحسن أما وشاحـــه   فيهفو وأمـا حجله فيضيـــــق (2)

في هذه الامثلة معلومات قليلة عن اهتمام الشاعر بهذا الجانب المتعلق بزينة المرأة ، جاءت لتكمل الصورة الموجودة في شعره عن الـــمرأة الاندلسية كما هي في واقـــع الامـــر ، مع أنهـــا بعيدة عن كونها وثيقة تاريخية .

---

(1) الديـــــوان : 157

(2) الديـــــوان : 143

ثالثـــــا _ ظـــوا هر أخـــــرى

بقيت كلمة أخيـــرة لا بد منها ، تنتهي عندها هذه الجولة في شعر الغزل عند ابن عبد ربه . ويتعلق الامر هنـــا بطرف ثالث انعكس في شـــعره ، وكان مصدرا دائمـــا للقلق والخوف حينا ، والرفـــض والثورة أحيانا كثيرة . ويتمثل هـــذا الطرف الثالث في العذال ، والحساد ، والاعداء ، والمراقبين ، والوشاة . وكان ابن عبد ربه كغيره من المحبين ، عرضة لمضايقتهم ، فاشتكى منهم ، واستعطفهم ، وداراهم ، وخاف منهم . فمن الاول قوله :

قد حملت الضيم فيـــــه   من حـــسود وعـــــــذول (1)

ويستعطفـــهم محاولا اقناعهم بمخاطبة جانب العقل والحكمة فيهم بقولـــه :

أيها اللائمون ماذا عليكـــم   أن تعيشوا وأن أموت بدائـــــي (2)

ويكثر من استعطافهم ، ويحلو له وصف حاله وآلام نفسه ، لا يريد المزيد من غيـــره ، ولا يتحمل أكثر من ذلك . وكأنه الى ذلك راض بمصيـــره ، مقتنع به ، نلاحظ كل ذلك في قوله :

خلوا جوى قلبي أكابـــده   حسبي مكابدة الهوى حسبـــــي (3)

---

(1) الديـــوان ، 181

(2) الديـــوان ، 5

(3) الديـــوان ، 23

ويشبه هذا قوله في البيت التالـــــي :

عاذلـــي حسبكمـــا قد غرقـــت في لجــــج (1)

ويتداخل الميل الى الاصرار على موقفه ، مع الـــرغبة في الحوار ، ومحاولة الاقناع من عدم جدوى الاستمرار في اللوم والعتاب ، لأنه صادق في حبه لا يريد عنه تحـــويلا ، ويبدو ذلك جليا في القول التـــالي :

أيـا من لام في الحـــب ولم يعلم جـــوى قلبـــي
ملام الصب يغويـــه ولا أغـــوى من القلــــب
فأنـــى لمت في هنـــد محـــبا صادق الحـــب (2)

ويتغلب جانب التمسك بالموقف ، ويعلن عن الاصرار والرفـــض حين يقول :

وقل لمن لام في التصابـــي إليك خـــل عن الطريـــق (3)

وقد يقوم قوله هـــذا دليلا على قوة إيمانه بحبه وتمسكه به ، فلا فائدة تجـــنى من محاولة إقناعه والعدول عن موقفه ، وهو غير مستعد لذلك ، وموقفه ثابت مهما قل العذل أو كثـــر في قوله :

لا سلت عاذلتي عنه نفســـي أكثري في حبه أو أقلـــي (4)

بل أن اللوم يزيده تمسكا بموقفه وإصرارا عندما يقـــول :

---

(1) الديـــوان : 36.
(2) الديـــوان : 24
(3) الديـــوان : 151
(4) الديـــوان : 178

زادني لومك إصـــــــرارا   أن لي في الحب أنصـــــــــارا (1)

وهو دليل آخر على الاصرار، ومحاولة الاقناع في أبعاد العذال واللائمين عن طريقه، وسيبتعدون عنه دون شك إذا علموا أن محاولاتهم تزيده إصرارا وثباتا في نهجه. على أنه يشكو كغيره من المحبين، الوشاة، والمراقبين، وشماتة الاعداء، ويحذر منهم. ويتمثل ذلك الحذر والخوف في الخطة التي تبعها حتى يتجنب أذاهم حين يقرر أن يداريهم، ويظهر لهم عكس ما يخفي، يقول في هذا المعنى :

واني لأبدى للوشاة تبسمـــــا   وانسان عيني في الدموع غـــــريق (2)

وكذلك الشأن مع الرقباء حين يداريهم، ويترقب غفلتهم .

أداري العيون وأخشى الرقيب   وأرصد غفلة تيمهـــــــا (3)

وتؤلمه شماتة الاعداء وتسبب له الأرق :

أرقت وقلبي عنك ليس يفيـــق   وأسعدت أعدائي وأنت صديـــــق (4)

وخير مثال ينتهي عنده البحث في شعر الغزل هو بيت ينقض ظاهره ما قال في العذال والعذل، على أنه يندرج في باب المبالغة، ولكنها مبالغة مستحبة حملت في طيهـا ما يبررها، يقول :

---

(1) الديـــوان : 94
(2) الديـــوان : 143
(3) الديـــوان : 214
(4) الديـــوان : 143

وأحببت فيها العذل حبا لذكرهـا   فلا شيء أشهى في فؤادي من العـذل (1)

وبهذا البيت الجميل يكتمل البحث في معاني الغزل عند ابن عبد ربه ، تتبعها دراسة الخصائص الفنية في القسم التالي .

---

(1) الديـوان : 174

1 ـ ابن عبد ربه ورأي له في شعره

2 ـ الجانب الشكلي

أ ـ بناء المقطوعات القصيرة في القصائد

ب ـ الأوزان المستعملة في شعر الغزل

3 ـ أسلوبه في الغزل

أ ـ اللغة

ب ـ الصورة

1 ـ ابن عبد ربه ورأى له في شعـــــره

قد يسأل سائل عن نظرة الشاعر الى أشعاره في هذا الباب وهل كان له رأى فيها ، وقد كان مهتما بأدب غيره حفظا وجمعا ورواية ؟ والجواب على ذلك أنه قد وردت بعض الآراء المتفرقة في العقد تخص بعض أشعاره في الغزل ، نبدأ بدراستها ونحاول التعرف على النقد الذاتي عند ابن عبد ربه ، ودواعي اختياره للامثلة التي كانت في نظره أجود أشعاره ، وسنحاول بعد ذلك النظر في سائر شعره ، وسبره بحثا على مميزات فنية أخرى لم يذكرها الشاعر . يمكن في البداية أمعان النظر في المقطوعة التالية :

صحا القلب إلا خطرة تبعث الاســـى ... لها زفرة موصولة بحنيـــــن (1)
بلى ربما حلت عرى عزماتـــــه ... سوالف آرام وأعين عيـــــن
لواقط حبات القلوب إذا رنـــت ... بسحر عيون وانكسار جفـــون
وريط متين الوشي أينع تحتــــه ... ثمار صدور لا ثمار غصـــون
برود كأنوار الربيع لبسنهـــا ... ثياب تصاب لا ثياب مجـــون
فرين أديم الليل عن نور أوجــه ... تجن بها الالباب أى جنـــون
وجوه جرى فيها النعيم فكللـــت ... بورد خدود يجتنى بعيـــون
سألبس للايام درعا من العـــزا ... وأن لم يكن عند اللقاء بحصيـــن
فكيف ولي قلب اذا هبت الصبـــا ... أهاب بشوق في الضلوع دفيـــن
ويهتاج منه كل ما كان ساكـــنا ... دعاء حمام لم يبت بوكـــون

---

(1) الديـــوان : 216

وأن ارتياحي من بكاء حمامـــة كذى شجن دا ويته بشجـــون
كأن حمام الايك حين تجا وبـــت حزين بكـــى من رحـمة لحزيـــن

واضح من القراءة الأولى للقصيدة السابقة ،جودتها،وعلق ابن عبد ربه عليها بقوله:/
((ومن قولنا في رقة النسيب والشعر المطبوع الذى ليس بدون ما تقدم ذكره)) (١)
جعل من البيت الاول والثاني مدخلا للموضوع ،ثم قسم الابيات العشرة الـسـابقة الى قسمين متسا ويين ،الاول خاص بوصفها وأعطاء فكرة مجملة عنها : العيون ،والثياب ، والوجه ،والخدود . وتحول الى الحديث عن نفسه في الخمسة الاخيرة ،ليصف حاله وهو متحصن بالعزاء مشتاق ،يهيجه نوح الحمام ،فيزيده حزنا .والقصيدة في شكلها تمثل وحدة متماسكة وكلا لا يتجـــزأ. في حين نلاحظ العكس في المقطوعة التالية ، فاذا استثنينا فيها الابيات الاربعة الاخيرة ، فأن القصيدة هنا تخالف سابقتها فـــي جانب المبنى ووحدتها ،لان الأبيات غير متماسكة،ويشكل كل بيت فيها وحدة مستقلـــة وتلتقي مع المقطوعة السابقة في كونها قسمين متسا ويين ،خصص الابيات الستة الاولى للحديث عنها ،فبدأبها كما فعل في المثال السابق، وثنى بنفسه في الابيات الستة الاخرى يقول فيها :

أتقتلني ظلما وتجحدني قتلـــــي وقد قام من عينيك لي شاهدا عـــدل
أطلاب ذحلي ليس بي غير شـــادن بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحـــلي
أغار على قلبي فلما أتيتـــــه أطالبه فيه أغار على عقلــــــي
بنفسي التي ضنت برد سلامهـــا ولو سألت قتلي وهبت لها قتلـــي
اذا جئتها صدت حياء بوجههـــا فتهجرني هجرا ألذ من الوصـــل

---

(١) ابن عبد ربه / العقد ج 5 . ص 397

وأن حكمت جارت علي بحكمهـــا	ولكن ذاك الجور أشهى من العـــدل
كتمت الهوى جهدى فجرده الأسى	بماء البكا هذا يخط وذا يملـــي
وأحببت فيها العذل حبا لذكرهـا	فلا شيء أشهى في فؤادى من العـــذل
أقول لقلبي كلما ضامة الأســـى	اذا ما أبيت العزفا صبر على الـــذل
برأيك لا رأيـي تعرضت للهوى	وأمرك لا أمرى وفعلك لا فعلـــي
وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا	فجردته ثم اتكأت على النصـــل
فأن كنت مقتولا على غير ريبـــة	فأنت الذى عرضت نفسك للقتـــل (1)

ويعلق ابن عبد ربه على هذه القصيدة بقوله : ((فمن نظر الى سهوله هذا الشعـر مع بديع معناه ورقة طبعه ، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده الا بفضل التقـدم ، ولا سيما اذا قرن قوله في هذا الشعر :

كتمت الذى ألقى من الحب عاذلـي	فلم يدر ما بي فاسترحت من العـذل (2)

بقولي في هذا الشعر :

وأحببت فيها العذل حبا لذكرهـا	فلا شيء أشهى في فـؤادى من العـذل
كتمت الهوى جهدى فجرده الاســى	بماء البكا هذا يخط وذا يملـــي
أقول لقلبي كلما ضامه الاســـى	اذا ما أبيت العز فاصبر على الـذ ل

فجودة المقطوعة عنده تتمثل في رقة الطبع ، والمعنى البديع ، والشعر السهل ، أى أن المقياس عند ابن عبد ربه يتلخص في اللغة السهلة ، والابداع في المعنى ، ورقة الطبـع .

---

(1) الديـوان : 174

(2) العـقد / ابن عبد ربه ج 5 ص 399

ولعله يقصد بالشعر المطبوع ، ذلك القالب الذى صيغت فيه القصيدة ، فجاءت بلهجتها التقريرية وكأنها قصة صغيرة بعناصرها وخصائصها الفنية ، مع الصور الشعرية التي يتطلبها شعر في هذه الدرجة من الجودة ، بالاضافة الى سهولة اللغة وسلامتها كما قال . فلا نكاد نجد في القصيدة لفظا غريبا ، وتتميز الابيات الاربعة الاخيرة بوحدتها وتماسكها، خصصها لقلبه ، فاتحا معه حوارا ينتهي به الا مر الى الاقتناع بصحة رأيه في كل ما حل به في سبيلها ، بدأها بفتح الحوار عندما قال : (أقول لقلبي) ثم تتبعه مضامين هذا الحوار : (اصبر على الذل) و (برأيك) و (أمرك) و(فعلك) و (وجدت) و (جردته) و (أنت الذى) .ومن شعره الذى أعجب به قوله:

كم سوسن لطف الحياء بلونه فأصاره وردا على وجناته (1)

علق على هذا البيت بقوله : ((ومن قولنا في رقة النسيب وحسن التشبيب)) وتبدو الرقة التي أشار اليها في مقدرته على اختيار ألفاظ رقيقة لتؤدى معنى أكثر رقة،تمثلت هذه الالفاظ في : (السوسن) و (الحياء) و (الورد) و (الجنة) .وفي رقة النسيب وحسن التشبيب أضاف مثالا آخر هو قوله :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا	ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله	درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه	أبصرت وجهك في سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا (2)

---

(1) الديوان : 231

(2) الديوان : 145

ولا شك أن الرقة التي يقصدها في الابيات الاربعة هنا هي أقل بروزا منها في البيت السابق ، الا أن يكون قصد الى مقارنته بالبيت الذى ورد فيه المعنى نفســه ، وهــو تأثير الحياء وفعله في تلون الوجه ، أو يقصد بذلك قوله في البيت الاخير الذى يتمنى فيه وجود رقة في قلبها كرقة الخصر عندها ، وهي مقارنة لطيفة تنم عن أحساس مرهــف عند شاعر مبدع .

ويستعرض الشاعر ثلاث مقطوعات يدعي فيـــها الاختراع والسبق ، وحدد مميزاتها الفنية في التالي : تشبيب رقيق ، وتشبيه جـــيد . لا نظير لبــــديعه ، ولم يسبق الى غريبه . يقول في المقطوعة الاولى :

حــــوراء داعبها الهواء في حـــــور   حكمت لواحظها على المقــــــدور
نظرت الي بمقلتي أدمانـــــــــة   وتلفتــت بسوالف اليعفــــــــــور
وكأنما غاض الاسى بجفونهـــــــا   حتى أتاك بلؤلؤ منثـــــــور (1) .

قال ابن عبد ربه معجبا بشعره هذا : ((... من قولنا في رقة التشبيب وحسن التشبيه ، البديع الذى لا نظير له ، والغريب الذى لم يسبق اليه)) (2) . ولعل الاعــــجاب بالتشبيه الذى اهتدى اليه والغريب الذى لم يسبق اليه يكمن فقط في البيت الاخير ، عندما غاص بدوره في المعاني ليهتدى الى صورة جميلة بعيدة . وأعجب الثعالبي أيضا بهذه الابيات فعلق عليها قائـــلا : ((وقوله وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب)) (3) . أما المقطوعة الثانية فلا يمكن فيها تغليب بيت على آخر

---

(1) الديـــوان : 72 .
(2) العقد / ابن عبد ربه ج 5 ص . 400
(3) اليتيمة / الثعالبي ج 2 ص . 81

لانها جاءت منسجمة في مجموعها ، هادئة في عرضها ، قوية في نسجها ، وأعجابه بهذه الابيات له ما يبرره ، يقول فيها :

أدعو اليك فلا دعاء يسمع ... يا من يضر بنا طرفه وينفع
للورد حين ليس يطلع دونه ... والورد عندك كل حين يطلع
لم تنصدع كبدي عليك لضعفها ... لكنها ذابت فما تتصدع
من لي بأحور ما يبين لسانه ... خجلا وسيف جفونه ما يقطع
منع الكلام سوى أشارة مقلة ... فبها يكلمني وعنها يسمع (1)

والشيء نفسه يمكن قوله بالنسبة للبيتين التاليين ، وهي المقطوعة الثالثة ، على أنها أكثر قوة في التعبير ، مع سلاسته وحسن التشبيه فيه كما صرح بنفسه في ذلك ولعله يقصد بقوله : ((الغريب الذى لم يسبق إليه)) ما جاء في البيت الثاني :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر ... وطرف اذا ما فاه ينطق بالسحر
ووجه أعار البدر حلة حاسد ... فمنه الذى يسود في صفحة البدر (2)

وننتهي بآراء الشاعر في شعره الغزلي الى هذا البيت الوحيد الذى رواه لنفسه ، فقارنه بأبيات أوردها لشعراء آخرين في المضمون نفسه ، فرأى أن المعنى عنده أحسن من تلك الاشعار كلها أو في مستواها على أقل تقدير . علق على البيت التالي بقوله : ((وقد قلنا في هذا المعنى ، وهو أحسن من كل ما تقدم

---

(1) الديوان : 129
(2) الديوان : 73

أو مثلـــــــــــــه)) (1)

كأن التي يوم الوداع تعرضـــــت هلال بدا محقا على أنه تــــــم (2)

2 ـ الجانب الشكلـــــــي

الهدف من بحث هذا الموضوع في شعر الغزل عند ابن عبد ربه هو محاولة تفسير جوانب محددة ، والكشف عن بعض الحقائق من خــــلال بعض إحصائيــــات وضعت في الجداول التاليـــــــة ، وتوزعت هذه الى محورين رئيسيـــين : درس الاول ظاهرة بناء المقطوعات القصيرة فالقصـــائد ، واعتنى المحور الثاني بالاوزان المستعملة في شعـــر الغزل .

أ ـ بناء المقطوعات القصيرة فــالقصائــــــــد

يضم هذا المحور جدولين : في الاول بيان بحجـــم المقطوعات والقصائد فـي ديوان الشاعر . وفي الثانـــي بيان بحجـــم المقطوعات والقصائد الغزلية ، وعدد الابيات في كل صنـــــف .

(1) العقـــد / ابن عبد ربه ج 5 ص339 . يشير الى المعنى الذى يأخذ ، شاعر لاحق عن آخـــر سابق يزيد فيه كما فعل في هذا البيت أخذ معناه من قول بشار : ضنت بخد وجلت عن خد ثم انثنت كالنفس المرتـــــــــد

(2) الديـــوان : 195

الجـــــــدول رقـــــم (1)

جدول بياني بحجم المقطوعات والقصائد في الديوان

مجموع الابيات في كل مقطوعة	مجمـــــوع المقطوعات	مجمـــــوع الابيـــات	النسبة المائـوية الى مجموع الابيات	النسبة المائوية الى مجموع المقطوعات
1	17	17	%1،5	%7
2	33	66	%6	%14
3	24	48	%4	%10
4	110	440	%40	%45
5	12	60	%5،5	%5
6	12	72	%6،5	%5
7	[illegible]	77	%7	%4،5
8	3	24	%2،2	%1
9	3	27	%2،5	%1
10	3	30	%2،7	%1
11	2	22	%2	%0،8
12	3	36	%3،2	%1
13	1	13	%1،2	%0،4
14	1	14	%1،3	%0،4
16	1	16	%1،4	%0،4
18	1	18	%1،6	%0،4
19	2	38	%3،4	%0،8
27	1	27	%2،5	%0،4
29	2	58	%5،3	%0،8
المجموع	242	1103		

الجـــدول رقم (2)

جـــدول بياني بحجم المقطوعات والقصائد الغزلية وعدد الابيات في كل صنف

مجموع الابيات في كل مقطوعـة	مجمـــوع المقــطوعـات	النسبة المائويـة الى مجموع المقطوعـات	مجمـــوع الابيـــات	النسبة المائويـة الى مجمـــوع الابيـــات
1	3	%2.5	3	%0.6
2	12	%10	24	%5
3	13	%10.8	39	%8
4	81	%67.5	324	%69
5	5	%4	25	%5
6	2	%1.6	12	%2.5
9	1	%0.8	9	%1.8
12	2	%1.6	24	%5
17	1	%0.8	17	%3.5
المجـــموع:	120		477	

تـــــرا ء ة في الجـــــد وليــــس؛

1 ــ إن مجموع أبيات المقطوعات الصغيرة التي تحتوى على عدد من الابيات يترا وح من 1 الى 7 ، يتكون من 780 بيتا أى بنسبة 72٪ الى مجموع أبيات الديوان ، بينما تتوزع هذه المجموعة على 219 مقطوعة أى بنسبة 90٪ الى مقطوعات الديوان، أما متوســط الابيات بالنسبة الـــى مجموع القـــصائد والمقـــطوعات فلا يتجاوز 5،4 ٪ . ويعنى هـــذا أن أكثـــر شعر ابن عـــبد ربـــه قـــد وصل إلينا في شـــكل تغلب عليه المقطوعات القصيـــــرة ، يبينـــه الجدول رقـم (1)، بـــوضوح . ويمكـــن تفسيـــر الظاهـــرة بضيـــاع أكـــثر شعـــره ووصـــول الجـــزء الذى حفظ منـــه ناقصـــا . ويقـــوم دليلا عـــلى صحة هـــذا الرأى ، وجود مجموعة كبيـــرة من المقطوعـــا ت لا يتجاوز عدد أبياتهـــا الثلاثـــة ، وهـــى الى ذلك تمثـــل نسبة عاليـــة الـــى مجموع مقطوعات الديـــوان ، تصل الى نحـــو 30٪ ، وهـــذا النوع مـــن المقطوعات الناقصـــة أوردها لنفسه في العقـــد لغـــرض التمثيـــل والاستشهاد ، بالاضافـــة الى أنـــه لم تـــرد في العقـــد ــ علـــى كـــثرة ما روى لنفســـه ــ مقطوعـــات طويلة . وهـــو النوع الـــذى وصلنا عـــن طريق الـــرواة الذين اعتنوا بتسجيل بعض القصـــائـــد الطـــوال ، وهـــذه الحقيقة تـــؤيد القول بالضياع وتدعمـــه .

2 ــ في الديـــوان تسع مقطوعات أبياتها أكـــثر من عشـــرة، ودون العشرين بيتـــا . وأطـــول المقطوعات ثلاثـــة فقـــط ، اثنتان منهـــا في كـــل واحـــدة تسعة وعشرون بيتـــا ، وفي الثالثـــة سبـــعة وعشـــرون . وهـــي

دون شك أطول من ذلك لان ابن حيان أضاف بعد البيت السابع والعشرين قائلا : ((وهي طويلة)) (1) .

3 — للشاعر قصائد طوال لم تصلنا واحدة منها كاملة ، ومن أدلة ذلك ما أورده ابن حيان معلقا على أطول قصيدة في الديوان، قال بعد الجزء الاول منها : ((أطال النسيب وأرقه ثم خرج الى المديح فقال)) وأضاف بعد الجزء الثاني منها وبعد أن أتى بأبيات في المديح قائلا : ((وهي طويلة بعيدة جدا)) (2) .

4 — تتكون نسبة عالية من المقطوعات الغزلية من أربعة أبيات ، وتقترب هذه النسبة من 70 ٪ في حين تتوزع نسبة 30٪ على الباقي .

5 — تضم أطول مقطوعات الغزل 17 بيتا ، وهي مقطوعة واحدة تأتي أثرها في الترتيب مقطوعتان في كل واحدة 12 بيتا .

والمعروف أن الغزل واحد من الاغراض العديدة التي تتكون منها القصيدة القديمة . بل هو مفتاح تلك القصيدة ، مما يقوم دليلا آخر على ضياع أكثر شعره ، والا هل يكون شاعرنا قد نظم مقطوعاته في موضوع الغزل فقط ، فتوفر لها بذلك شرط أساسي لم يكن معروفا حينذاك وهو الوحدة الموضوعية ؟ والا رجح الرأى الاول لاقترابه من الروح المنهجية والحقيقة العلمية . وفيما يلي جداول المحور الثاني وفيه بيان بأوزان المقطوعات والقصائد الغزلية وعددها في كل صنف .

---

(1) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص 102

(2) المصدر نفسه ص . 42

ب ـ الاوزان المستعملة في شعـــر الغـــزل

الجـــدول رقـــم (1)

البحور المستعملة وعدد المقطوعات ونسبتهـــا الى مجموع الديوان

الترتيـب	البحــــور	عدد المقطوعات	النسبة الــى المجــموع
1	البســيط	47	%19,5
2	الكامــل	46	%19
3	الطــويل	40	%16,5
4	الــوافـر	26	%11
5	السريــع	18	%7,5
6	المــديد	13	%5,5
6	المنســرح	13	%5,5
8	الرمــل	10	%4
9	الخفيــف	8	%3
10	الــرجـز	6	%2,5
10	المتقــارب	6	%2,5
12	الهــزج	5	%2
13	المجــتث	2	%0,8
14	المضــارع	1	%0,4
14	المقتضــب	1	%0,4
16	المتـــدارك	0	0

الجـــــــدول رقـــم (2)

تـــــوزيع البحــــور على موضـــوعــــات شعـره

الترتيب	البحـــور	الغـــزل	المديح	الحرب	الرثاء	أغراض اخرى	المجموع
1	البسيـط	16	4	4	1	22	47
2	الكامـل	25	6	2	2	11	46
3	الطويـل	15	5	3	1	16	40
4	الوافـر	11	3	2		10	26
5	السريـع	7	3	1		7	18
6	المديـد	11				2	13
6	المنسـرح	4	1		1	7	13
8	الرمـل	8	1			1	10
9	الخفيـف	7				1	8
10	الـرجـز	4				2	6
10	المتقـارب	5				1	6
12	الهـزج	4				1	5
13	المجـتث	1	1				2
14	المضارع	1					1
14	المقتضـب	1					1
16	المتـدارك						0
	المجمـوع	120	24	12	5	81	242

الجدول رقم (3)

توزيع المقطوعات على موضوعات شعره .

الترتيب	الموضوع	عدد المقطوعات	النسبة الى المجموع
1	الغزل	120	%49،5
2	المدح	24	%10
3	الحرب	12	%5
4	الرثاء	5	%2
5	أغراض أخرى	81	%33،5
المجموع		242	

الجـــــــــدول رقـــم (3)

توزيع المقطوعات على موضوعات شعـــــــــر .

الترتيـــب	الموضـــوع	عدد المقطوعات	النسبـــة الـــى المجمـــوع
1	الغـــزل	120	%49،5
2	المـــدح	24	%10
3	الحـــرب	12	%5
4	الـــرثاء	5	%2
5	أغراض أخـــرى	81	%33،5
المجمـــــوع		242	

الجـــــدول رقـــــم (4)

البحور المستعملة في الغزل وعدد المقطوعات في كل بحـــــر

الترتيـــب	البحـــور	عدد المقطوعـات	النسبة الى المجمـوع
1	الكامـــل	25	%20،8
2	البسيـــط	16	%13،3
3	الطـــويـل	15	%12،5
4	الـــوافـر	11	%9
4	المديـــد	11	%9
6	الرمـــل	8	%6،6
7	الخفيـــف	7	%5،8
7	السريـــع	7	%5،8
9	المتقارب	5	%4
10	المنســرح	4	%3،3
10	الهـــزج	4	%3،3
10	الـــرجـز	4	%3،3
13	المقتضـــب	1	%0،8
13	المضـــارع	1	%0،8
13	المجتـــث	1	%0،8
16	المتـــدارك	0	

قـــــراءة في الجـــــدا ول الاربعـــــــة

1 ـ بني هـــذا الاحصاء أساسا على المقطوعة لا البيـــت وأعتمد ت كوحدة لقياسه لان ديوانه في أغلبه مقطوعات صغيرة وردت مقتضبة ، هي في الاصـــل أمثلـــة استخرجت من قصائد أطـــول لم تصلنا . وهي تقوم دليلا في الواقع على وجود العدد المماثل من القصائد على الاقل ضاعت . وتمكـــن هذه الجـــدا ول من أعطاء فكرة قد تكون قريبة من الحقيقة حين أخـــذ في الحساب الشعر الوافر الذى ضاع ، وبقيت منه أبيات تدل عليه .

2 ـ يمثل أستعمال أربعة بحور نسبة 66٪ من مجموع الديوان ، وهذه البحور هي بالترتيب : البسيط ، فالكامل ، فالطويل ، فالوافـر . وتتوزع نسبة 34٪ الباقية على البحور الاخرى ، ويعني هذا أن أعتماد الشاعر يكاد يكون كليا وبنسب متقاربة علـــى البحور الثلاثة الاولى ، ثم يأتي الوافر في المرتبة الرابعة بمسافة بعيدة .

يتصدر البسيط المجموعة بنسبة 19،5٪ لوحـــده ، وعنه يقول صاحب المرشـــد :

((والطويل والبسيط أطـــولا بحور الشعر العربي وأعظمهمـــا أبهة وجلالة ، واليهما يعمد أصحاب الرصانة ، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة .)) (1)

ولعل هذا القول يقوم دليلا على سيطرة ابن عبد ربه على أداة الشعر حين جارى كبار الشعراء وسار على نهجهم ، واختار لشعره البحور القوية . أمـــا الكامل فيتأخـــر عن الـــــمرتبة الاولى بنصف نقطـــة كما يبينه الجدول رقم 1 وهو أيضا من البحور القوية،

---

(1) المرشد الى فهم أشعار العرب/ عبد الله الطيب ج 1 ص 362

وعنه يقول عبد الله الطيب : ((وهو أكثر بحور الشعر جلجلة ، وحركات وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله أن أريد به الجد — فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر)) (1) . أما ثالث بحور المقدمة ، وهو الطويل ، فيتأخر عن الثاني بنقطة ونصف ، وعنه يقول صاحب المرشد : ((... وهو أرحب صدرا من البسيط ، وأطلق عنانا ، وألطف نغما ، ذلك بأن أصله متقاربي ، وأصل البسيط رجزي ، ولا يكاد وزن رجزي يخلو من الجلبة مهما صفا . ومما يدلك على سعة الطويل ، أنه تقبل من الشعر ضروبا عدة كاد ينفرد عنها عن البسيط)) (2) .

توضح هذه القراءة في الجدول الاول ميل الشاعر الى هذه البحور الثلاثة القوية ، التي هي البسيط ، والكامل ، والطويل ، وتحصل لوحدها مجتمعة على نسبة 55٪ أما النسبة الباقية فهي من نصيب البحور الاخرى التي استعملها ابن عبد ربه وعددها اثنى عشرة بحرا . ويأتي الوافر في المرتبة الرابعة ، وهو يبعد عن الثالث بخمس نقاط ونصف ، وهو يصلح ((للاداء العاطفي سواء أكان ذلك في الغضب الثائر والحماسة ، أم في الرقة الغزلية والحنين)) (3) .

3 — لاجدال في أن الربط بين البحر الذى اختاره الشاعر ، والمعنى الذى يريد التعبير عنه ، غير قائم على أساس علمي دقيق . على أن هذا لا يمنع من بحث الموضوع ، ومحاولة الكشف عن السبب الذى يكمن وراء انحياز الشاعر إلى أوزان معينة ،

---

(1) المرشد الى فهم أشعار العرب / عبد الله الطيب ج 1 ص. 246

(2) المصدر نفسه ص. 362

(3) المصدر نفسه ص. 332

وأعـــراضه عن أخـــرى (1) . إن نظــــرة سريعة في الجدول رقم (2) . تبين وجود الغزل في كل البحور تقريبا ، بينما اقتــــصر شعر المديح ، والحـــرب ، والرثاء ، على بحور محدودة .

4 – يحدد الجدول رقم (3) نصيب الاغراض الشعرية من البحور بالنسبة الى جملة شعره ، ويبرز الجدول بوضوح نصيب فن الغزل من ذلـــك ، ويتبين اقترابه بنسبة 50٪ من شعره . ويأتي المديح في المرتبة الثانية ، ولكن بمسافة بعيدة ، قـــدرها 40 نقطة تقريبا ، ويعني هــــذا أن الـــمديح يحصل رغم وجوده فـــي المرتبة الثانية ، على نسبة 10٪ من مجموع شعره فقــــط . ونصف هذه النسبة المائوية لشعر الحرب أي 5٪ ، وأقل من نصف هذه النسبة الاخيرة تســـعود للرثاء . أمـــا نصيب الاغراض الاخرى مجتمعة فهو 5 ، 33٪ .

5 – لا بد من وقفة عند الجدول الرابع ، الخاص باحصاء شعر الغزل للتعرف علـــى نسبة نصيب كل بحـــر الى مجموع شعره فـــي الغزل . ويلاحـــظ تكون ثلاثـــة مجموعات متميـــزة ، ففي المجموعة الاولى ثلاثة بحور تجاوز نصيب كل بحر نسبة 10٪ . أما المجموعة الثانية ففيها خمسة بحـــور تجاوز نصيب كل بحر فيها 5٪ . وتتشكـــل المجموعـة الثالثة من بقية البحور . نصيب المجموعة الاولى 46 ٪ ، والمجموعة الثانية 36٪ ، أما الثالثة فلا تزيد على 16 ٪ . ويعني هذا أن الشاعر اعتمـــد في هذا الباب على ثلاثة بحور رئيسية ، وخمسة ثانويــــــة . ويلاحظ استحواذ

---

(1) انظر حول هذا الموضوع : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجرى / يوسف حسين بكـــار ص . 366 وما بعدهـــــا

البحــر الكامل على حصة الاسد ، فالى كونه في المقدمة فأنــه يبتعد عن الثاني بسبع نقاط ونصف ، ويمثل نصيبه من شعر الغزل كله أكـــثر من خمسه بقليل . ولعل في قول صاحب المرشد ، ما يفسر لــجوء ابن عبد ربه الى هذا البحر في شعر الغزل على حساب البحور الاخرى،لان موسيقا ، تجعله ((أن أريد به الى الغزل ومجرا ، مــن أبواب اللين والرقة حــلوا مع صلصلة كصلصلة الاجراس ، ونوع من الا بهة يمنعه أن يكون نــزقا أو خفيفا ،أو شهوانيــا ، وهو بحــر كأنــه خلــق للتغني المحض ســواء أريد بــه جــد أم هــزل ، ودندنة تفعيلاته مــن النوع الجهير الواضــح الذى يهجم على السامع ،مع المعنى والعواطف والصور)) (1) . فالكامل الى ذلك من البحور الطويلة ، وتمنح مقاطعه الطويلة للشاعــر مجــالا أفسح للعرض ، ونفسا أطول في الوصف ،خاصة وأن غــزله من ذلك النوع الحزين المليء بالحرمان والشكوى كما سبق ذكــره .

وما قيل في الكامل يقال في البسيط الذى جاء في المرتبة الثانية بنسبة 13٪ ، وقريب منه البحــر الطويل ، وكان هذا الاخــير مطية شعراء بني أمية الغزليين مع أنهم أعرضــوا عن البسيط (2) .

6 ـ يصلح الوافر الذى يأتي في الرتبة الاولى من المجموعة الثانية في المواقف العاطفية والحنين ، والبكــــاء (3) . يماثله في الصدارة المديــد ، وهو من البحور التي أعرض عنها الشعراء في عهد ابن عبد ربه في المــشرق ،لسببين ذكرهما صاحب المرشد ،أحـــدهما بسبب ثقله ، وثانيهما إعراض كبار الشعــراء عنه ،كالمتنبــي

---

(1) المرشد الى فهم أشعار العرب/ عبد الله الطيب ج 1 ص. 246

(2) انــظر المصدر السابق ص. 362

(3) المصــدر نفسه ص. 332 ـ 333

وأبي تمام ، والبحتري ، والمعري . فاقتدى سائر الشعراء بهم (1) . على أننا نلاحظ أن ابن عبد ربه استعمل هذا البحر فنظم فيه كثيرا . وهو يتقدم الرمل والخفيف ، والسريع كما بينه الجدول رقم (4)

7 — أن ثمانية بين 10 مقطوعات قالها في بحر الرمل ، تقع في باب الغزل لوحده . ويصلح بحر الرمل — لخفته ومرونته — للغزل ((وكان مستحسنا عند أهل الشراب والغناء)) (2) كما يصلح لمواطن العاطفة الحزينة .

8 — ونجد في المجموعة الثانية ، وفي مرتبة واحدة ، بحري الخفيف والسريع ، بنسبة قريبة من 6٪ لكل منهما . ويقول صاحب المرشد عن الاول : ((وقد اختلفت أغراض هذا البحر بين طرفي الغزل والحماسة ، والمديح ، والهجاء والرثاء ، والفخر ، لما قدمنا لك من عراقة الاستعمال ، ومع ذلك فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذه من وضوح النغم واعتداله ، بحيث لا يبلغ حد اللين ولا حد العنف ولكن يأخذ من كل بنصيب)) (3) . أما الثاني فهو من الأوزان السهلة ويعتمد على المقاطع القصيرة . ويعلل صاحب المرشد إعراض الشعراء عنه قائلا : ((وكان إعراض البحتري والمتنبي عن السريع ألقى على سوقه التي كانت رائجة ظللا من الكساد)) (4) . وهو التفسير الذى أعطاه لاعراضهم عن المديد ،

---

(1) انظر حول هذا الموضوع المصدر السابق ص . 142 . على أنه لم يكن مستعملا من طرف شعراء الغزل في القرن الثاني حسب ما ورد في كتاب اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجرى / حسين بكار، فقد استعمله شاعر واحد من بين خمسة شعراء أحصى شعرهم حسب الجدول في الكتاب المذكور ص . 359 .

2) المصدر السابق ص . 118

(3) المصدر نفسه ص . 195

(4) المصدر نفسه ص . 158

على أن السريع كان رائجا في القرن الثاني ، نظم عليه العباس بن الاحنف كثيرا من شعره الغزلي (1) ويأتي عنده في الترتيب مباشرة بعد الطويل ، والبسيط والكامل .

9 - في ذيل الجدول تتجمع البحور الاخرى ، وهي سبعة ، ولا تتجاوز مجتمعة نسبة 14٪ .

3 - أسلوبه في الغزل

أ - اللغة

في لغة الشاعر الغزلية ، تكمن مقدرته وقوته ، لانه استطاع تسخيرها من أجل الغاية التي يتوخاها ، وقد رأينا كثرة المعاني التي وردت في هذا النوع من الشعر ، ومع ذلك فقد حفظ لنفسه مستوى جيدا للتعبير . بعيدا عن الاسفاف الذى يقع فيه بعض الشعراء ، واستطاع أن يجمع في لغته بين الجودة والقوة في التعبير من جهة ، وسلاسة الالفاظ ورقتها من جهة أخرى . ويقصد الشاعر من وراء ذلك دون شك الى توظيف جيد للشكل والمضمون ليكونا في المستوى المنشود . ولتوضيح هذا يمكن الرجوع مرة أخرى الى بعض شعره ، لتسليط الضوء على ثلاث زوايا .

الاولى : تمكنه من استخدام اللغة ، وترويضها من أجل الأداء الجيد للمعنى المقصود ، وتساعد بعض الأمثلة المستخرجة من شعر الغزل على إدراك ذلك

---

(1) انظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجرى / يوسف حسين بكار ص . 359

كقولــه مثــلا :

سرى طيف الحبيب على البعـــاد ... ليصلح بين عيني والرقـــــاد

فبات الى الصباح يدى وســـاد ... لو جنته كما يده وســـادى

بنفسي من أعاد الي نفســـي ... ورد الى جوانحــه فـــؤادى

خيال زارني لما رآنـــــي ... عدتني عن زيارته عـــوادى

يواصلني على الهجران منـــه ... ويدنينـــي على طـــول البعـــاد (1)

فعلى الرغم من بساطة الالفاظ في البيت الاول مثــلا ، وقرب معناها ، الا أن الشاعــر انتهى بها الى الاداء الجـــيد بفضل البراعة في السبك ، فجاء المدخل قويـــا مع سهولة ألفاظـــه ، وجامعا للمعنى الذى فصلته الابيات الاربعة بعد ذلـــك. وهناك مظهر آخـــر من مظاهر التحكم في اللفظ يبدو جليا في البيتين التاليين اللذين اجتمعت فيهما القوة في الحبك ، مع البساطة في اللفظ في قولـــه :

وان ارتياحي من بكاء حمامـــة ... كذى شجن داويته بشجـــون

كأن حمام الأيك حين تجاوبـــت ... حزين بكى من رحمة لحزيـــن (2)

ومــــن مظاهر تمكنه من اللغة ، اللجـــوء أحيانا الى اللهو بالألفاظ والمعاني ، وقد اجتمع له ذلك في البيتين التاليين ، يقول فيهمـــا :

تجافى النوم بعدك عن جفونـــي ... ولكن ليس تجفوها الدمـــوع

يطيب لي السهاد اذا افترقنـــا ... وأنت به يطيب لك الهجـــوع (3)

---

(1) الديوان : 63

(2) الديوان : 216

(3) الديوان : 134

الثانيـــــة : سلامة اللغة ووضوحها ، وانسيابها ، وهو جانب آخـــر من جوانب الجمال في لغة الشاعر الغزلية ، فلا حظ فيه تتابع الالفاظ والعبارات طوعـــاء كأنها سيل ينساب صافيا رقراقـــا ، ولا يظلم المعنى فيه انتصار اللفظ من ذلك قـــوله :

غـــزال زانه الحـــور وساعد طرفه القـــدر
يريك اذا بدا وجهـــا حكاه الشمس والقمـــر
براه الله من نـــور فلا جـــن ولا بشـــر
فذاك الهم لا طلـــل وقفت عليه تعتبـــر (1)

أو قوله في الشكوى والألم من طوّل البعـــاد :

هيج البين دواعي سقمـــي وكسا جسمي ثوب الالـــم
ايها البين اقلني مـــرة فاذا عدت فقد حل دمـــي
يا خلي الذرع نم في غبطـــة أن من فارقته لـــم ينـــم
ولقد هاج لقلبي سقمـــا ذكر من لو شاء داوى سقمـــي (2)

وقد يصعب في هذا السياق اختيار أبيات دون أخـــرى ، لان أغلبها صالح للدلالـــة على ما ذكر (3)

الثالثـــة : قوة اللفظ للتعبير به عن معنى قوى ، ويبدو ذلك جليا فـــي البيتين التاليـــن :

---

(1) الديوان : 103
(2) الديوان : 203
(3) من ذلك المقطوعات التالية في الديوان : 23 ـ 72 ـ 74 ـ 114 ـ 129 ـ 145 ـ 148 .

محب طوى كشحا على الزفرات وانسان عيني خاض في غمرات
بحبك عاشرت الهموم صبابة كأني لها ترب وهن لداتي (1)

فان الشاعر حين أراد إبراز الارهاق الشديد الذى أصابه بسبب الحب ، لجأ الى استخدام مفردات قوية عديدة تجمعت كلها في بيتين اثنين ، ونلحظ ذلك في الالفاظ التالية : ((الزفرات)) و ((الغمرات)) و ((الهموم)) و ((الصبابة)) ، تتخللها ألفاظ وعبارات رقيقة لتخفف من حدتها ، كقوله : ((محب طوى)) و ((إنسان عيني)) و ((بحبك)) و ((ترب)) و ((لداتي)) .
وخلاصة القول : ان لغة الغزل عند الشاعر قوية في لين ، ومتينة الا أنها سهلة ، وقريبة الا أنها ممتنعة .

ب ـ الصورة

كيف كانت الصورة الشعرية عند ابن عبد ربه في فن الغزل ، وأين تقع منه ؟ يهدف الجواب عن هذا التساؤل إلى إبراز الصورة الشعرية ، ومعرفتها ، وتقييمها ، وأظهار الدور الذى أدته في لغة الشاعر . والصورة الاولى التي تستوقفنا في هذا المجال ، هي صورة جميلة يمكن اعتبارها من صور ابن عبد ربه الطريفة ، وقد عمد فيها الى تصوير حادثة واقعية ، ممزوجة بالخيال الذى ينم عن روح مرحة ، وظل خفيف يتمتع به الشاعر ، يقول :

---

(1) الديوان : 27

يامقلة الرشا الغـــــــرير ــــ وشقة القمر المنيـــــــــــــر
ما رنقت عيناك لـــــــي ــــ بين الاكلة والستـــــــــــور
الا وضعت يدى عـــــلى ــــ قلبي مخافة أن يطيــــــــر (1)

صنع ابن عبد ربه هنا لوحة فـنية رائعة ، بعد أن مهد لها ببيتين ، ثم أبرزهـا في البيت الثالث الذى جاء جميلا معبـرا . وتدل الصورة في الابيات الخمسة التالية على المقدرة الفائقة التي يتمتع بها ابن عبد ربه في ربط المعاني التي يقصد التعبير عنهـــا ، واختيار الفاظه بعناية ، لتخرج الصورة في النهاية محكمة النسج يقول :

أتقتلني ظلما وتجحدني قتلـــي ــــ وقد قام من عينك لي شاهدا عـــــدل
أطلاب ذحلي ليس بي غير شادن ــــ بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلـــي
أغار على قلبي فلما أتيتـــــه ــــ أطالبه فيه أغار على عقلـــــــــي
بنفسي التي ضنت برد سلامهـا ــــ ولو سألت قتلي وهبت لها قتلـــــــي
إذا جئتها صدت حياء بوجههـا ــــ فتهجرني هجرا ألذ من الوصــــل (2)

ولعب الخيال دورا كبيرا في تحسين الصورة ، ويظهر البيت الثالث في المثال السابق قمة ذلك الخيال وجمال إبداعه .

وقد يأتي بالصورة القديمة المبتذلة فيبدع فيها ، بعد أن يقوم بعملية يجيد تركيبها ليعرضها في ثوب جديد ، كما يفعل الرسام الماهر في عملية نسج الالوان ودراستهـا للتعبير بهـــا . وهو ما يلحظ في الابيات التاليـــــة ، حين عبر بصورة جديدة مبتكرة تولدت عن صورتين معروفتين همـــا ، سحر اللفظ ، وسحر الكف . ويتمثل

---

(1) الديوان : 97
(2) الديـــوان : 174

الجديد في إبراز تلك العلاقة الخفية بين الصورتين، اهتدى الشاعر اليها ، فأحسن تصويرها، يقول :

وأزهر كالعيوق يسعى بزهراء — لنا منهما داء وبرء من الداء

ألا بأبي صدغ حكى العين عطفه — وشارب مسك قد حكى عطفة الراء

فما السحر ما يعزى الى أرض بابل — ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء

وكف أدارت مذهب اللون أصفرا — بمذهبة في راحة الكف صفراء (1)

والصورة عند ابن عبد ربه الى كونها في الظاهر حسية ،الا أنها في واقعها تسمو عن ذلك ، وهذا ما تبينه الابيات التالية ، وهي قريبة جدا من الصورة التي عبر عنها الشاعر في الابيات السابقة، وخاصة في البيت الاخير منها يقول :

بذمام الهوى أمت إليه — وبحكم العقار أقضي عليه

بأبي من زها علي بوجه — كاد يدمى لما نظرت اليه

كلما علني من الراح صرفا — علني بالرضاب من شفتيه

ناول الكأس واستمال بلحظ — فسقتني عيناه قبل يديه (2)

ويجمع ابن عبد ربه كثيرا وببراعة بين أكثر من صورة ، ليترك المجال واسعا للمتأمل في تفسير وتأويل المعنى البعيد ، وتخيل ما أمكنه الخيال ، لاستكشاف المعنى الذى لا يريد الافصاح عنه ، ونلاحظ ذلك مثلا في قوله :

ينثر الدر في المسامع نثرا — بين در منظم متساق (3)

---

(1) الديوان : 3

(2) الديوان : 237

(3) الديوان : 153

أو في قولــه :

فاذا ابتسمـن فدر الثغر منتظــم   واذا نطقـن فدر اللفظ منثــور (1)

وهي صورة قريبة جـدا في ظاهرها ،على أننا وبعد إمعان النظر في تركيبهـا ، نجد أن في إمكانهـا إظهار التناسق والتوافق ،أو التكامل الذى يريده الشاعـر ، لانه قد يكون قصد إلى ابراز العلاقة بين الجمال الحسي المتمثل في الأسنـان، والجمال المعنوى الذى يبدو في حسن المنطق ،أو كأنه لا يريد الفصل بين الصورتين ، لان أحداهما تكمل الاخـرى .

وتظهر براعة ابن عبد ربه حين يوفق في التصـوير ،ويجعل التشبيه (2) الذى يختاره لذلك ينبض بالحياة ،فتأتي الصورة بسببه في النص متجددة مفعمة بالحيوية. مثال ذلك الصورة في البيتين التاليين ، لا تكمن أهميتها في التشبيه بالذهـب ، وبالفضة ، وبالسوسن ،والورد . وانما في المعنى اللطيف الذى أضافه اختياره لفظة ((جـرى)) في البيت الاول ،تماثلها لفظـة (أصـاره) في البيت الثاني . فأصبحت الصورة في البيتين وكـأنها متجددة ،أو كأن الشاعر رسمها ساعة حدوثهـا . فاحتفظت بسبب ذلك بكل حيويتهـا وصدق تعبيرها .
نلاحظ ذلك في قوله :

بيضاء يحمر خداها إذا خجلـت   كما جرى ذهب في صفحتـي ورق (3)

---

(1) الديـوان : 95
(2) أما عـن طريقته في التشبيـه فقد مـرت دراسة عينـة من ذلـك انـظر ص . 117 ومـا بعدهـا
(3) الديـوان : 146

وفي قولـــــه :

كم سوســــن لطف الحياء بلونـــــــه   فأصاره وردا على وجناتـــــــــه (1)

ويحلو للشاعر أن يأتي بالمعنى ونقيضه ، ليؤكد الصورة التي يريد رسمها . فحين يريد وصف البكاء والارق مثـــلا ، يلجأ الى طريقته الخاصة في ذلك . ففـــي الامثلة الثلاثة التالية ، نتبين بوضوح أسلوب الشاعر في العرض لأنهـــا واحدة في الحالات الثلاثة ، فأن اختلفت في التعبير فأنها في جانب الشكلي والمضـــمون متوافقة ، يقول في الاول :

تجافى النوم بعدك عن جفونــــــي   ولكن ليس تجفوها الدمـــــــوع (2)

وفي الثاني يقول :

سهاد ودمـــع بالهموم توكـــــلا   فذا موثق فيهـــا وذاك طليـــــق (3)

ويقول في الثالـــــــث :

وجفـــونا تذرى الدموع أســـى   وتبيع الرقاد بالسهـــــــــــد (4)

قابل في الاول بين جفاء النوم ، وعـــدم جفاء الدموع ، وقابل في الثاني بين قيـــد الارق وانطلاق الدموع ، وقابل في الثالث بين السخـــاء بالدموع وامتناع النـــوم .

---

(1) الديـــوان ، 231
(2) الديـــوان ، 134
(3) الديـــوان ، 143
(4) الديـــوان ، 67

ولعل الصياغة التاليـــــة للابيات الثلاثة السابقـــة تساعد على إدراك ذلك الاسلوب بكـــل وضوح :

1 - جفاء النـــوم وملازمة الدمـــوع

2 - السهاد رهيـــن ، والدمع طليــــق

3 - الحرمان من النـــوم ، والجود بالدمـــوع .

الفصل الثاني

شعر الحروب والمديح

القسم الاول – حروب الامير عبد الله

القسم الثاني – مدح الامير عبد الله

القسم الثالث – حروب الناصر

القسم الرابع – مدح الناصر

القسم الخامس – حروب أخرى

القسم السادس – الخصائص الفنية لشعر الحرب والمدح

تمهيـــــــــد :

لا يمكن الفصل بين أشعار الحرب ومدائح ابن عبد ربـــه ، وسيتبين لنا في الصفحات التالية أن ما حفظ من شعره في هذا الباب قد جاء فيه المديح عرضـــا ، لان اهتمام الشاعر كان متجها أساسا الى التنويه بالمعارك والحروب التي كانت مستعرة في عهده ، فجاءت مدائحه بسبب هذا موزعـــة في ثنايا شعر الحروب .
وبما أن أكثر أشعاره كانت في الامير عبد اللـــه ، وفي الناصر من بعده ، فأن توزيع المادة ودراستها بني على هذا الاساس ، فشكل أربعة أقســام : في البداية حروب عبد اللـــه ، فمدحـــه . ثم حروب الناصر ، فمدحـــه كذلك . وتعرض القســم الخامس لأشعار أخـــرى في الحروب . أمـــا القسم السادس والاخـــير ، فتناول الخصائص الفنية في شعر الحروب والمـــدح .

القســم الاول حروب عبد الله (ولايته 275 - 300 هـ)

أن الاشعار التي بين أيدينا عن هذه الفترة لا تعكس بصدق الفتـــن والحروب التي شهدها عهد الامير عبد اللـــه ، فقد اقتصر شعر ابن عبد ربـــه على واقعتين فقط ، ثانيتهما امتداد للاولى على الارجـــح ، وورد الحديث عنهمـــا في قصـــيدتين اثنتين ، انفرد بروايتهمـــا ابن حيان في المقتبـــس ، ويمكن تحديد زمـــن القصيدتين بسنة 278 هجرية تاريخ الواقعتين ، أي بعد ثلاث سنوات من ولاية الامير عبد اللـــه . والجدير بالذكر هنا أنه لم ترد للشاعر قبل هذه الفترة أشعار ترتقي الى مستوى القصيدتين التاليتين ، باستثناء قصيدة واحدة سبقتهما بثلاث سنوات قيلت يوم جلـــوس الا ميـــر الى الخلا فـــة

سنة 275 هـ (1) . تتميز القصيدة الاولى عن الثانية بكونها لا تصف حدوث معركة ، لان الامير بالفعل لم يخض حربا في (بلاى) بعد حصارها بسبب هروب ابن حفصون ليلا من الحصن ، وكان هذا الهروب هو الموضوع الاساسي الذى اهتم به الشاعر . أما القصيدة الثانية فأنها تناولت الحرب التي وقعت بين الفريقين بعد هذا الفرار (2) . والقصيدة الاولى صورة صادقة عن حصار (بلاى) ، عكس الشاعر فيها انتصار الامير حين تمكن من فتح الحصن . اتخذ الشاعر لنفسه فيها منهجا واضحا ، فالمدخل في ثلاثة أبيات ، فأعداد العدة ، من جيش ، وخيل في إحدى عشرة بيتا ، فوصف رائع لعملية فرار ابن حفصون في خمسة أبيات ، ووصف أخير لعملية استسلام الباقين داخل الحصن في تسعة أبيات الاخيرة .

1 - المدخل

الحق أبلج واضح المنهاج	والبدر يشرق في الظلام الداجي (3)
والسيف يعدل ميل كل مخالف	عميت بصيرته عن المنهاج

---

(1) انظر الديوان القصيدة 143

(2) يستبعد الربعي بن سلامة في اطروحته / شعر الحرب في الاندلس ص 50 ، أن تكون القصيدة قيلت في واقعة استيجة ، ويستدل بذكر "بلاى" في القصيدة الثانية أيضا . والواقع أن ذلك لا يقوم دليلا كافيا يبرر رفض الخبر خاصة إذا علمنا أن القصيدة الثانية قيلت في معركة استيجة التي هي في الواقع استمرار لعملية حصار بلاى الذى وقع في السنة نفسها (انظر تفصيل الخبر في البيان المغرب ج 2 ص 123) .

(3) الديوان ، 31 .

واذا المعاقل أرتجت أبوابهـــا   فالسيف يفتح قفل كـل رتـــاج

تبدو الفرحة عارمة بالنصر الذى انتظره الناس طويلا ، استعمل للتعبير عن ذلـــك مـــدخلا قويا ، يذكرنا بمطلع بائية المتنبي في سيف الدولة القائـــل :

السيف أصدق انباء من الكتـــب   في حده الحد بين الجد واللـــعب

2 ـ أعـــداد العدة :

نشر الخليفة للخلاف عزيمـــة   طوت البلاد بجحفل رجـــراج

جيش يلـز كتائبا بكتائـــب   ويظم افواجـا الى أفـــواج

وتراه يأمر بالقبائل والقنـــا   كالبحر عند تلاطم الأمـــواج

متقاذف العبرين تخفق بالصبـا   راياته متدافـــع الأمـــواج

من كل لاحة الابـــاطل شذب   رحب الصدور أمنة الأثبـــاج

وترى الحديد فتقشعر جلودهـــا   خوف الطعان غداة كل نهـــاج

دهم كأسدفة الظلام وبعضها   صفر المناظر كاصفرار العـــاج

من كل سامي الأخذ عين كأنما   نيطت شكائمه بجـزع الســاج

لما حفلن إلى بلاى عشيـــة   أقوت معاهدهـا من الاعـــلاج

فكأنما جاشت خلال ديارهـــم   أسد العرين خلت بسرب نـــعاج

رتب الشاعر أفكاره بدقة فذكر في مستهلها أعداد العدة ، وأسهب في وصف الجيش وخاصة كثافته ، وعبر عن المعنى بأشكال كثيرة : (جحفل رجراج) ، (كالبحر عند تلاطم الأمواج) ، (يضم أفـواجا الى أفـواج) ، (متقاذف العبرين) ، (متدافع الأمـواج) . فلما انتهى من وصف الجيش ، التفت الى الخيل ، فوقف

عندها مليا ، ووصف ألوانها وحركاتها وقت النزال .

3 — الفرار من الحصن :

ونجا ابن حفصون ومن يكن الردى … والسيف طالبه فليس بناج
في ليلة أسرت به فكأنما … خيلت لديه ليلة المعراج
ما زال يلقح كل حرب حامل … فالآن أنتجها بشر نتاج
فإذا سألتهم موالي من هم … قالوا موالي كل ليل داج
ركب الفرار بعصبة قد جربوا … غب السرى وعواقب الادلاج

رسم الشاعر في هذه الابيات الخمسة ، صورة رائعة لزعيم الثوار ، فصور فراره ، وكأنه كان يقتفي أثره ، حين أفلت من الموت ، ونجا بنفسه ليلا . على انه تنبأ بالنهاية الاليمة التي سينتهي إليها حتما .

4 — استسلام من بقي داخل الحصن :

وبقية في الحصن أرتج دونهم … باب السلامة أيما إرتاج
سدت فجاج الخافقين عليهم … فكأنما خلقا بغير فجاج
نكصت ضلالتهم على أعقابها … وانصاع كفرهم على الادراج
من جاء يسأل عنهم من جاهل … لم يبر وسميا من دم الأوداج
فأولادهم فوق الرصيف وقد صغى … بعض الى بعض بغير نتاج
ركبوا على باب الامير صوافنا … غنيت عن الالجام والاسراج
أضحى كبيرهم كأن جبينه … خضبت أسرته بماء السراج
لما رأى تاج الخلافة خاله … قام الصليب له مقام التاج
هذى الفتوحات التي أذكت لنا … في ظلمة الآفاق نور سراج

يترك فرار ابن حفصون ، ويعود الى التذكير بمصيرهم ، وتمكن الامير من الحصن ، واستسلام من بداخله . ويجد ابن عبد ربه في عملية الاستسلام المجال واسعا ، يعبر فيه عن ابتهاجه ، ويصف جوانب عديدة من هذه العملية .

والقصيدة الثانية وثيقة الصلة بالاولى من عدة جوانب ، فهي تنتمي الى وصف حروب الامير عبد الله ، والمعركة التي وصفت فيها كانت نتيجة ملاحقة ابن حفصون بعد الفرار الذي وصفه الشاعر في القصيدة الاولى ، والحادثان وقعا في فترة زمنية واحدة كما سبق ذكره ، وفي القصيدتين تركيز على الانتصارين ، إلا أن الاول فتح لحصن كان معقلا لابن حفصون ، والثاني حصل بعد مواجهة في الميدان . وفي القصيدة الثانية كل عناصر القصيدة السابقة ، يبدأها بالتذكير بنتائج المعركة عموما ، ثم يخص الخيل بوصف في أربعة أبيات كما فعل من قبل ، وفرار ابن حفصون مرة أخرى ، ومخاطبته مرة ثانية بثمانية أبيات ، ثم وصف ميدان المعركة في أربعة أبيات ، وصولا في النهاية كما فعل في البداية عن ابتهاجه وفرحته الكبيرة بهذا الانتصار .

1- حصيلة المعركة :

هو الفتح منظوما على إثره الفتح   وما فيهما عهد ولا فيهما صلح (1)

سوى أن صفحا كان من بعد قدرة   وأحسن مقرون الى قدرة صفح

(1) الديوان : 38

بعد الفرار الذي وصفه الشاعر في القصيدة الاولى ، والحادثان وقعا في فترة زمنية واحدة كما سبق ذكره ، وفي القصيدتين تركيز على الانتصارين ، إلا أن الاول فتح لحصن كان معقلا لابن حفصون ، والثاني حصل بعد مواجهة في الميدان . وفي القصيدة الثانية كل عناصر القصيدة السابقة ، يبدأها بالتذكير بنتائج المعركة عموما ، ثم يخص الخيل بوصف في أربعة أبيات كما فعل من قبل ، وفرار ابن حفصون مرة أخرى

سل السيف والرمح الرديني عنهمـــا فتسمع ما ينبي به السيف والرمـــــح
لقد شفعت يوم العروبة عندهـــا نعيد لنا فيه السلامة والنجـــح
ذبائح راحت يوم عيد لحومهـــا وما ازدان عيد لا يكون به ذبـــح
قربانهم سجلا من الحرب مـــرة وعشرا ركيكا ليس في طعمه ملـــح

اذا كان الانتصار هذه المرة كبيرا ، لانه جاء بعد مواجهة حقيقية مع العدو ، فــان الفرحة به كانت أكبـــر ، وهو ما بينته الابيات الستة ، ذكّـــرهم فيها ساخرا بالذبـــح الذى وقـــع فيهم ، خاصة حين اقترن النصر عليهم بعيد الفصح عندهـــم .

2 ـ الخيـــــل

ومقربة يشقر في النقع كمتهـــا ويخضر حينا كلما بلها الرشـــح
تراهن في نضح الدماء كأنمـــا كساها عقيقا أحمرا ذلك النضـــح
تطير بلا ريش الى كل صيحـــة وتسبح في البر الذى ما به سبـــح
عليها من الابطال كل ممـــارس يرى أن جد الحرب من بأسه مـــزح

فمن شدة سرعتها تبدو الخيل وكأنها لاتلامس الارض بأرجلهـــا ، أو هي طائرة في الجو، فوقها أبطال لا يرهبون الحـــرب ، ومتيقنين من كسبها ، لأنهم يمتطون خيلا فــي أمكانهم الاعتماد عليها لتحقيق النصر.

3 ـ فـــرار ابن حفصـــون

ويشغله ابن حفصون مرة أخرى ، فيصف الفرار الثاني من ميدان المعركة فــي نفر من أصحابه ليلا ويصور الحدث بكل جزئياته ؛ وقت حدوثه ، وأسبابـــه ، وحتى عدد المرافقين له في هروبه ، وكذا حالتهم وقلقهم النفسي ، ثم يخاطب المتمرد نفسه ، يحمله مسؤولية ما حل به ، حين اصطلى بنار كان هو قـــادحها ، نتيجـــة

استصلا مه لغروره الذى أسكره ، فأفاقه سيف الامير من سكره ، يقول :

وكان ابن حفصون يعد جيـــادة — سرا حين قبل اليوم فهي لنا ســرح
نجا مستكنا تحت جنح من الدجـى — وليس يؤدى شكر ما أنعم الجنــح
دعته منى كانت عليه منيــــة — فتراحاله منها وقل له التـــرح
تسربل ثوب الليل خامس خمســة — فكلهم في كل جارح جـــرح
يودون أن الصبح ليل عليهــم — ونحن نود الليل لو أنه صبــح
أقادح نار كان طعم وقودهـــا — بعينيك فانظر ما أضاء لك القــدح
محا السيف ما زخرفت أول وهلـة — ودونك فانظر بعد ذلك ما يمـحو
فكم شارب منكم صحا بعد سكـرة — وما كان لولا السيف من سكره يصحـو

4 — وصف ميدان المعركـــة

يتطلب ميدان المعركة بعد انتهائها من الشاعر وقفة تأمل ، وهو ما فعله في الابيات التالية ، ذكر فيها ماحل بمعسكر الاعداء ، نتيجة خروجهم عن الطاعة ، يقابله الابتهاج بالنصر في معسكر الامير ، يقول :

كأن بـــلايا والخنازير حولها — مقطعة الاوصال أنيابهـــا كلــح
ديار الذين كذبوا رسل ربهـــم — فلاقوا عذابا كان موعده الصبــح
فلو نطق السفح الذى قتلوا بــه — إذا لبكى من نتن قتلاتهــم السفــح
دماء شفت منها الرماح غليلهـــا — فود قضيب المباني لو أنه رمــح

5 — فرحـــة النصـــر

يقدم الجزء الاخير من هذه القصيدة أحد الادلة النادرة في شعر الشاعر عن كونه طرفا في هذه الاحداث ، وتدل صيغة البيت الثاني على مشاركة الشاعر الفعلية فـــي

الا حتفالا ت بالنصـــر ، وبالتالــى مشاركته في المعارك ، يقول :

ولله ما أزكى تجارة صفقـــــة ... يكون لهم خسرانه ولنا الربــــح
أقمنا عليها اللهو في يوم عيدهــم ... فكم لهم فصحانه قطع الفصـــح
ألا تعست تلك الوجوه وقبحـــت ... فما خلقا الا لها التعـــس والقبـــح
فيا وقعة أنست وقيعة راهـــط ... ويا عزمة من دونها البطن والنطـــح
ويا ليلة أبقت لنا العز دهرنـــا ... وذلا على الاعداء صل به التـــرح

وخرج الشاعر بعد هذه الـــمقدمة الطويلة الى المدح (1) .

القسم الثاني — مدح الاميرعبد اللـــه

رغم أننـــا لا نملك أثرا في المديح لابن عبد ربه قبل هذه الفترة ، فأن شـــعر المديح الذى بين أيدينا يعد نموذجا مكتملا ، على أن ابن حيان — وقد انفرد بروايته — يبدو أنه استهوته المقدمة الغزلية ، فانساق معها فلما أتـــى الى المـــديح اكتفى منه بالقليل ، قال بعده : ((وهي طويلة بعيدة جدا)) (2) . وعـــدد أبيات المديح لا يتجاوز اثنى عشر . أكد في البيت الاول الذى خرج به من الغزل

---

(1) ولكن ابن حيان اكتفى برواية بيت واحـــد في المدح هـــو قولـــه :
بدولة عبد اللهذي العز والتقى ... يخبر في أدنى مقاماته المـــــدح
قال بعده : ((خرج الى المدح فأطال))
(2) المقتبـــس/ ابن حيان ج 3 ص 44 .

الى المديح ، صدق أقواله في ممدوحه ومطابقتها الحقيقة :

ولي قوله في الناس لا أبتغي بهـــا　　　　من الناس الا أن يقال صديـــــق (1)

يدخل في الموضوع مباشرة بعد هذه المقدمة السريعة ، ليعرض فكرتين أساسيتين تكشف عنهما القصيدة . ترتكز الفكـــرة الاولى على التنويه باهتمام الامير بالدين وتطبيقه، وتظهر الثانية طريقته في الحكم وتسييره الامور . فالفكرة الاولى واضحة في البيت الثاني الذى يقول فيه :

ألا تشكرون الله اذ قام فيكـــم　　　　أمام هدى في المكرومات غريـــــق

ويـــؤكد الفكرة نفسها في البيت الخامس :

أمام هدى أحيا لنا مهجة الهدى　　　　وقد جشأت للموت فهي تفـــوق

وابتداء من البيت التاسع الى نهاية القطعة يفصل القول الذى أجمله في البيتين السابقين، وينهي الموضوع باستقرار الممدوح في الجنة مع الانبياء :

وثقف سهم الدين بالعدل والتقـــى　　　　فهذا له نصل وذلك فـــــوق

وأعلن أسباب الهدى بضميـــره　　　　فليس له الا بهن علـــــوق

وما عاقه عنها عوائق ملكـــه　　　　وأمثاله عن مثلهن تعـــوق

اذا فتحت جنات عدن وأزلفـــت　　　　فأنت بها للانبياء رفيـــــق

ففي الابيات الستة الماضية ، صورة للممدوح الزاهد العابد ، وتعكس المعاني التـــي

---

(1) الديـــوان : 143

ذكرها بحق،ما عرف به الاميرعبد الله من تقوى وصلاح وتحكيم الدين في تصرفاته.
والفكرة الثانية وثيقة الصلة بهذه ، لانها متأثرة بالوازع الديني لدى الاميرعبد الله ، الذى كان يطبق حكم الله في عباده ، واختفى بسبب ذلك الفساد والفسوق في عهده . نلاحظ هذا في البيتين الثالث والرابع :

وأحكم حكم الله بين عباده ... لسان بايات الكتاب طليق
خلافة عبد الله حج على الورى ... فلا رفث في عصرها وفسوق

ومن البيت السادس الى الثامن ، يتابع الشاعر هذا المعنى . يقرر في الاول أنه أهل للمكانة التي تبوأها ، وأنه أهل لتسيير المشرق ، حين أثبت جدارته في تسيير أمور المغرب ، وهو في النهاية ، عادل في حكمه ، يقول :

حقيق بما نالت يداه من العلا ... وما نالنا منها فحقيق
يدبر ملك المغربين وأنه ... بتدبير ملك المشرقين خليق
تجلت دياجي الحيف عن نور عدله ... كما ذر في جنح الظلام شروق

ومن خلال هذه القصيدة وحدها ، تتبين شخصية الممدوح واضحة متميزة كما رآها ابن عبد ربه ، وتظهر في الوقت ذاته شيئا من شخصية المادح الذى أنشد الاميرعبد الله في أول يوم تسلم فيه الخلافة . ولعله كان يصبو بفعله هذا الى بلوغ منزلة عند الامير الجديد .

وللشاعر مديح آخر فيه ، لكنه جاء هذه المرة عرضا ، في قصيدتين اثنتين في مناسبة واحدة (1) حين ابتهج بأرجاع أحد الوزراء الى منصبه .

---

(1) المناسبة مذكورة في الديوان : المقطوعة 108 الهامش 4

مدح ابن عبد ربه الامير عبد الله في القصيدة الاولى بثلاثة أبيات وردت في بداية القصيدة ، كرر في البيت الاول المعنى الذى ورد في بداية القصيدة السابقة ، فهو يجمع الى الملك صفة الامامة التي يزهو بها منبر المسجد الجامع ، ويذكر في البيت الثاني والثالث بعض مميزاته : فهو الذى تستوى عنده سريرته وعلانيته ، وهو الخليفة ، وهو القمر الذى ينير ظلام الطريق :

يا ملكا يزدهي به المنبر ... والمسجد الجامع الذى عمر (1)
خليفة الله في بريته ... يسر للناس مثل ما يجهر
ياقمر الارض إن تغب فلقد ... أقمت للناس كوكبا يزهر

أما القصيدة الثانية فان أبيات المديح في الامير عبد الله جاءت في نهاية القصيدة ، وهي الابيات التي ورد فيها المدح بالكرم والجود ، ولم يرد للشاعر غيرها في هذا المعنى لدى مدحه الامير عبد الله يقول فيها :

فتى نشأت من كفه ديم الندى ... فظلت سجال الرزق تجرى خلالها
ترى الجود يجرى من فريد يمينه ... كصفحة هندى أرتك صقالها
ولو نيط من نجم السماء فضيلة ... لمدى إليها الكف حتى ينا لها (2)

---

(1) الديوان : 108
(2) الديوان : 161

القسم الثالث : حروب الناصر (ولايته 300 ـ 350 هـ)

اهتم ابن عبد ربه كثيرا بحروب الناصر منذ السنة الاولى من ولايته ، ففي أول حرب خاضها الناصر سنة 300 هـ ، قال ابن عبد ربه فيها أشعارا ، نستعرض منها قصيدتين في المناسبة نفسها . والقصيدتان في الاصل مدح للناصر ، الا أن المدح تخلله وصف المعارك التي خاضها في أول خروج له ، وكان قد دام ثلاثة أشهر . وصف في القصيدة الاولى الخروج . بدأها بالتركيز على الأمل المعقود في هذا الخروج الاول :

فصلت والنصر والتأييد جندكا والعز أولاك والتمكين أحراكا (1)

وعن الامل نفسه يقول :

يمضي أمامك نصر الله منصلتا بالفتح يقسم من في الارض نواكا
والناس يدعون والامال راغبة والطوع يرجوك والعصيان يخشاكا

وينهي القصيدة بوصف جيش الناصر :

يقود جيشا إلى الأعداء مرتجسا عرمرما يترك الآكام دكداكا

أما القصيدة الثانية فواضح من مضمونها أنها قيلت بعد رجوع الناصر من هذه

---

(1) الديوان : 161

الغـــزوة التي يقول عنها الشاعر نفسه في العقد : ((وهي الغـزاة المعروفـة بغـزاة المنتلون افتتح بها سبعين حصنا)) (1) . ويوافقه صاحب المدونـة الذى يقول في أحــداث سنة 300 هـ : ((... وانتهت فتوحـــه في هذه الغزوة الى سبعين حصنا)) (2) . والقصيدة كسابقتها ، تذكر شيئا من مناقـــب الناصر ، يتخللها وصف مقتضب للحروب التي خاضها ، والنتائج التي تحققت ، ويذكـر شيئا من ذ لـــك في مطلعها :

قد أوضح الله للاسلام منهاجـــا　　　والناس قد دخلوا في الدين أفواجـــا (3)
وقد تزينت الدنيا لساكنهـــا　　　كأنما ألبست وشيا وديباجـــــا

ويفصل القول في الموضوع في الأبيات التالية :

مات النفاق وأعطى الكفر ذمتــــه　　　وذلت الخيل إلجاما وإســـراجـــا
وأصبح النصر معقودا بألويــــة　　　تطوى المراحل تهجيرا وإدلاجـــا
أدخلت في قبة الاسلام مارقـــة　　　أخرجتهم من ديار الشرك إخراجـــا

ويكون نصيب الجيش الذى حقق هذه الانتصارات ثلاثة أبيات يركز فيها ابن عبد ربه على ضخامة الجيش في العدد :

بجحفل تشرق الارض الفضاء بــــه　　　كالبحر يقذف بالامواج أمــــواجـا
يقوده البدر يسرى في كواكبـــه　　　عرمرما كسواد الليل رجـــراجـا

---

(1) العقـــد / ابن عبد ربه ج 4 ص . 499
(2) المدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول / ليفي بروفنسال ص . 38
(3) الديـــوان : 32

يرون فيه بروق الموت لامعـــة　　　ويسمعون به للرعد أهزاجـــــــا

ثم يعود ثانية الى الموضوع الاول ، يصف آثار تلك المعارك في العدو :

غادرت في عقوتي جيان ملحمـــة　　　أبكيت منها بأرض الشرك أعلاجـــا

في نصف شهر تركت الارض ساكنـــة　　　من بعد ماكان فيها الجور قد ماجـــا

لما رأوا حومة الشاهين فوقهـــم　　　كانوا رهاء حواليها ودراجـــا

وفي الارجوزة التاريخية خمسة وعشرين بيتا خصصها الشاعر لهذه الغزوة (1) .
ولعل أهم قصيدة للشاعر في وصف الحرب — باستثناء الارجوزة — هي التي رواها لنفسه في العقد (2) ، ولم يذكر مناسبتها . ومن المرجح أنها من حروب الناصر ، لورود اسمه في البيت العاشر . وينطبق مضمون البيتين الرابع والخامس ، على الظروف السائدة حين تولى الناصر ، وهو أمر يرجح كون القصيدة قيلت في حروب الناصر الاولى ، نلاحظ قوله :

لما رأى الفتنة العمياء قد رحبـــت　　　منها على الناس آفاق وأقطـــار

وأطبقت ظلم من فوقها ظلـــم　　　ما يستضاء بها نور ولا نـــار (3)

والقصيدة جيدة ألمت بالموضوع من جميع جوانبه ، ذكر في البداية بالاعمال الحربية للناصر عموما وبالظروف التي اكتنفت الخروج كقولـــه :

كم ألحم السيف في أبناء ملحمـــة　　　مامنهم فوق متن الأرض ديـــار

---

(1) انظر العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص . 503 ـ 504
(2) الارجوزة في العقد ج .4 ص . 501 ـ 527
(3) الديوان : 70

وأورد النار من أرواح مارقـــة كادت تميز من غيظ لها النـــار
كـأنما صال من ثني مفاضتـه مستأسد حنق الاحشاء هـــدار

ويهتم بالخيل في بداية هذا الوصف ، يصورها وهي منطلقة ، ومصارعة الاعداء في الميدان في قولـه :

قاد الجياد الى الاعداء سارية قبا طواها كطي العصب إضمـار
ملمومة تتبارى في ململمـة كأنها لاعتدال الخلق أنهـار
تزور عند احتماس الطعن أعينها وهن من فرجات النقع نظـار
تفوت بالثأر أقواما وتدركـه من آخرين إذا لم يدرك الثـار

ثم يشرع في وصف الجيش المحارب بعد ذلك ، ويبرع في تصوير جو المعركة ، ونجد فيها معاني كثيرة عكست ما يجرى في الميدان ، ونلمس فيها الجند والكتائب ، والكراديس براياتها وهي تتبارى في الاقبال والادبار :

فانساب ناصر دين الله يقدمهم وحوله من جنود الله أنصـار
كتائب تتبارى حول رايتـه وجحفل كسواد الليل جـرار
قوم لهم في مكر الليل غمغمة تحت العجاج واقبال وأدبـار
يستقدمون كراديسا مكردسة كما تدفع بالتيار تيـار
من كل أروع لا يرعى لهاجسة كـأنه مخدر في الغيل هصـار

وأنهى القصيدة وهو يتأمل ميدان الحرب ، ويسترجع صورته وقت المعركة وبعدهـا ، ويذكر الأثر الذى تركته في الاعداء :

في قسطل من عجاج الحرب مدلـه بين السماء وبين الارض أستـار

فكم بساحتهم من شلو مطـــــــرح كأنه فوق ظهر الارض؛ جـــــــار
كأنما رأسه أفلاق حنظلـــــــة وساعداه الى الزندين جمـــــــار
وكم على النهر أوصالا مقسمـــــة تقسمتها المنايا فهي أشطـــــار
قد فلقت بصفيح الهند هامهـــم فهن بين حوامي الخيل أعشـــار

وبهذا يكون الشاعر قد أجاد الوصف ، فجاء واضح المعالم : في أوله مقدمـــــة خصصها لاسباب الخروج ، ثم تناول ثلاثة عناصر أساسية في بقية القصيـــدة : أولا ، الخيـــل . وثانيا ، الجنـــد . وثالثا ، المعركة وميدانها ونتائجهـــا .

الأرجوزة التاريخية في حـــروب الناصـــر (1) .

عاصر ابن عبد ربه كل النشاط الحربي للناصر في العقد الاول والثاني من خلافته ، وكان معجبا ومتعلقا به ، وظهر هذا الاعجاب جليا في الارجوزة التي سجل فيها غزواته من بدايتها سنة 300 هـ الى حدود سنة 322 هـ . وهـي أرجوزة طويلة في أربعمائة وخمسة وأربعين بيتا ، قال عنها في العقد : ((... الارجوزة التي نظمتها في مغازيه كلها من سنة إحدى وثلاثمائة الى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأوقعناها في أسفل كتابنا لتكون جامعة لمغازى أمير المؤمنين ، وجعلتها رجـــزا لخفة الرجـــز وسهولة حفظه وروايته)) (2) . والارجوزة سجل تاريخي لتلك الحروب ، تتبعها مرتبة حسب التسلسل التاريخي ، وخصص لكل سنة مقطـــوعة ،

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص. 501 - 527
(2) المصدر نفســـه ص. 500

عدد فيها أعمال الناصر الحربية ، أو أعمال أحد قواده في السنة المعنية ، وتطول المقطوعة أو تقصر حسب ما جرى فيها من أحداث ، من ذلك مثلا ، تخصيصه لأحداث سنة 302 بيتين فقط ، بينما اقتربت المقطوعة المخصصة لسنة 308 من الخمسين بيتا . ويمكن متابعة عينة من هذا الشعر ، من أجل التعرف على نوعيته وطريقة عرضه ومتابعة الاحداث ، ولتكن المقطوعة الخاصة بسنة 312 هـ.

غـزاة بنبلونـة .

تقع المقطوعة (1) في 39 بيتا ، تلخص حروب الناصر التي دامت أربعة أشهر ، من محرم الى جمادى الاولى ، ذكر ذلك ابن عذارى : ((وقد استتم في غزاته هذه أربعة أشهر)) (2) . وتستعرض المقطوعة أربعة أحداث رئيسية متتالية هي : الهجوم على تدمير ، واقتحام حصن تطيلة ، ثم الاستلاء على مدينة بنبلونة ، وأخيرا إرضاخ بني ذى النون في طريق العودة . وتتفرع المقطوعة على هذا الأساس إلى تسعة عناصر رئيسية ، في العنصر الاول ، وصف خروج الناصر بعساكره وحشيته :

وبعدها غزاة ثنتي عشـره وكم بها من حسرة وعبـره
غزا الامام حوله كتائبـه كالبدر محفوفا به كواكبـه
غزا وسيف النصر في يمينـه وطالع السعد على جبينـه
وصاحب العسكر والتدبيـر موسى الاغر حاجب الاميـر

العنصر الثاني ، وفيه وصف لأول عملية قام بها الناصر ، وهو تدمير ، حصن تدمهر

(1) العقد / ابن عبد ربه ج 4 ص. 517 ـ 519
(2) البيان المغرب/ ابن عذارى ج 2 ص. 189

واستسلام أهله :

فدمر الحصون من تدمير	واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الامة	وبايعته أمراء الفتنة
حتى اذا أوعب من حصونها	وجعل الحق على متونها

أما العناصر الثلاثة التالية ، ففيها استعراض مفصل للمراحل التي انتهت بالاستلاء على حصن تطيلة ، يبدأها بوصف حركة التوجه الى تطيلة بجيشه :

مضى وسار في ظلال العسكر	تحت لواء الأسد الغضنفر
رجال تدمير ومن يليهم	من كل صنف يعتزى اليهم
حتى اذا حل على تطيلة	بكت على دمائها المطلولة
وعظم ما لاقت من العدو	والحرب في الرواح والغدو

ويتردد الناصر في اقتحام الحصن ، فيستشير أعوانه ، ثم يقرر الاقتحام على خلاف ما أشاروا بـه ، يعرض ابن عبد ربه هذه القصة في ثمانية أبيات :

فهم أن يديخ دار الحرب	وأن تكون ردأه في الدرب
ثم استشار ذا النهى والحجر	من صحبه ومن رجال الثغر
فكلهم أشار أن لا يدربا	ولا يجوز الجبل المؤشبا
لانه في عسكر قد انخرم	بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا أن وراء الفج	خمسين ألفا من رجال العلج
فقال لابد من الدخول	وما الى حشاه من سبيل
وأن أديخ أرض بنبلونة	وساحة المدينة الملعونة
وكان رأيا لم يكن من صاحب	ساعده عليه غير الحاجب

ثم انتقل الى وصف عملية اقتحام الحصن ، فخصص لها ثمانية أبيات أيضـــا ، قال فيها :

فاستنصر الله وعبى ودخـــــل	فكان فتحا لم يكن له مثـــــل
لما مضى وجاوز الدروبــــا	وادرع الهيجاء والحروبـــا
عبى له علج من الأعـــــلاج	كتائبا غطت على الفجـــــاج
فاستنصر الامام رب النـــــاس	ثم استعان بالندى والبـــــأس
وعاذ بالرغبة والدعـــــاء	واستنزل النصر من السمـــــاء
فقدم القواد بالحشـــــود	واتبع المدود بالمـــــدود
فانهزم العلج وكانت ملحمـــــة	جاوز فيها الساقة المقدمـــــة
فقتلوا مقتلة الفنـــــا .	فارتوت البيـــض من الدمـــا .

ويشكل الحدث الثالث العنصر السادس ، ووصف فيها الهجوم على مدينة بنبلونـــة والاستلاء عليهـــا :

ثم أمال نحو بنبلونـــــة	واقتحم العسكر في المدينـــــة
حتى اذا جاسوا خلال دورهـــا	وأسرع الخراب في معمـــورهـــا
بكت على ما فاتها النواظـــر	اذ جعلت تدفقها الحوافـــر
لفقد من قتل من رجالهـــا	وذل من أيتم من أطفالهـــا
فكم بها وحولها من أغلـــف	تهمي عليه الدمـــع عين الاسقـــف
وكم بها حقر من كنائـــس	بدلت الآذان بالنواقـــس

وتتجمع العناصر الثلاثة الاخيرة ، في خمسة أبيات ، ينهي بها أحداث هذه السنة فيبدأ بوصف عملية الرجـــوع ، مذكرا بالنتيجة التي حققها الناصر :

وانصرف الامام بالنجـــاح	والنصر والتأييد والفـــلاح

وجعل الناصر مروره في طريق العودة ببني ذي النون ، فأرضخهم وهو رابع وآخر حدث في خروج هذا العام :

ثم ثنى الرايات في طريقه   الى بني ذي النون من توغيقه
فأصبحوا من بسطهم في قبض   قد ألصقت خدودهم بالارض
حتى إذا بدوا اليه بالبراهن   من أكبر الآباء والولدان

ولا بد من حمد الله على التأييد والسداد في الأخير :

فالحمد لله على تأييده ،   حمدا كثيرا وعلى تسديده ،

والجدير بالملاحظة في هذا العمل القصصي الواقعي ، دقة المعلومات التي جاءت في الارجوزة على طولها ، فهي وثيقة تاريخية تكمن أهميتها في معاصرة الشاعر لكل الاحداث التي جاءت فيها ، ويمكن لمن تتبع حوادث هذه الفترة أن يلمس صحتها ودقتها ، اذا قارن ما جاء فيها بغيرها من المصادر . مثال ذلك ما ورد في وثيقة أخرى (1) . صاحبها معاصر للناصر أيضا بخصوص سنة 309 هـ ، وفيها ذكر لغزوة طرش ، والاستلاء على الحصن ، مع أبرز حدث في تلك السنة ، وهو موت الحاجب بدر بن أحمد ، وتولي موسى بن أحمد مكانه . وهي الحوادث نفسها المذكورة عند ابن عبد ربه في الارجوزة (2) .

باستثناء الارجوزة التاريخية ، فأن أشعار ابن عبد ربه في حروب الامير عبد الله وفي الناصر ، تعود في الحالتين الى السنوات الاولى من ولايتهما . وانحصرت في

---

(1) المدونة من عهد الناصر لمجهول / ليفي بروفنسال ص. 66 ـ 67
(2) العقد / ابن عبد ربه ج 4 . ص 514 ـ 515

أحداث محدودة . فأن أشعار الامير عبد الله مثلا ، تعود الى السنة الثالثة من ولايته ، وهي تصف حادثين ، للثاني علاقة بالاول كما رأينا . والظاهرة نفسها نجدها في أشعاره بالنسبة للناصر ، لانها تعود الى بداية ولايته ، وقيلت في مناسبة واحدة ، مع فارق طفيف في الزمن ، لان المقطوعة الاولى قيلت في خروجه ، والثانية في رجوعه . أما مضمون الاشعار في حروب الاميرين فمختلف في الحالتين فأن كانت أشعاره في حروب الامير عبد الله اكتفت في معظمها بوصف الاحداث ، والتركيز عليها فقط ، فأن أشعاره في حروب الناصر ، اهتمت بالاحداث ، وبالامير في الوقت ذاته . فالناصر حاضر في كل أشعاره حضور الاحداث التي كان صانعها ، لان الدافع الى النظم في الحالتين مختلف ، فالتعلق بالناصر والاعجاب بأعماله ، جعلت شخصيته تتواجد ، وتبرز من خلال الأعمال الحربية التي وصفها الشاعر .

القسم الرابع : مدح الناصر

اذا كان لنا أن ننسب الشاعر الى واحد من الحكام الذين عاصرهم ، ونقرن مصيره به . فأننا لن نجد مثل الناصر ولا نتجنب الواقع اذا قلنا أن ابن عبد ربه كان شاعره ، انقطع اليه والتزمه ، وتعلق به . ولا أدل على ذلك من الارجوزة التاريخية التي سجل فيها غزواته التي أدركها . (1)
ولا بد من وقفة عند مطلع هذه الارجوزة ، ففيه ما يبرر اهتمام الشاعر واعجابه بالناصر ،

---

(1) الارجوزة في العقد ج 4 ص 500 — 527

ويشتمل المطلع على تسعة وثلاثين بيتا ، منها احـــدى عشرة في الابتهال الـــى الله وذكر لصفاته تعالى ، أما باقي المطلع فيعكس ثلاثة عناصر رئيسية . أجملهـــا أولا في ثمانية أبيات ، ثم خـــصص لكل عنصر من العناصر الثلاثة بعد ذلك عددا من الابيات . ويمكن من أجل ذلك تقسيم المقدمة كلها الى أربعة أقســـام من حيث المضمون .

1 ـ يشتمل القسم الاول على خلاصة العناصر الثلاثة الاخـــرى وهي : صفات الناصر ومناقبه ، فالاوضاع التي كانت سائدة قبل توليه الحكم ، ثم الانجازات التي تحققت فـــي عهده . يجمل كل هـــذا في الابيات التاليـــه ، قبل أن يخص كل عنصر منها بتفصيل أكثر في مرحلة تالية :

أقول في أيام خيــر النـــــاس	ومن تحلى بالنــــدى والبـــاس
ومن أباد الكفر والنفاقـــــــا	وشرد الفتنة والشقـــــاقـــا
ونحن في حنادس كالليــــــل	وفتنة مثل غثاء السيـــــــل
حين تولى عابد الرحمـــــن	ذاك الاغر من بني مـــــروان
مـؤيد حكم في عداتـــــه	سيفا يسيل الموت من ظباتـــه
وصبح الملك مع الهـــــلال	فأصبحـا ندين في الجمـــــال
واحتمل التقوى على جبينـــه	والدين والدنيا على يمينـــه
قد أشرقت بنوره البـــلاد	وانـقطع التشغيـب والفســاد

2 ـ يعرض القسم الثاني الاوضـــاع التي كانت سائدة قبل مجيء الناصر للحكم ، حين ضاقت الارض ، واشتعلت الحرب وأظلمت الدنيا ، لما أحكم المنافقون والمرقـــة سيطرتهـم على الامور ، حين أصبح الناس لا يذوقون للنوم طعما ، بسبب اشتداد الفتن

حتى أصبحت صلاة العيد تؤدى بالحراسة ، خوفا من هجوم الثوار الذين لا يهادنون ولا يستثنون أيام الاعياد :

هذا على حين طفى النفـــاق واستفحل النكاث والمـــراق
وضاقت الارض على سكانهـــا وأذكت الحرب لظى نيرانهـــا
ونحن في عشواء مدلهمــــة وظلمة ما مثلها من ظلمـــة
تأخذنا الصيحة كل يـــوم فما تلذ مقلة بنـــوم
وقد نصلي العيد بالنواظـــر مخافة من العدو الثائـــر

3 — يرمي ابن عبد ربه من وراء استعراض الوضع الذي كان سائدا الى تمهيد الاذهان من أجل إدراكها أهمية الدور الذي قام به الناصـــر ، وما كان قد حققه بفضل تلك الصفات التي كان يتحلى بها ، ويذكر بعضها في القسم الثالث من المقدمـــة :

حتى أتانا الغوث من ضيـــاء طبق بين الارض والسمـــاء
خليفة الله الذي اصطفـــاه على جميع الخلق واجتبـــاه
من معدن الوحي وبيت الحكمـــة وخير منسوب الى الائمـــة
تكل عن معروفه الجنائـــب وتستحي من جوده السحـــائب
في وجهه من نوره برهـــان وكفه تقبيلها قربـــان

4 — ولا بد أن يشغل الحديث عن أعمال الحيز الأكبـــر ، لانها كثيـــرة ومتعددة ، خصص في القســـم الرابع والاخير عشرة أبيات ، عدد فيها بعض الانجازات ، أهمهـــا : جمع شمل الامة ، وتجديد الملك ، وازاحة الظلمات ، وإحياء المكارم ، وانشاء جيـــش كثيف بجنوده وعتاده :

أحيا الذي مات من المكـــارم من عهد كعب وزمـــان حاتـــم

مكارم يقصر عنها الوصـف ... وغرة يحسر عنها الطـرف
وشيمة كالصاب أو كالمـاء ... وهمة ترقى الى السمـاء
وانظر الى الرفيع من بنيانـه ... يريك بدعا من عظيم شانه
لو خايل البحر ندى يديـه ... اذا لجت عفاتـه اليـه
لغاض أو لكاد أن يغيضـا ... ولا استحى من بعدى أن يفيضـا
من أسبغ النعمى وكانت محقـا ... وفتق الدنيا وكانت رتقـا
هو الذى جمع شمل الأمـة ... وجاب عنها دامسات الظلمـة
وجدد الملك الذى قد أخلقـا ... حتى رست أوتاده واستوسقـا
وجمع العدة والعديـدا ... وكثف الاجناد والحشـودا

ثم ينطلق بعد هذه المقدمة — وقد مهد الارضية — متتبعا المغازى حسب التسلسل التاريخي لحدوثها منذ بدايتهـا .

وفي ديوان ابن عبد ربه أشعار كثيرة في الناصر أثبت بعضها فى العقـد ، وقد سبقت الاشارة الى أشعاره في حروبه وسنستعرض الآن بعض أشعار المديح . لابد من الاشارة في البداية الى كون أغلب شعره في هذا الباب يعود الى السنة الاولى ، أو بالاحرى الايام الأولى من ولاية الناصـر ، حسب القرائن التاريخية المرتبطة بها . وهي ظاهرة يصعب تفسيرهـا ، إلا أن يكون الرواة وابن عبد ربه منهم ، قد ركزوا على استقبال الشاعر للناصر ، وتسجيل بعض الاحداث المرتبطـة باعتلائه عرش قرطبة ، خاصة وان الاشعار التي وصلتنا جاءت عرضا عند الحديـث عن ولاية الناصر ، ولم يقصد بها الاخبار عن الشاعر ، بل كان يراد بها إثبات بعـض الأحداث والوقائع المتصلة بالناصر نفسه والاستشهاد عنهـا . مثال ذلـك

توفر مقطوعتين مناسبتهما واحدة تعود الى يوم البيعة ، انفرد صاحب المدونة بـرواية الاولى ، قال مقدما لها : ((ولا حمد بن عبد ربه في الناصر لدين الله يوم البيعة له في قرطبة :

يا من عليه رداء الباس والجود ... من جود كفك يجرى الماء في العود

لما تطلعت في يوم الخميس لنا ... والناس حولك في عيد بلا عيد

وبادرت نحوك الابصار واكتحلت ... بحسن يوسف في محراب داود (1)

وتشترك في إتمام رواية المقطوعة الثانية عدة مصادر ، يروى ابن عبد ربه نفسه البيت الاول والثاني ، يقول بعدهما : ((وهي عدة أبيات)) وينفرد المقرى برواية البيت الثالث ، ويذكر صاحب المدونة كل الابيات الاخرى قال ابن عبد ربه قبل البيتين المذكورين : ((ثم ولي الملك ... عبد الرحمن ابن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الاول سنة 300هـ فقلت فيه :

بدا الهلال جديدا ... والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدى ... ما كان فيه مزيد

أن كان للصوم فطر ... فأنت للدهر عيد

... . صرف بدر ... تنا ولته السعود

أمام عدل عليه ... تاجان بأس وجود

يوم الخميس تبدى ... لنا الهلال السعيد

فكل يوم خميس ... يكون للناس عيد (2)

---

(1) الديوان : 68

(2) الديوان : 47

تخلو هذه التهنئة التي استقبل بها الامير الجديد ، من العناصر التي وجدناها في مقدمة الارجوزة ، ما عدا التركيز على صفتي الكرم والشجاعة ، جاء ذلك في أول بيت بالنسبة للمقطوعة الاولى في قوله :

يا من عليه رداء البأس والجود   من جود كفك يجرى الماء في العود

وفي البيت الخامس بالنسبة للثانية :

أمام عدل عليه   تاجان بأس وجود

وفي السنة نفسها خرج الناصر في غزوة له ، وسجلها ابن عبد ربه في قصائد له ، وقد سبقت الاشارة الى جزء منها . تخللها شعر في مدح الناصر ، وهو موضوع البحث في هذا الباب . نستعرض المقطوعات التي وصلتنا ، وعددها ثلاثة : واحدة في وصف الخروج ، واثنتان في وصف الانتصار . أما التي وصف فيها الخروج فإنها تقع في عشرة أبيات ، سبعة منها في مدح الناصر ، وفي مطلعها ربط بديع للاحداث بالطبيعة الزاهية ، لان خروج الناصر صادف فصل الربيع (1) وكأنه كان متوجها الى النزهة :

فصلت والنصر والتأييد جنداكا   والعز أولاك والتمكين أحراكا
ورحمة الله في الآفاق قد نشرت   والأرض تبدى تباشيرا لمبداكا
قد اكتست حللا من وشي زهرتها   كأن زخرفها في الحسن حاكاكا(2)

---

(1) جاء في المدونة / تحقيق ليفي بروفنسال ص 34 ما يؤكد فعلا وقوع الغزوة في فصل الربيع قال : ((وفصل الناصر لهذه الغزوة في يوم السبت لسبع خلون من رمضان المعظم من السنة وهو اليوم السابع عشر من شهر نيسان الشمس))

(2) الديوان : 161

ولا يخرج المدح عن النهج الذى سار عليه في السابق ، فالكرم والشجاعة صفتان متميزتان يتردد ذكرهما في كل مناسبة في هذه المرحلة المبكرة من اتصال الشاعر بالناصر :

طلعت بين الندى والبأس مبتهجا   هذا بيمناك بل هذا بيسرا كما
ضدان في قبضتي كفيك قد جمعا   لولا هما لم يطب عيش ولولا كما
يمضي أمامك نصر الله منصلتا   بالفتح يقصم من في الارض ناواكما
والناس يدعون والآمال راغبة   والطوع يرجوك والعصيان يخشاكما

ويتخلل المديح قصيدة أخرى (1) في لغزوة نفسها ، الا أن المديح هنا يختلف عن سابقه ، لان القصيدة قيلت بعد الانتصار في المعركة ، ويبدو ابن عبد ربه فيها أكثر صدقا واندفاعا هذه المرة ، نتيجة النصر الكبير الذى تحقق على يدى الناصر ، ونلمس في البيتين التاليين ، ما دأب على ترديده في الامثلة السابقة بشأن شجاعته وكرمه :

يا ابن الخلائف إن المزن لو علمت   نداك ما كان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت بأسا تصول به   ما هيجت من حمياك الذى اهتاجا

الا أن الابيات الخمسة التالية التي أنهى بها القصيدة ، تتضمن معان جديدة ؛ فهو الذى أزاح الخلاف ، وملأ الدنيا عدلا ، وهو في الظلام بدر ، وفي وضح السنا شمس ، وليث يحمي الحمى ، من أجل ذلك فهو أهل للمنصب الذى شغله . على أن الابيات لا تخلو من مبالغة لا تبررها المناسبة ، حين جعله مخلوقا من الذهب الخالص ، ولم يكن في الصلب نطفة :

---

(1) الديوان : 32

ـ ا

وجدت في الخبر المأثور منصلتـــا | من الخلائف خرا جا وولا جـــــــا
تملا بك الارض عد لا مثل ما ملئــت | جورا وتوضع للمعروف منها جـــــا
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتهـــا | يا ليث حومتها إن هائج ها جـــــا
خلقت من جوهر العقيان خالصـــة | ولم تكن نطفة في الصلب أ مشاجـــــا
أن الخلافة لن ترضى ولا رضيـــت | حتى عقدت لها في رأسك التا جـــــا

وننهي عرض مدائحه التي أثارتها الغزوة الاولى بالمقطوعة الثالثة ، وفيها بيتان يذكر فيهما نتيجة هذه الغزوة ، ويلجأإلى المبالغة مرة أخرى في البيت الثـــاني كما فعل في السابق :

في غزوة مائتا حصن ظفرت بهـــا | في كل حصن غزاة للعنا جيـــــج
ما كاد منك سليمان ليدركـــــه | والمبـــتنى سد ياجوج وما جـــوج (1)

ورزق النا صر بولد بعد عامين من هذه الغزوة ، فكانت مناسبة استغلها ابن عبد ربـه ، وهنأه بقصيدة ، انفرد صاحب المدونة بروايتها . ومزج التهنئة بالمديح الذى منـه قـــوله :

فيا من كساه الله تاج خلافــــة | ومن جوده قطر إذا أعدم القطـــــر
ومن كاد يبدى الخيزران بكفـــه | وينبث في أطرافة الورق الخضـــر (2)

والملاحظ في كل المدائح التي سبقت ، إلحاح الشاعر على إبرا زجانب الكرم في الناصر ، وهذا الاتجاه يرجح جانب التكسب في شعر المديح ، إلا أننا لا حظنا ارتبا طـــه بمناسبات ووقائع عايشها ، فجاء مديحه مرتبطا في كل مـرة بوضع معيـن ، وفي أغلبه

---

(1) الديوان : 37
(2) الديوان : 107

بشعر الحرب كما رأينا .

الى جانب الامثلة المذكورة سابقا ، والتي تعود كلها الى مستهل فترة الناصر ، فاننا لا نجد مديحا آخر للشاعر فيه ما عدا مقطوعتين اثنتين . يمكن تأريخ الاولى في السنة السادسة عشرة من ولايته ، وهي السنة تسمى فيها بأمير المؤمنين ، وفي البيت الخامس إشارة صريحة الى هذا ، ونلمس فيها أيضا التركيز على كرم الناصر . وردت المقطوعة في العقد وقدم لها ابن عبد ربه بقوله : ((ومن مناقبه التي لا أخت لـه ولا نظير ، ما أعجز فيه من بعده ، وفات فيه من قبله ، الجود الذى لم يعرف لأحد من أجواد الجاهلية والاسلام إلا لـه ، وقد ذكرت ذلك في شعري الذى أقول فيـه : (1)

يا ابن الخلائف والعـلا للمعتلـي	والجود يعرف فضله للمفضـل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهـم	حتى كأن نبيلهم لم ينبـل
أذكرت بل أنسيت ما ذكر الالى	من فعلهم فكأنه لم يفعـل
وأتيت آخرهم وشأوك فائت	للآخرين ومدركٌ للأول
الآن سميت الخلافة باسمها	كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تأبى فعالك أن تقر لآخر	منهم وجودك أن يكون لأول (2)

أما المقطوعة الثانية وهى الوحيدة التي خلت من قرينة تاريخية ، وفيها التنويه بكرم الناصر وعدله ، وبأفعاله التي أعادت المجد الذى كان قد ولى . وانفرد ابن عذارى بروايتها وقال مقدما لهـا : ((وكان الناصر قد خرج يوما على فرس

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج . 4 ص . 500

(2) الديـوان : 173

أبلق في هيئة جليلة والوزراء قد حفوا به ، فقال ابن عبد ربه في ذلك مرتجلا (1)

بدر بدا من تحته أبلق | يحمد فيه المغرب المشرق
لو يعلم الأبلق من فوقه | لاختال من عجب به الأبلق
إمام عدل باسط كفه | يرزق منها الله من يرزق
عاد به الدهر الذى قد مضى | وجد والله به المخلق (2)

ولا بد من مقارنة بين أشعاره في الناصر ، والامير عبد الله قبله ، فقد عرف هذا الاخير بالتقوى والصلاح ، وتحكم الدين في تصرفاته ، فتأثرت به أشعار ابن عبد ربه وأظهر مضمونها هذا الجانب الديني ، فترددت عبارات مثل : ((أمام هدى)) و ((أحكم حكم الله)) و ((ثقف سهم الدين)) و ((أعلن أسباب الهدى)) و ((لسان بآيات الكتاب طليق)) و ((خلافة عبد الله حج)) . أما الاشادة بالكرم والجود في أشعاره فيه ، فلم ترد سوى مرة واحدة . وهذه نقطة مهمة جدا ، تفسر سبب قلة مدائحه في الامير عبد الله ، وتلقي ضوءا على العلاقة التي كانت تربطه به . ويتضح الامر أكثر ، إذا قارنا هذه الظاهرة بكثرة أشعاره في الناصر ، والالحاح فيها على الاشادة بمناقبه وأنجازاته ، وخاصة كثرة الوصف بالكرم والجود والشجاعة وهي صفات عرف الناصر بها ، فترددت عبارات كثيرة في هذا المعنى

---

(1) البيان المغرب / ابن عذارى ج 2 ص227

(2) الديوان : 144

مثل : ((يستحي من جوده السحاب)) و ((يجري الماء في العود من جود كفه)) و ((طلعت بين الندى والباس)) و ((عليه تاجان بأس وجود)) و ((عليه رداء البأس والجود)) و ((من جوده قطر)) .
والامر الذي لابد من ملاحظته في هذا المجال هو عدم وجود ما يستدل به على أثر للتكسب بشعره ، الا أن أشعاره في الناصر وكثرة الاشادة بكرمه ، ترجح افتراض حصوله على المقابل المادي لقاء أشعاره فيه ، على خلافه بالنسبة للأمير عبد الله ، لأن القرائن تفيد العكس ، وتستبعد أن يكون ابن عبد ربه قد حصل منه على شيء .

القسم الخامس ـ حروب أخرى

أن أجمل أشعار ابن عبد ربه في الحروب ، هي تلك التي لم يمكن معرفة مناسبتها ، ولا زمانها ، لأن المصادر لا تشير الى ذلك ، كما أن الاشعار ذاتها لا تتضمن ما يمكن الاستعانة به لاستنتاج المناسبة التاريخية . ولعل جودتها تكمن في كون أغلبها كان من اختيار الشاعر نفسه في العقد ، وورد في معرض الحديث عن مواضيع مختلفة لها صلة بالحروب ، وتبين بعد قراءة متأنية في هذه الاشعار ، أمكانية تشكيل أربع مجموعات من حيث المضمون ، تتوزع كالتالي : 1ـ أشعار في عدة المحارب. 2ـ الفروسية . 3ـ في الجيش ورجاله . 4ـ في ميدان المعارك والقتال وفي نتائجه .

1 ـ عدة المحارب

عدة المحارب لدى الشاعر هي : السيف ، والرمح ، نظر اليها من وجوه عدة ، وصفا ، وتشبيها ، وتأثيرا في الاعداء .

أـ التشبيه والوصف : استعمل التشبيه لاظهار البياض واللمعان وبعض الصفات ،أخذ المشبه به من البرق ، والشهب والكواكب ، والملح .فالشهب للرماح في قوله : :

بكل رديني كأن سنانه شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع (1)

والبرق للسيف في البيت التالي من القصيدة نفسها :

فرند إذا ما اعتن للعين راكد وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع

واستعمل الملح ،ليدل بها على النقاء والبياض في وصف السيف أيضا في البيت التالي :

وكل مشطب المتنيني صاف كلون الملح منصلت يماني (2)

أما الكواكب ،فللسيف والرماح على السواء . نجد الرمح في البيت الذى تلا البيت السابق :

كأن نهار ،ظلماء ليل كواكبه من السمر اللدان

أما السيف ففي قوله :

يرتد طرف العين من حده عن كوكب للموت لماع (3)

---

(1) الديوان : 128
(2) الديوان : 227
(3) الديوان : 127

ولم يخرج الوصف عن نطاق اللمعان والبياض، الا في حالات قليلة ، تعرض فيها الى ذكر متن السيف ووشيه (1) كقوله في بيت ورد في قصيدة قبل البيت السابق :

بكل مأثور على متنه   مثل مدب النمل في القاع

والبياض مرتبط باللمعان لشدته ، استعمله في مناسبتين ، الاولى في قوله :

بيض تحل القلوب سودا   إذا انتضى عزمه انتضاها (2)

والثانية في قوله :

لوامع يبصر الاعمى سناها   ويعمى دونها طرف البصير (3)

ب - أثرها في الاعداء :

للرماح والسيوف عند ابن عبد ربه مكانة معتبرة ، وتكاد كل أشعاره فيها تتفق في كون مفعولها يتمثل في الموت الذى تسببه ، وعبر عن المعنى بالتلميح حينا ، وبالتصريح أحيانا كثيرة . فمن أحسن صور التلميح قوله في السيف :

طوقته بالحسام منصلتا   آخر طوق يكون في عنقه (4)

وقوله في الرماح :

---

(1) من ذلك أيضا قوله في البيت المذكور سابقا : وكل مشطب الهتين ... الخ وقوله في قصيدة أخرى (الديوان : 128) .

وذى شطب تقضي المنايا بحكمه   وليس لما تقضي المنية دافع

(2) الديوان : 229

(3) الديوان : 93

(4) الديوان : 236

تقاصرت الآجال في طول متنه　　وعادت به الآمال وهي فجائع (1)

وفي السيف من القصيدة نفسها :

اذا ما التقت أمثاله في وقيعة　　هنالك ظن النفس بالنفس واقع

أما التصريح بالموت ، فالامثلة عنه كثيرة ، وتلتقي كلها في كون هذا السلاح يحمل معه الهلاك . كقوله في السيوف :

تمضي بآرائه سيوف　　يستبق الموت في ظباها (2)

ويشبه هذا قوله في الرماح من نفس القصيدة :

ورب ملتفة العوالي　　يلتمع الموت في ذراها

وتتيح الابيات الثلاثة التالية المختارة ، رؤية المعنى الذى هو الموت من زوايا عديدة ، الأول هو قوله :

سيوف يقيل الموت تحت ظباتها　　لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب (3)

والثاني قوله :

ومعترك تهزبه المنايا　　ذكور الهند في أيدى ذكور (4)

والثالث قوله ، وهو يتحدث عن السيف ، ويربط بين خروجه من الغمد ، وخروج الأرواح بسببه :

---

(1) الديوان : 128
(2) الديوان : 229
(3) الديوان : 16
(4) الديوان : 93

يسلل أرواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع (1)

واضح من هذه الامثلة ملازمة الموت لعدة المحارب يوقعها في العدو . فهي كظله في البيت الاول ، وهي المحركة لسلاح المقاتل في الثاني ، وتصبح الموت مؤتمرة بأوامر السيف في الثالث حين ينسل من غمده .

2 — الفروسية

لا يوجد في ديوان الشاعر ما يدل على فروسيته ، وامتهانه ركوب الخيل ، إلا إشارة واحدة تؤيد احتمال ذلك وردت في بيتين أثبتهما الشاعر في العقد :

واذا جياد الخيل ما طلها المدى وتقطعت من شأوها المبهور
خلوا عناني في الرهان وسحوا مني بغرة أبلق مشهور (2)

والواقع أن أشعاره في الخيل قليلة وتقتصر كلها على وصفها ، دون وجود علاقة له بها . من ذلك البيتان التاليان ، يصف في الاول الخيل في الميدان :

يخرجن من فرجات النقع دامية كأن آذانها أطراف أقلام (3)

أو مستقبلة ميدان المعركة ، كما جاء في قوله :

فأقحم الخيل في غمار تغفر بالموت لهوتاها (4)

ولعل أجمل أشعاره في وصف الخيل وهي في الميدان ، أو متوجه إليه ، هي تلك

---

(1) الديوان : 128
(2) الديوان : 75
(3) الديوان : 198
(4) الديوان : 229

التي قالها أولا في حروب الأمير عبد الله وعددها ثمانية أبيات في مجموعتين ، وفي الناصر من بعده ، وعددها أربعة . وهي مثبتة هنا مجتمعة في ثلاث مقطوعات على تفرقها ، إلا أنها تشكل وحدة من حيث المضمون ، لكي نتبين من خلال قراءتها التصميم الذى اعتمده ، والافكار التي عرضها ، لأنها حافلة بالمعاني مشحونة بالصور .

ركزت المقطوعة التالية على وصف الخيل وهي متوجهة الى الميدان ، فبين مميزاتها ، وحدد شكلها وألوانها :

من كل لا حقة الاباطل شذب	رحب الصدور رأمينة الاثباج
وترى الحديد فتقشعر جلودها	خوف الطعان غداة كل نهاج
دهم كأسدفة الظلام وبعضها	صفر المناظر كاصفرار العاج
من كل سامي الاخدعين كأنما	نيطت شكائمه بجزع الساج (1)

وتصور المقطوعة الثانية الخيل في الميدان وهي تواجه المعركة ، وعليها الابطال الذين لا يرهبون الحرب :

ومقربة يشقر في النقع كمتها	ويخضر حينا كلما بلها الرشح
تراهن في نضح الدماء كأنما	كساها عقيقا أحمرا ذلك النضح
تطير بلا ريش الى كل صيحة	وتسبح في البر الذى ما به سبح
عليها من الابطال كل ممارس	يرى أن جد الحرب من بأسه مزح (2)

---

(1) الديوان : 31
(2) الديوان : 38

وبعد أن تشير المقطوعة الثالثة الى المعنى السابق، تؤكد على عامل السرعة في الخيل ، لانها تفوت من طلبها بالثأر فلا يقدر عليها ، كما أنها تلحق من يريد أن يفوتها ، فتدرك منه الثأر :

قاد الجياد الى الاعداء سارية ... قبا طواها كطي العصب إضمار
ملمومة تتبارى في ململمة ... كأنها لاعتدال الخلق أفهار
تزور عند احتماس الطعن أعينها ... وهن من فرجات النقع نظار
تفوت بالثأر أقواما وتدركه ... من آخرين إذا لم يدرك الثأر (1)

3 - في الجيش ورجاله

أ - الجيش : عندما يتعرض الشاعر لذكر الجيوش، يشد انتباهه فيها كثرة عددها وعدتها . وتؤكد أشعاره هذه الظاهرة ، وعبر عنها بالسيل في اندفاعه وباليم يعب عبوبا . نجد المعنى الاول في قوله :

وبلدة صحصحت منها الربا ... بفيلق كالسيل دفاع (2)

أما المعنى الثاني ، فقد أعجب به الشاعر نفسه ، وأبدى رأيه فيه بقوله : ((وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب ، لم يتقدم اليه ، ومعنى بديع لا نظير له ، وذلك في قولنا (3):

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا ... يعب عبوبا من قنا وقنابل
فتنزل أولا ، وليس بنازل ... وترحل أخرا ، وليس براحل (4)

---

(1) الديوان : 70
(2) الديوان : 127
(3) العقد / ابن عبد ربه ج 1 ص . 112
(4) الديوان : 167

وهي صورة جميلة حقـــا ، توصل بها الى التعبير عن ضخامة الجيش ، تغنيه عـن كل مبالغة في وصف العدد والعدة ، ولا عجابه ما يبـــرره . وقد يكون التعبير عن كثـرة العدد بالتلميــح كما في البيتين التاليين :

ورب ملتفة العوالـــــــــي يلتمع الموت في ذراهـــــــــا
إذا توطـــت حـــــزون أرض طحطحت الشم في رباهـــــــا (1)

ب ـ المحـــارب : لا بد أن تكون صفة الشجاعة والاقدام بـــارزة ، والبطولة واضحة في الاشعار التي تتـــعرض للمحاربين . ويمكن أن نميز في شعره بين نوعين من المحاربين : المحارب القائد ، والمحارب الجندي . والمطلوب في القائد أن يكون مهيب الجـــانب ، مع شجاعته . وفي البيتين التاليين يتوفـــر الشرطان :

يقودها منه ليث غـــــاب إذا رأى فرصـــة قضاهـــــا
تمضي بآرائه سيـــــــوف يستبق المـــوت في ظباهـــــا (2)

ويضيف مؤكـــدا على الشجاعة المطلوبة في القائد ، لأنـــــه يتقدم حين يحجم الشجعان ، ويتمنى الموت الذى يخشاه الآخـــرون :

أقدم إذ كاع كل ليـــــــث عن حومة الموت إذ رآهـــــــا
عنت له أوجه المنايـــــــا فعافها القوم واشتهاهـــــــا

وتردد عنده مرارا وصفه المحارب بالسيف كقوله :

سيف من الحتف تردى بـــــه يوم الوغى سيف من الحــــــزم (3)

---

(1) الديـــوان : 229
(2) المقطوعة نفسهـــا
(3) الديـــوان : 201

وهو المعنى الذى نجده في البيت التالي :

سيف عليه نجاد سيف مثلـــــه في حده للمفسدين صـــــلاح (1)

أو قولـــه :

تـــراه في الوغى سيفا صقيـــلا يقلب صفحتي سيف صقيـــل (2)

وتتجاوز أعمال المحاربين في الميدان طاقة البشر ، فيحسب من يـــراهم ، من فـــرط الاقدام والشجاعة ، مـــن فئـــة الجن :

تراهم عند احتماس الوغـــى كـأنهم جـــن بأجـــراع (3)

وفي الميدان يفسح المجال للافعال ، فالابطال فيـــه لا يتحدثون ، وأنما تتحدث عنهم أعمالهـــم :

ولم تنطق الابطال الا بفعلهـــا فالسنها عـــجم وافعالهـــا عرب (4)

ويخطفون قلوب الاعـــداء خطفـــا :

تحوم حولها عقبان مـــوت تـــخطفت القلوب من الصـــدور (5)

4 ـ في ميدان المعارك والقتال وفي نتائجـــه

سنتبين من خلال الامثلة التالية أن الشاعر كان يـــصور جانبا من هذه المعارك بطريقة توحـــي بأنه عايش الاحداث ، وشهدها وتأثـــر بها . فجاء التصويـــر

(1) الديوان : 41

(2) الديوان : 162

(3) الديـــوان : 127

(4) الديـــوان : 16

(5) الديـــوان : 93

دقيق الجزئيات واضح القسمات . ويصور في البيت التالي المواجهة بين الطرفين لقاء وعناقا ، الا أن اللقاء فيه طعن ، والتقبيل ضرب :

اذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا فلقياهم طعن وتقبيلهم ضرب (1)

والمعنى السابق قريب جدا من المعنى الذى يريده في البيتين التاليين :

مواصلا أعداء ، عن قلى لا صلة القربى ولا الرحم
وصل يحن الالف عن بغضه شوقا الى الهجران والصوم (2)

أما ميدان المعركة ، فانه قد أسهب في وصفه ، وعاش أحداثه وعاينها ، وتجلى في شعره عمق التصوير لما كان يجرى فيه من أحداث . من ذلك وصف جو المعركة في أبيات منها :

ومغبر السماء إذا تجلى يغادر أرضه كالاقحوان

الى أن يقول :

كأن نهاره ظلماء ليل بكل مذلق سلب السنان (3)

وقريب من هذا الوصف الذى تحول الليل فيه نهارا ، قوله في البيتين التاليين الذى يجعل الشمس تكاد تختفي لكثرة الغبار وأثارة النقع :

بيوم راح في سربال ليل فما عرف الاصيل من البكور

---

(1) الديوان : 16
(2) الديوان : 201
(3) الديوان : 227

وعين الشمس ترنو في قتـــام   رنـو البكر من بين الستـــور (1)

وتحـــضره جلسات الشراب والغنـــاء وهو في الميـــدان ، الا أن مـــادة الشـــرب ، ومصدر الغنـــاء يختلفـــان في هـــذه الظـــروف . لان كـــأس النديـــم مـــرة وصوت ســـلاحه قاتـــل . نلاحظ هـــذا المعنى في المقطوعتيـــن التاليتيـــن ، يقول في الاولـــى :

حـــتى إذا نادمهم سيفـــه   بكل كـــأس مرة الطعـــم
ترى حمياها بها مانعـــم   تغـــور بين الجلد والعظـــم
على أهازيـــج ظبا بينـــها   ما شئت من حـــذف ومن خـــرم
طاعوا له من بعد عصيانهـــم   وطاعة الاعداء عن رغـــم
وكم أعدوا واستعدوا لـــه   هيهات ليس الخضم كالقضـــم (2)

وهـــذا المعنى نفســـه عبر عنـــه في المقطوعة الثانيـــة ، وصور جـــو المعركـــة وهي قائمـــة :

ومعترك ضنـــك تعاطت كماتـــه   كؤوس دمـــاء من كلـــى ومفاصـــل
يديرونها راحا من الروح بينهـــم   ببيـــض رقـــاق أو بسمر ذوابـــل
وتسمعهم أم المنية وسطهـــا   غناء صليل البيض تحت المناصـــل (3)

---

(1) الديـــوان : 93
(2) الديـــوان : 201
(3) الديـــوان : 167

القسم السادس

الخصائص الفنية لشعر الحرب والمدح

أذا كان لابد من تحديد الفترة الزمنية التي واكبت شعر المدح والحرب من أجل متابعة تطوره ، نجد أن أبعد قصيدة له تعود الى سنة 275 هـ (1) ، والشاعر على أبواب الثلاثين ، وهي التي قالها في جلوس الامير عبد الله بعد موت المنذر ، وفي الطرف المقابل ، نجد آخر شعر نه يعود الى سنة 316 هـ (2) ، وقد بلغ الشاعر السبعين ، ونستطيع القول بناء على هذا ، أن إنتاجه في شعر الحرب والمدح يتوزع على فترة طولها أربعون عاما ، من من الثلاثين الى السبعين ، ويرتبط أكثره بأميرين : أولهما عبد الله وكان أديبا وشاعرا ، وثانيهما الناصر ، وهو غني عن كل تعريف . وكأن الشاعر قد شعر بمكانة الاميرين ، فرفع من مستوى شعره ، ليرتقي به إلى مكانتهما ، وهو تفسير قد يساعد على معرفة سبب الجودة التي تميزت به أشعار ابن عبد ربه في المدح والحروب ، وقد سبقت الاشارة الى أول قصيدة له في هذا الموضوع ، وكانت على قدر كبير من الجودة رغم حداثة سنه ، وافتقاره الى الممارسة والتجربة الشعرية وهي القصيدة التي قالها في الامير عبد الله لأول جلوسه ، وهي تعد

---

(1) هي المقطوعة 143 في الديوان

(2) هي المقطوعة 173 في الديوان

منطلقا لازدهار شعره وطوء نسجه . وقد ساعدت الامثلة المذكورة في موضعها من هذا الفصل على كشف بعض الجوانب ، بما يغنينا عن تكرار كافة الابيات والشواهد ، وعلى الاخص ما يتعلق بجانب المضمون . على أن يقع البحث هنا في الالفاظ والتراكيب كما كان الشأن في باب الغزل .

تغلب جانب الحرب في شعر ابن عبد ربه على جانب المدح ، حين اتخذ من شعر الحرب مسلكا له وسبيلا الى المدح وليس العكس . فرجحت بسبب ذلك معاني الحرب والمصطلحات ، والمفردات المعبرة عن جو المعركة ، وما يسبقها من تحضيرات أو ما يجرى فيها من أحداث . ويبرز فيها بوضوح أهتمام الشاعر بكل الاحداث ، فعكس شعره الحروب بكل تفاصيلها ، بخيلها ، وجيشها ، ورجالها ، وعدتها ، وكرها وفرها ، وركز على أثر تلك الحروب في العدو وبين نتائجها وابتهج بالنصر فيها . وبرزت في شعر المديح صفات الممدوح ، كالشجاعة ، والكرم ، وحسن التدبير ، ولم يغفل ذكر الاوضاع السياسية السائدة ، وموقف الممدوح منها . واتضحت فيما سبق بجلاء المعاني التي ترددت في شعر الحرب والمدح ، ويستوجب استكمالها با ستجلاء جانب الشكل في التعبير ، لمعرفة الاسس التي قام عليها أسلوبه حسب محوارين : بناء القصيدة ، وفيها المقدمات والأوزان المستعملة . واللغة : وفيها الالفاظ والتراكيب

1 ـ بناء القصيدة

أ ـ المقدمات

لا يوجد أثر للمقدمة الطللية في شعر ابن عبد ربه ، أما المقدمة الغزلية فظهرت عند الشاعر في مرحلة ، واختفت

في أخـــرى ،ظهرت في مدائحـه في الامير عبد اللـــه (1) . بينما كانت أشعاره في الناصر بعد ذلك خالية منهـا . معنى ذلك ان ابن عبد ربـه كان في أول عهده، بشعر المدح متقيدا بالنهج المألوف ،سايرا له ،ثم عـدل عنه بعد ذلك رغبة منه في التجـديد .

أحسـن مثال للمقدمة الغزليـة هو استهلال قصيدة في الامير عبد الله مدحه بها ،أورد منها ابن حيان خمسة عشـرة بيتا قال بعدها : ((أطال النسيب وأرقه ثـم خرج الى المدح)) (2) . ويسـفيد هذا الخبر أن المقدمة الغزلية في الاصل كانت طويلة ،إلا أن ابن حيا ن فـضل رواية جـزء منها فقط ،يقول الشاعر فيهـا :

أرقت وقلبي ليس عنك يفيـق	وأسعدت أعدائـي وأنت صديـق (3)
وصد الخيال الواصلي منك في الكرى	بصدك عني فالفؤاد مشـوق
تعلم منك الهجر لما هجرتـه	فليس له في مقلتي طريـق
وتـأبى علي الصبر نفس كئيبـة	وقلب بألطاف الهموم رفيـق
سهاد ودمع بالهموم توكـلا	فـذا موثق فيها وذاك طليـق
رشا لو رآه البدر يشرق وجهـه	لاظلم وجه البدر وهو شريـق
دقيق فرند الحسن أما وشاحـه	فيهفو وأما حجله فيضيـق

---

(1) لم يشر الربعي بن سلامة في أطروحته الى مقدمات ابن عبد ربه الغزلية ،وأكـد وجود أربعة مقدمات فقط على سبيل الحصر في الشعر الاندلسي كله حتى نهاية القرن الرابع ((شعر الحروب في الاندلس/ الربعي بن سلامة ص. 220 وما بعدها

(2) المقتبس/ ابن حيان ج 3 ص. 43

(3) الديـوان : 143

يغض زمان الوصل لما تطلعت	لوامع في رأسي لهن بريق
سلام على عهد الشباب الذى مضى	اذ العيش غض والزمان أنيق
واذ لبنات الخدر نحو تطلع	كما لمعت بين الغمام بروق
عطابيل كالآرام أما وجوهها	فدر ولكن الخدود عقيق
سفرن قناع الحسن عنها فأشرقت	مصابيح أبواب السماء تروق
أشبه نعاج الرمل هل من بقية	ولو سبب من وصلكن دقيق
لقد بت حبل الوصل وهو وثيق	حسام من الهجران ليس يليق
فلا نيل إلا أن أخالس لحظة	ولا وصل الا أن ينم شهيق
وأن تبسط الآمال في ساحة العلا	رجاء يداوى الشوق وهو يشوق
وأني لأبدى للوشاة تبسما	وانسان عيني في الدموع غريق

والمقدمة على شكلها هذا نموذج صادق عن المقدمات الغزلية في المشرق . وفي قصيدة أخرى في مدح الامير عبد الله (1) وصلتنا منها فقط المقدمة التي خصصها الشاعر لحروب الامير ، توقف الراوى عند أول بيت خرج به الشاعر الى المدح ، وقد سبقت الاشارة الى القصيدة في شعر الحرب . أما المقدمة الغزلية الوحيدة في أشعاره في الناصر فهي التي يقول فيها :

بكرت علي عواذلي يلحينني	وعلى الذى لم يعدني أعدينني (2)
إيه عليك فقد كبرت عن الصبا	ونهى المشيب عن الذى ينهينني
أنى وكيف وقد رأين تغيرى	عن عهدهن إذا العيون رأينني
وعلى مفارقة الشباب شمتن بي	وعلى معاداة الصبا عادينني

(1) القصيدة في الديوان رقمها : 38
(2) الديوان : 225

أدنيهني حتى إذا التهب الجوى أقصينني أضعاف ما أدنينني
وفتنني بلواحظ تشكو الضنى دائي بهن وربما داوينني
يذكين في قلبي وبين جوانحي حرقا بنار جحيمها أصلينني

واكتفى الثعالبي الذى انفرد بروايتها ، ببيتين خرج الشاعر بهما الى المدح بعد المقدمة المذكورة . وما عدا المقطوعات الثلاثة ، فأن جميع أشعاره وردت خالية من التقديم ، ويعني هذا أحد أمرين : أما أن يكون الشاعر قد عدل قصدا عن المقدمات ، وخاصة بالنسبة لأشعاره في الناصر . أو أن تكون هذه المقدمات وجدت في الاصل وأسقطها الرواة ، واكتفوا برواية شعر المدح . ويعزز هذا الرأى وجود أغلب المدائح في شكل مقطوعات مقتضبة (1) .

ب - الأوزان المستعملة

بالرجوع الى الجدول الثاني ، والجدول الثالث (2) . نلاحظ أن جل شعره في الحرب والمدح ، يتوزع على خمسة بحور ، هي : البسيط ، والكامل ، والطويل ، والوافر ، والسريع . وتغلب الكامل في المدح ، متقدما الطويل والبسيط . واستعمل ثلاثة بحور أخرى مرة واحدة ، هي : المنسرح ، والرمل ، والمجتث . ويدل ميل ابن عبد ربه للبحر

---

(1) مثال ذلك في الديوان ، المقطوعات : 37 - 41 - 68 - 75 - 144 - 116 - 162 - 198 - 236

(2) الجدول الثاني ص . 166 والجدول الثالث ص . 167 من هذا البحث .

الكامل في المدح على استحسانه وميله الى هذا البحر ، لأنه أنسب الاوزان ، فالموسيقى الهادئة ، والتفعيلة المطردة ، تتوفر للشاعر النفس الطويل الهادئ ، وتساعده على الأداء الجيد حتى يلقى الاستحسان الذى يهدف إليه . ومعلوم ان هذا النوع من الشعر ينشد إنشادا ، فكان عليه أن يتخيل الموسيقى التي تشد المستمع اليه ، وقد سبقت الاشارة في باب الغزل الى أن الشاعر نظم أيضا أكثر شعر الغزل على هذا البحر ، ويؤكد هذا وجود ميل طبيعي عنده إلى هذا البحر ، واستحسانه وتفضيله على غيره من البحور (1) .

2 — اللغة

إن لغة الشاعر وثيقة الصلة بشخصيته وثقافته . فهي تبين مستوى قدرته ومدى تحكمه فيها ، وفي مفرداتها ، وقواعدها بالخصوص وحسن استعمالها . ومن يتصفح كتاب العقد ، يتبين له بسهولة اطلاع الشاعر الواسع على التراث العربي القديم ، وروايته جانب عظيم منه ، شعرا ونثرا ، وحكما وأمثالا وخطبا . وكان كثيرا ما يقرن شعره بالجيد من أشعار العرب . ولا شك ان شعره استفاد كثيرا من اطلاعه الواسع على فنون الادب المعروفة في عهده ، وحفظه وروايته الشعر القديم بالخصوص .

تكتسي دراسة هذا الجانب في أدب الشاعر أهمية بالغة ، نظرا لمكانة الشاعر من عصره ، فهو يقف وسطا بين اتجاهين متناقضين ، اتجاه سبقه ،

---

(1) سبقت دراسة هذا الجانب بتفصيل أكثر ، انظر ص 169 وما بعدها

ويتميز بالبساطة، والابتعاد عن الزخرفة اللفظية والتحسينات البلاغية، واتجاه برز بعده، ويتميز بالصنعة واستخدام الاساليب البيانية، والمحسنات اللفظية (1) .

أ – الالفاظ

ان عمق المعنى وجودته لا يتعارض وسهوله اللفظ وسلاسته . فان كان المتتبع لاشعار ابن عبد ربه يستغني في أكثر الاحيان عن المعاجم، فانه لا يعني أن الشاعر يميل الى استعمال لغة مبتذلة، وموجودة على كل لسان، أو هي قريبة من لغة التخاطب، لأنه كان بالفعل يعتني عناية فائقة بالالفاظ ومعانيها، في الوقت الذى يبتعد فيه عن الابهام والغرابة، فجمع بين وضوح المعنى وعمقه وقوة اللفظ وسهولته، إلا أنها سهولة ممتنعة . على أن أشعاره ليست كلها في مستوى واحد من الجودة والجمال، إلا أننا نلمس في أغلبها جودة السبك وحسن التأليف، وتخير اللفظ المناسب، وأحسن مثال قوله في الناصر : (2)

لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت منها على الناس آفاق وأقطار
وأطبقت ظلم من فوقها ظلم ما يستضاء بها نور ولا نار
قاد الجياد الى الاعداء سارية قبا طواها كطي العصب أضمار
ململمة تتبارى في ململمة كأنها لاعتدال الخلق أنهار

---

(1) تبين للباحث الربعي بن سلامة أن الصنعة في شعر الحرب في الاندلس ابتدأت بابن عبد ربه (شعر الحرب في الاندلس/ الربعي بن سلامة ص. 244)
(2) الديوان : 70

تـزور عند احتماس الطعن أعينهـا ... وهن من فرجات النقع نظـار
تفوت بالثأر أقواما وتدركـه ... من آخرين إذا لم يدرك الثـأر
فانساب ناصر دين الله يعدمهـم ... وحوله من جنود الله أنصـار

وانساب شعره كذلك انسيابا ، فجاء صادقا في مشاعره ، وأحاسيسه ، وانفعالاته ، وانقادت له اللغـة ، وخلت من الالفاظ الغريبـة . أما المثال التالـي فانه دون السابق في الجودة ، وقوة السبك لبساطة اللفـظ وسهولته ، الا أن وضوح المعنى فيه لا يحط في شـي من جماله وقيمته الفنية ، يقول في الناصـر وهو متوجه الى الميدان : (1)

فصلت والنصر والتأييد جنـدا كا ... والعز أولاك والتمكين أحـراكـا
ورحمة الله في الآفاق قد نشـرت ... والارض تبدى تباشيرا لمبداكـا
قد اكتست حللا من وشي زهرتهـا ... كأن زخرفها في الحسن حاكاكـا

إلـى أن يقول :

يمضي أمامك نصر الله منصلتـا ... بالفتح يقصم من في الارض ناواكـا
والناس يدعون والآمال راغبـة ... والطوع يرجوك والعصيان يخشاكـا
ومن يمينك بدر ماله فلـك ... ولن ترى لبدور الارض أفلاكـا

أما المقطوعة التالية فأنها دون السـابقة في الجودة ، قالها في الناصر كذلـك ، مهنئا بالمولود الجـديد ، واستطاع ببراعة أن يجمع الثلاثة في البيت الاول : المولود ، والوالـدة ، والوالـد ، في قولـه :

---

(1) الديـوان : 161

هلال نماه المجد واختاره الفخـــر تلقت به شمس وأنـــجبه بـــدر (1)

الـــى أن يقول :

هنيئـــا أمام المسلمين عطيـــة حباك بها ربّ له الحمد والشكـــر

فيا من كساه الله تاج خلافـــة ومن جوده قطر إذا أعدم القطـــر

ومن كان يبدى الخيزران بكفـــه وينبت في أطرافه الـــورق الخضـــر

جاء وضوح المعنى في هذه الأبيات في مستوى الالفاظ التي استخدمها للتعبير عنه ، واذا كانت الامثلة الثلاثة السابقـــة تتوفـر على قدر كبير من المهارة في الأداء ـ على تفاوتها حسب ورودها مرتبـــة ـ فأن المثال التالي يأتي في مرتبة أخـــيرة ، وليس فيه من الشعر غير الـــوزن ، استعمل فيه جمـــلا وعبارات خلت من الـــصور الشعرية ، فجـــاءت أقرب إلى المنثور منها الى الموزون ، وهي أشعار قالها في الناصر منهـــا :

بدا الهلال جـــديدا والملك غض جـــديد (2)

يانعمة الله زيـــدى ما كان فيه مـــزيـــد

أن كان للصوم فطـــر فأنت للدهـــر عيـــد

وقـــريب من هذه الصياغة ، قوله في الامير عبد اللـــه :

يا ملكا يزدهي به المنبـــر والمسجد الجامع الذى عمـــر (3)

---

(1) الديـــوان : 107

(2) الديـــوان : 47

(3) الديـــوان : 108

خليفة الله في بريتـــــه يسر للناس مثل ما يجهـــــر

يا قمرالأرض أن تغـب فلقـــد أقمت للناس كوكبـا يزهـــر

ولعل السر في براعة ابن عبد ربه يكمن في قدرته الفائقـــة على التوفيق بين اللفظ والفكـــرة التي يريد التعبير عنهـــا ، فلاحظنا في الامثلة السابقـــة التناسـق الذى حصل بين العنصرين ، فـــأن قصد المعنى القوى ، تخـــير له اللفـــظ القـوى ((المثال الاول)) . أما اذا كانت الفكرة قريبة من الاذهـــان ، فأنه يأتي بالألفاظ على نسقهـــا ، دون أن يبلغ درجة الاســـفـــاف ((المثال الثاني والثالث)) . وقد يقصـــر اللفظ والمعنى دون ذلـــك ليصبح الشعـــر كلاما موزونـــا ((المثال الرابع والخامس)) ، وهو قليل في شعـــره .

وفـــي الديوان أبيات أخـــرى في مناسبة المقطوعة الاخـــيرة ، أى أنها قيلت في نفس الموضوع والفتـــرة . إلا أنها تمتاز عن السابقـــة بالجودة في صياغتهـــا ، ورشاقة ألفاظـــها ، وعذوبتهـــا . فما تفسير هذه الظاهرة ؟ وما السر في هـــذا الاختلاف ؟ إلا أن يكون الشاعر قد أنشد الأولـــى على البديهة ونقح الثانية ، التي منها قوله في مطلعهـــا :

تجددت الدنيا وأبدت جمالهـــا وردت إلينا شمسها وهلا لهـــا (1)

عشية يوم السبت جاءت بنعمـــة من الله لا يرجو العدو زوالهـــا

بها جبر الله الكسير من العـــلا وأدرك منه عثرة فأقالهـــا

فأشرقت الآفاق نورا وبهجـــة ومدت علينا بالنعيم ظلالهـــا

---

(1) الديـــوان ، 191

بتجديد عبد الله أعظم دولـة لمولاء عبد الله كان أزالهـا

والفرق بين في المستوى بين القصيدتين . ويحلو لابن عبد ربه كثيرا اللعب بالألفاظ ، واللجوء إلى المحسنات اللفظية ، ليدل على تمكنه من تسخير اللغة . من ذلك ما يعرف برد العجز على الصدر كما يتبين في البيت التالي في الاميـر عبد اللـه :

حقيق بما نالت يداه من العـلا وما نالنا منها بـه فحقيـق (1)

فواضح الفرق في مدلول اللفظة ((حقيـق)) في الحالتين . وقريب منه قوله

بيض تحل القلوب سـودا إذا انتضى عزمه انتضاهـا (2)
تتبعه الطير في الأعـادى تجني كـلا العشب من كلاهـا

أو قولـه :

ومعترك تهز به المنايـا ذكور الهند في أيدى ذكـور(3)

ومن الجناس التام قولـه :

هو الفتح منظوما على أثره الفتـح وما فيهما عهد ولا فيهما صلـح (4)

فلفظة ((الفتح)) يعني بها في الأول فتح الحصن ، وفي المرة الثانيـة

---

(1) الديوان : 143
(2) الديـوان : 229
(3) الديوان : 93
(4) الديـوان : 38

حصول الانتصار . وقد يقصد الى التكـــرا ر وهو يعني باللفظة المعنى نفســـه
وفي هذه الحالة فان الهدف منه هو التأكـــيد ، وابرا ز الاهميـــة التي يوليها
لمدلول اللفظـــة ، أو لغرض التشبيه . وظهـــر هذا جلـــيا في شعر
الحرب مع لفظة ((السيف)) بالخـــصوص حين عمد بها إلى التكرار فـي
أكثر من موضع . من ذلك التكرار في بيت واحـــد :

سل السيف والرمح الرديني عنهما فتسمع ما ينبي به السيف والرمـــح (1)

أو في بيتين متتاليين كقوله :

والسيف يعدل ميل كل مخالـــف عميت بصيرته عن المنهـــــاج (2)
واذا المعاقل أرتجت أبوابهـــا فالسيف يفتح قفل كل رتـــاج

وقد يتطلب التشبيه تكرا ر اللفظة في البيت مرتيـــن كقوله :

سيف عليه نجاد سيف مثلـــه في حده للمفسدين صـــــلاح (3)

وهو شبيه بقوله أيضـــا :

سيف من الحتف تردى بـــه يوم الوغـــى سيف من الحـــزم (4)

وقد يعمد الشاعر إلى التكـــرا ر دون مبرر ، كما جاء في البيتين التاليين :

بدر بدا من تحته أبلـــق يحمد فيه المغرب المشـــرق (5)

---

(1) الديـــوان : 38
(2) الديـــوان : 31
(3) الديـــوان : 41
(4) الديـــوان : 201
(5) الديـــوان : 144

لو يعلم الابلق من فوقـــه   لا ختال من عجب به الأبلـــق

ولعله اضطر اضطرارا الى هذا التكرار الذى أثقل البيتين ، لان الابيات قيلت ارتجالا . وقد لجـأ الى مثل هذا في مقطوعة أخـرى صرح بأنشادها على البديهة ، منهـا قوله :

ما ضر عندك حاجتي ما ضرهـا   عذرا اذا أعطيت نفسك قدرهـا (1)
حاشا لجودك أن يوعر حاجتـي   ثقتي بجودك سهلت لي وعرهـا

ب ـ التراكيـب

مـرت الاشارة الى كون الالفاظ في أشعار ابن عبد ربه تميل الى الوضوح أكـثر منها الى الغرابة ، ويسرى هـذا أيضا على التراكيـب التي تغلب عليها الجودة في النظـم ، والعمـق في الدلالـة ، مع الوضـوح ، كقوله في واقعة يصفهـا وصفا تهدر فيه المعركـة ببراعة الوصف ، ماثلة في الاذهان بكل أحـداثها :

كتائب تتبارى حول رايتـه   وجحفل كسواد الليل جـرار (2)
قوم لهم في مكر الليل غمغمـة   تحت العجاج وأقبال وأدبـار
يستقدمون كراديسا مكردسـة   كما تدفع بالتيار تيـار
من كل أروع لا يرى لهاجسـة   كأنه مخدر في الغيل هصـار
في قسطل من عجاج الحرب مدلـه   بين السماء وبين الارض أستـار

---

(1) الديـوان : 102
(2) الديـوان : 70

والصنعة في التركيب جلية في الابيات الثلاثة التالية ، وهي من جملة أبيات :

تقاصرت الآجال في طول متنه ... وطالت به الآمال وهي نجائع (1)
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه ... فهن ظبات للقلوب قوارع
يسلل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت رائع

يماثل هذا قوله من مقطوعة أخرى :

لوامع يبصر الاعمى سناها ... ويعمى دونها طرف البصير (2)
فكم قصرت من عمر طويل ... به وأطلت من عمر قصير

إلا أن الصناعة التي ظهرت بوادرها جلية في شعر ابن عبد ربه ، لا تنقص في شيء من القيمة الفنية لشعره ، وقد ابتعد عن التكلف ، ولم يوغل في الزخرفة والتأنق ، فجاء شعره وسطا بين الاسلوب التقريري المباشر ، وقد كان سائدا قبل ابن عبد ربه ، والاسلوب المعتمد على الصناعة والاكثار من المحسنات اللفظية التي شاعت من بعده . ولا نبالغ اذا اعتبرنا ابن عبد ربه معلما من معالم المسيرة الأدبية في الاندلس ، ووضعناه على رأس المدرسة التي تبنت الاتجاه المتجدد ، الذى اهتم أكثر بسلامة التعبير ، وتعمد اختيار الالفاظ ، واستعمال التراكيب السلسة ، وهي عناية ارتفعت بالشكل درجة ، ووضعته في مستوى المضمون ولم يقصر عنه ، فدل على أهمية المكانة التي تبوأتها اللغة كأداة للتعبير ، وبلوغها مرحلة النضج على يد ابن عبد ربه ، فأصبحت تساير في تطورها الأدب في المشرق ابتداء من هذه الفترة .

---

(1) الديوان : 128
(2) الديوان : 93

ويمتاز شعر الحرب عند ابن عبد ربه بجودة التصوير . والصورة عنده تحتوى على كثير من المبالغة ، الا أنها مبالغة يقصد من ورائها اثارة العاطفة والانفعال وأحسن مثال على ذلك ، الا بيات الاربعة التالية ، نجد في كل بيت صورة ، تم بعدا معنيا ، واستقامت وحدته ، واجتمعت في البيت الواحد كل عناصره ، فشكل وحدة مستقلة عن غيره من الابيات .

سيوف يقيل الموت تحت ظباتها لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب (1)
اذا اصطفت الرايات حمرا متونها ذوائبها تهفو فيهفو لها القلب
ولم تنطق الابطال الا بفعلها فالسنها عجم وأفعالها عرب
اذا ما التقو في مأزق وتعانقو فلثمهم طعن وتقبيلهم ضرب

والصورة التالية مأخوذة من البيئة الاندلسية ، ففيها البحر وفيها الخمر ، وفيها مجالس الغناء . ولعل الشاعر أدرك في قرارة نفسه أنه أكتشف شيئا اندلسيا جديدا ، تمثل في المعنى الذى عثر عليه وأخذه من محيطه ، ولم يسبق اليه ، لذلك قال مقدما أبياته : ((وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم اليه ومعنى بديع لا نظير له وذلك قولنا : (2)

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا يعب عبوبا من قنيا وقنابل (3)
فتنزل اولاه وليس بنازل وترحل أخراه وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته كؤوس دماء من كلى ومفاصل

---

(1) الديوان : 16
(2) العقد / ابن عبد ربه ج 1 ص . 112
(3) الديوان : 167

يديرونها راحا من السروح بينهم ببيض رقاق أو بسمر ذوا بل
وتسمعهم أم المنية وسطها غناء صليل البيض تحت المنا صل

ويتحكم في الصورة مرة أخرى فيبدع في الوصف إبداعا يدعو الى التأمل ، ويحمل على الاعجاب . نلاحظ البيتين التاليين من مقطوعة في وصف الحرب :

بيوم راح في سربال ليل فما عرف الاصيل من البكور (1)
وعين الشمس ترنو في قتام رنو البكر من بين الستور

وبنفس المعنى يستهل مقطوعة أخرى في وصف الحرب ، ويأتي في كل بيت بتشبيه :

ومغبر السماء إذا تجلى يغادر أرضه كالا رجوان (2)
سموت له سمو النقع فيه بكل مذلق سلب السنان
وكل مشطب المتنين صاف كلون الملح منصلت يماني
كأن نهاره ظلماء ليل كواكبه من السمر اللدان

وتردد عنده كثيرا تشبيه الجيش في تحركه بتموج البحر ، كقوله من قصيدة طويلة :

بجحفل تشرق الارض الفضاء به كالبحر يقذف بالأمواج أمواجا (3)
يقوده البدر يسري في كواكبه عرمرما في سواد الليل رجراجا

فلئن كانت الأبيات في الامثلة السابقة تتميز بوحدة البيت — وكذلك أكثر شعره — فانه تمكن عند الحاجة أن يجعل الموضوع الواحد يتوزع على ثمانية أبيات ،

---

(1) الديوان : 93
(2) الديوان : 227
(3) الديوان : 32

لأن المناسبة تتطلب النفس الطويل ، وذلك حين أراد أن يحكي قصة واقعية وضعها في قالب فني جميل . وتستعرض القصة فرار ابن حفصون، وهي أبيات من قصيدة طويلة :

وكان ابن حفصون بعد جياده … سراحين قبل اليوم فهي لنا سرح (1)

نجا مستكنا تحت جنح من الدجى … وليس يودى شكر ما أنعم الجنح

دعته منى كانت عليه منية … فترحاله منها وقل له الترح

تسربل ثوب الليل خامس خمسة … فكلهم في كل جارحة جرح

يودون أن الصبح ليل عليهم … ونحن نود الليل لو أنه صبح

أقادح نار كان طعم وقودها … بعينيك فانظر ما أضاء لك القدح

محا السيف ما زخرفت أول وهلة … ودونك فانظر بعد ذلك ما يمحو

فكم شارب منكم صحا بعد سكرة … وما كان لون السيف من سكره يصحو

---

(1) الديوان ، 38

الفصـــل الثالـــــــث

أغــــــــــــــرا ض أخـــرى

1 ـ الرثـــــــــاء

2 ـ الهجـــــــاء

1 ـ الرثـــــــــــاء

تقع مراثي ابن عبد ربه كلهـــا في ست مقطوعات : أربع منها في رثـــاء ابنه يحي (1) . وواحـــدة في رثاء طفل له مات صغيرا ، والاخيرة وهي التي رثا بها شخصين معـــا ، اتحـــدا في الاسم ، وماتا في وقت واحد ، همـــا أخوه يحي (2) وابنـــــه ، وانـــفرد ابن الفرضي برواية القطعة في معرض ترجمته ليحي ولد الشاعر ، يقول فيهـــا :

أبكي لفقد السميين الشبيهيـــن ... أبكي لصنوين في الدنيا رضيـــــــن (3)

ابن وصنو حكى هذا شمائل ذا ... كـأنما تحتذيه العين بالعيـــــن

نجمين في الخطب وقادين صلتين ... بحرين في العلم أستاذين حبريـــــن

كر الجديدين قد أبلى جديدهما ... ولا جديد على كر الجديديـــــن

---

(1) هو يحي بن أحمد بن محمد بن عبد ربه ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكـر . . . كان حافظا للفقه ، نبيلا في ضروب من العلم ومات في حياة أبيه ، فرثاه أبـوه بـــعدة أشعار . وكانت وفاته سنة 314 هـ (تاريخ علماء الانـدلس/ ابن الفرضي ج 2 ص . 187)

2) هو يحي بن محمـــد بن عبد ربه ، من أهل قرطبة ، هو أخو الشاعر ، يكنى أبا بكر . روى عن بقي بن مخلـــد ، وكان من كبار أصحابه ، وكان معتنيا بالحديـــث والرأى . (تاريخ علماء الاندلس / ابن الفرضي ج 2 . ص . 187)

(3) المصـــدر نفســه ج 2 ص . 187 ـ 188

وتتميز مراثيه في ولده كلها ، بجودتها وصدق التعبير فيها ، وتدل على تمكن الشاعر بجودة التعبير عن الحزن العميق الذى أصابه وهو على أعتاب السبعين حين أصيب بفقد ولده يحيي . ويبدو من الأشعار التي رواها لنفسه أن موت ابنه ترك فيه حزنا عميقا ، أسال دموعه ، وأذاب قلبه . يخاطب ابنه قائلا :

بليت عظامك والأسى يتجدد   والصبر ينفد والبكا لا ينفد (1)
يا غائبا لا يرتجي لإيابه   ولقائه دون القيامة موعد
ما كان أحسن ملحد ضمنته   لو كان ضم أباك ذاك الملحد

ومن مقطوعة أخرى يخاطبه بقوله :

يا قمرا أجحف الخسوف به   قبل بلوغ السواء في العدد (2)

أو قوله :

يا أطيب الناس روحا ضمه بدن   أستودع الله ذاك الروح والبدنا (3)

ويذكر في البيتين التاليين بعض الخصال التي كان يتميز بها :

من كان خلوا من كل بائقة   وطيب الروح طاهر الجسد (4)
يا موت يحي لقد ذهبت به   ليس بزميلة ولا نكد

ويفصل القول في خصاله ، ويؤكد على جانب الفضل والعلم فيه ، ويعطي في

---

(1) الديوان : 46
(2) الديوان : 44
(3) الديوان : 220
(4) الديوان : 44

الأبيات التاليـــــة بعض الادلة على ذلك مستعيدا ذكرياته :

بأبي وأمي هالكا أفردتـــــه قد كان في كل العلوم فريــــــدا
سود المقابر أصبحت بيضـــا به وغدت له بيض الضمائر ســـــود ا
لم نرز ء لما رزئنا وحـــــد ه وأن استقل به المنون وحـــــيد ا
لكن رزئنا القاسم بن محمـــــد من فضله والاسود بن يزيـــــد ا
وابن المبارك في الرقائق مخبرا وابن المسيب في الحديث سعيـــــدا
والاخفشين فصاحة وبلاغـــــة والاعشيين رواية ونشيـــــدا
كان الوصي إذا أردت وصيـــــة والمستفاد إذا طلبت مفيـــــدا
ولى حفيظا في الاذمة حافظـــا ومضى ودودا في الورى مودودا (1)

ولا يستطيع أن يفعل شيئا ، أو يرد أمـــرا ، إلا التوجه إلى اللـــه راجيا منه الرحمة لولده :

يا رحمة الله جاوري جـدثـا دفنت فيه حشاشتي بيـــــدي (2)
ونوري ظلمة القبور علـــى من لم يصل ظلمه الى أحـــــد

ثم يخصص جانبا من هذه القصيدة للموت ، متوجـــها إليه بالخطاب ، يستعطفه بالابيات التاليـــة ، وهي تبين مبلغ جزعه وشدة تعلقه بالمستحيـــل ، حين تمنى إقالة عثرتـــه ، وتأجيل موته :

يا موته لو أقلت عثرتـــــه يا يومه لو تركته لغـــــد
يا موت لولم تكن تعاجلـــه لكان لا شك بيضة البلـــــد

---

(1) الديـــوان : 45
(2) الديـــوان : 44

أ وكنت راخيت في العنان لــــه حاز العلى واحتوى على الامـــد
أي حسام سلبت رونقـــه وأي روح سلبت من جســد
وأي ساق قطعت من قــدم وأي كف أزلت من عضــد

ويتخذ الجزع واليأس أشكالا عــدة في أشعاره في ولــده يحـي ، فهو مــثلا صيحة مدوية تنبعث من الأعماق في مطلع القصيدة السابقة :

وا كبدا قد قطعت كبــدي وحرقتها لواعج الكمــد
ما مات حي لميــت أسفــا أعذر من والــد على ولــد

وينهي القصيدة بالحزن والاســى كما بدأها :

أي حشـا لم تذب له أسفـا وأي عين عليه لم تجـد
لا صــبر لي بعده ولا جلــد فجعت بالصبر فيـه والجلــد
لولم أمت عند موتــه كمــدا لحق لي أن أموت من كمــدي
يا لوعة ما يزال لاعجهــا يقدح نار الأسى علــى كبــدي

والحــزن عنده رفض للمواساة ، كأنه مقتنع بضرورته ، مصــرا على الاستسلام ليأسه ، لأن قلبه لم يخلق من الحجارة أو من الحــديد ، ويذهب الى أبعد من هذا في نهاية القصيدة التالية ، ليعلن عن فكرة راودته ، وهي أن يجعل في كل ســنة من ذكرى وفاته مأتما ، ومن ذكرى ميلاده عيدا ، ولكن الحياء يمنعه ، مما يدل على شدة تأثــره بمصابه ، يقول :

يا من يفند في البكاء مولهــا ما كان يسمع في البكا تفنيــدا (1)
تأبى القلوب المستكينة للأســى من أن تكون حجارة وحديــدا

(1) الديوان : 45

إن الذى باد السرور بموته ... ما كان حزني بعده ليبيدا
الآن لما أن حويت مآثرا ... أعيت عدوا في الورى وحسودا
ورأيت فيك من الصلاح شمائلا ... ومن السماح دلائلا وشهودا
أبكي عليك إذا الحمامة طربت ... وجه الصباح وغردت تغريدا
لولا الحياء وأن أزن ببدعة ... مما يعدده الورى تعديدا
لجعلت يومك في النمائح مأتما ... وجعلت يومك في الموالد عيدا

ويتملكه اليأس إلى درجة يصبح اليأس فيها وسيلة يروح بها عن نفسه ، بدل الجلد والصبر :

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي ... هيهات أين من الحزين تجلد (1)

على أننا نجد عكس الملاحظة السابقة في الأبيات التالية ، فالحزن الشديد واضح فيها ، على أنه مقتنع بعدم جدواه ، ما دام الحزن لا يرد شيئا مهما طال ، وهو تردد في الموقف ، يدل على القلق النفسي الذى أصيب به ، يقول :

لهفي على ميت مات السرور به ... لو كان حيا لاحيا الدين والسننا (2)
واها عليك أبا بكر مرددة ... لو سكنت ولها أو فترت شجنا
إذا ذكرتك يوما قلت وا حزنا ... وما يرد علي القول وا حزنا
ياسيدى ومراح الروح في جسدي ... هلا دنا الموت مني حين منك دنا
حتى يعود بنا في قعر مظلمة ... لحد ويلبسنا في واحد كفنا

---

(1) الديوان : 46
(2) الديوان : 220

رأينا في هذه المراثي كيف عبر الشاعر عن حـــزنه وأجاد ، لانه كان صادقا في مشاعره وصف حاله وآلام نفسه ، ويأســــه ، ولا حظنا في الأمثلة المذكورة ، المحاور الرئيسية التي تركز عليهـــا مضمون شعره ، وتتلخــص كالتالي : مناجاة ابنــه ، وذكر خصاله ، والدعوة له بالرحمـــة ، ولم ينس الموت الذى خاطبه بكل حسرة وألم ، فأبدع في تصوير آلامه ومعاناته ، وما حل بنفسه مـــن وجـــد .

وفقـــد طفلا صغيرا لم يذكر اسمه ، رثاه بالمقطوعة التالية ، وورد ت في العقد ، قدم لها بقـــوله : ((وهـــذا نظير قولي في طفـــل أصبت بـــــه :

على مثلها من فجـــعة خانني الصبـــر ... فراق حبيب د ون أو بته الحشـــــر (1)
ولي كبد مشطورة في يد الاســـــى ... فتحت الثرى شطر و فوق الثرى شطـــر
يقولون لي صبر فؤاد ك بعـــــده ... فقلت لهم مالي فـــؤاد ولا صبـــــر
فريخ من الحمر الحواصل ما اكتســــى ... من الريش حتى ضمــه الموت والقبـــر
اذا قلت أسلو عنه هاجت بلا بـــــل ... يجد د ها فكر يجـــدد ه ذكـــــر
وأنظر حولي لا أرى غير قبـــــره ... كـــأن جميع الأرض عندى له قبـــر
أفرخ جنان الأرض طرت بمهجتــــي ... وليس سوى قعر الـــضريح له وكـــر

وظاهر أ ن الامر هنا مختلف عن السابق ، ولم يرتق بمعانيه إلى منزلتهـــا في ولد ه يحي ، الذى كان الشعر فيه حزينا يخرج من الاعماق ، أما الحزن هنا فجاء عرضـه في صيغة الخبر مجردا من العاطفـــة ، في حين طغت صيغة الانشاء في رثاء ولد ه يحـــي .

إذا استثنينا المقطوعات المذكورة ، فا ن المصادر لا تقدم شيئا عن مراثيه في مناسبات أخرى ، خاصة وأن هذه المراثي التي أثبتها لنفسه في العقد هي غاية في الجـــودة ،

(1) الديوان : 79

فلو كتب لابنه يحيي مثلا أن يعيش ، وامتدت به الايام بعد أبيه لما كنا عثرنا في ديوانه على شيء يذكر في فن الرثاء . وقد عاصر في حياته دون شك حدوث وفيات تفرض عليه قول الشعر ، فقد شهد مثلا موت ثلاثة من أمراء قرطبة كان على صلة بهم ، بالاضافة إلى شخصيات أخرى ، إلا أن يكون قد خص مراثيه بأهل بيته ، أو أن تكون تلك المراثي ضمن الأشعار الكثيرة الأخرى التي ضاعت ، ولم تصلنا غير الاشعار التي حفظها العقد في موضوع الرثاء

2 ـ الهجاء

أثبتت مصادر كثيرة (1) خبر الهجاء الذى كان متبادلا بين الشاعر والقلفاط ، على أن هذه المصادر لا تورد لابن عبد ربه إلا بيتا واحدا ، وللقلفاط بيتين ، أحدهما مطلع لقصيدة هجا بها ابن عبد ربه قال فيه :

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا فودعيني سرا من أبي عمرا

أما البيت الثاني ، فهو الذى أغضب به ابن عبد ربه ، حين هجاه في مجلس بقوله :

حال طلاس لسبي عن رائه وكنت في قعدد أبنائه

والجدير بالذكر أنه لم ترد إشارة في العقد إلى القلفاط ، ولم يترجم له ابن الفرضي ، رغم أنه كان مشهورا في عصره ، وكان شاعرا ونحويا معروفا ، ولم تذكر المصادر للشاعرين علاقة أخرى غير هذه المشادة ، أو تلك الحادثة في الطريق التي أزعجت شاعرنا ، وهي الحادثة الوحيدة التي تؤكد وجود قصيدة للقلفاط في هجاء ابن عبد

---

(1) تفصيل الخبر عنها في الديوان : المقطوعة 234 الهامش 9

ربـــــه عرفنا مطلعها .

هناك رجل آخــــر هجاه الشاعر بثلاث مقطوعات أثبتها في الجزء الاول مـــن العقد في كتاب الاجواد والاصفاد ، وفي الجزء السادس منه ، في باب ما قيل في البخـــلاء ، ولم يفصح عن أسم هذا الرجـــل رغم أشعاره الكثيرة فيه بالنسبة الى مجموع شعره في الهجـــاء . وأنما أشار إليه بقوله : ((ومن قولنا في رجل كتب الي بعدة في صحيفة ومطلني بهـــا)) (1) وورد ذكر الصحيفـــة في البداية مـــرتين ، جعل ((البخـــل)) عنوانها في الحالة الاولى :

صحيفة طابعها اللــــــــوم عنوانهـــا بالبخل مختـــــوم (2)

و ((راحة اليائـــس)) في المرة الثانيـــة :

صحيفة كتبت ليت بها وعــــــــسى عنوانها راحة الراجـــي إذا يئسا (3)

وهي في مــــــطلع المقطوعة الـــثالثة سراب ، أو رجاء أقرب منه السحـــاب

رجاء دون أقربـــــه السحـــا ب ووعد مثل ما لمع الســـــرا ب (4)

وتعكس المقطوعات الثلاثة بوضوح أسباب غضب الشاعر ودوافعه ، وتكمن في المماطلة ، والتسويف ، ومخالفة الوعـــــد في قولـــه :

وتسويف يكل الصبر عنــــــه ومطل ما يقوم له حســــــاب (5)

---

(1) العقد / ابن عبد ربه ج 1 ص 252

(2) الديوان : 205

(3) الديوان : 110

(4) الديـــوان : 8

(5) المصدر نفســــه

وفـــــي قوله :

أهداكها والخلف في طبهـــــا والمطل والتسويف واللـــــوم (1)

ويعبر بصورتين جميلتين عن المعنى نفسه في المقطوعة الثالثة :

وعد له هاجس في القلب قد برمت أحشاء صدري به من طول ما هجسا (2)

براعة غرني منها وميض سنـــــى حتى مددت إليها الكف مقتبســــــا

وينعت الرجل بأوصاف عديدة في المقطوعات الثلاثة ، منها ثلاثة أوصاف تعاقبت في ثلاثة أبيات : فهـــو في الاول حجـــــر ، وفي الثاني بخيل وكـــــذاب ، وفي الثالث كلـــــب :

فصادفت حجرا لو كنت تضربــــــــه من لـــؤمه بعصا موسى لما انبجسا

كأنما صيغ من بخل ومن كــــــــذب فكان ذاك له روحا وذا نفســــــا

كلب يهر إذا ما جاء زائـــــــــره حتى إذا جاء مهدى تحفة نبصــــا

ويــــردد الوصف نفسه في المقطوعة التالية :

كلاب لو سألتهم ترابــــــــــا لقالوا عندنا انقطـــــع التـــــراب

يعاقــــب من أساء القول فيهـــم وأن يحسن فليس له ثـــــواب (3)

وينم البيت الثاني هنا ، عن خيبة في أمل بعد مديح لم ينل أجـــــره الذى كان ينتظره . فانقلب المدح بسبب موقف الممدوح هجاء عنيفا ، كما في قولـــه :

---

(1) الديـــوان : 205

(2) الديــوان : 110

(3) الديــوان : 8

من وجهه نحس ومن قربه رجس ومن عرفانه شؤم (1)

ويصف ساخرا مائدة هذا البخيل بعد البيت السابق :

لا تحتشم إذا كنت ضيفا له فخبزه في الجوف هاضوم

تكلمه الألحاظ من رقة فهو بلحظ العين مكلوم

لا تأتدم شيئا على أكله فأنه بالجوع مادوم

ويشبه هذا هجاءه بخيلا يصف طعامه في قوله :

طعام من لست له ذاكرا دق كما دق بأن يذكرا (2)

لا يفطر الصائم من أكله لكنه صوم لمن أفطرا

في وجهه من لؤمه شاهد يكفي به الشاهد أن يخبرا

لم تعرف المعروف أفعاله قط كما لم ينكر المنكرا

وعاتبه ابن أخيه سعيد الطبيب بثلاثة أبيات (3) ، لما رفض دعوته ، فأجابه عمه ابن عبد ربه بثلاثة أبيات ، يتهم ابن أخيه بالبخل في قوله :

ألفيت بقراطا وجالينوسا لا يأكلان ويرزآن جليسا (4)

فجعلتهم دون الأقارب جنة ورضيت منهم صاحبا وأنيسا

وأظن بخلك لا يرى لك تاركا حتى تنادى من بعدهم ابليسا

---

(1) الديوان : 205

(2) الديوان : 87

(3) الخبر بالتفصيل والابيات الثلاثة في الديوان : المقطوعة 113 ، الهامش رقم 1

(4) الديوان : 113

ويتجنب عمدا الافصاح عن أسماء الذين هجاهم بالبخل ، كما ورد التلميح في شعره الى الدافع الذى جعله يلجأ الى الهجاء ، ويأتي أغلبه بعد الخيبة في مديح ، مثال ذلك ما توحي به الابيات التالية :

جعل الله رزق كل عدو | لي بكف لبعض من لا أسمي (1)
كف من لا يهز عطفيه يوما | لمديح ولا يبالي بذم
يتلقى الرجاء منه بوجه | راشح الخد والجبين بسم
جئته زائرا فما زال يشكو | لي حتى حسبته سيد همي
ألف اللؤم فيه من كل طرف | معرقا فيه بين خال وعم
قد نهاني النصيح عنه مرارا | بأبي أنت من نصيح وأمي

وشبيه بهذا ما جاء في الابيات الاربعة التالية ، نتبين فيها بوضوح الدافع الى الهجاء الذى كان سببه الخيبة في الامل بعد الفشل في المديح ، ورد ذلك صراحة في البيت الثالث :

حاشا لمثلك أن يغك أسيرا | أو أن يكون من الزمان مجيرا (2)
لبست قوافي الشعر فيك مدارعا | سودا وصكت أوجها وصدورا
هلا عطفت برحمة لما دعت | ويلا عليك مدائحي وثبورا
لو أن لؤمك عاد جودا عشره | ما كان عندك حاتم مذكورا

يبدو أن حاجبا حال بينه وبين شخص قصده ، فاستنكر وجود الحاجب بالباب ،

---

(1) الديوان 200
(2) الديوان : 88

فهجا صاحبه بأبيات لاذعة ساخرة قال :

ما بال بابك محروسا ببواب يحميه من طارق يأتي ومنتاب (1)
لا يحتجب وجهك الممقوت عن أحد فالمقت يحجبه من غير حجاب
فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه فأن وجهك طلسم على الباب

في كل الامثلة السابقة إشارة الى صفة البخل في الشخص المهجو ، باستثناء هجاء القلفاط المذكور أولا ، الامر الذى يجعل البخل في مقدمة الصفات التي شدد الشاعر النكير عليها ، فانتقد كل الذين هاجاهم وأنكر عليهم ذلك .

وننتهي الى قصيدة طريفة في أحد عشرة بيتا ، انتقد بها عالم الفلك في عصره مسلم بن أبي عبد ، (2) واتهمه بالشذوذ عن الجماعة ، حين أتى بآراء لم يتقبلها عقله ، كقوله بكروية الارض ، وهو تفسير رفضه الشاعر، وأنكره بقوة في البيت الخامس والسادس من المقطوعة التالية :

أبا عبيدة ما السؤال عن خبر تحكيه إلا سواء والذى سألا
أبيت إلا شذوذا عن جماعتنا ولم تصب رأى من أرجسى ولا اعتزلا
كذلك القبلة الاولى مبدلة وقد أبيت فما تبغي بها بدلا
زعمت بهرام أو بيذخت ترزقنا لا بل عطاردا و مريخ أو زحلا
وقلت أن جميع الخلق في فلك بهم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والأرض كورية حف السماء بها فوقا وتحتا وصارت نقطة مثلا
صيف الجنوب شتا للشمال بها قد صار بينهما هذا وذا دولا

---

(1) الديوان : 17

(2) تفصيل الخبر في الديوان : المقطوعة 190 الهامش 7

فما لكانون في صنعا وقرطبــــة فردا وأيلول يذكي فيهما الســـــولا
هذا الدليل ولا قول عزرت بـــه من القوانين يجرى القول والعمـــــلا
كما استمر ابن موسى في غوايتــه فوعر السهل حتى خلته جبـــــلا
أبلغ معاوية المصفي لقولهمـــا أني كفرت بما قالا وما فعـــــلا (1)

(1) الديوان : 190 . اعتمدت هنا على خلاف الديوان رواية ابن الفرضـــي (تاريخ علماء الاندلس ج 2 ص. 126 ـ 127) وهي أصح ، وتختلف عن رواية صاعد في مواطن عديدة ، عثرت عليها مؤخرا بعد إخراج الديوان

الخلاصـــــــــــــــــة

لعل الفراغ من هذه الرحلة مع ابن عبد ربـــه ، لا تعد وصولا بالبحث الى نهايته بل ربما يكـــون ذلك إيذانا بضرورة الشروع من جديد في عملية البحث . فمعين الأديب لا ينضـــب ، فكلما وصلت الى غاية ، تأكـــد عندى وجوب الامعان فـــي البحث ، والتعمق أكـــثر للكشف عن خبايا شخصية ابن عبد ربـــه ، التي لم يمنحها الباحثون أهميـــة ، ترتقي الى الدرجة التي بلغها هـو عندما عمل على نشـر الأدب والتراث العربي في ربوع الاندلس . فالاخبار عن أسرتـــه مـــثلا أمكن التعرف عليها على سبيل الصدفة ، عرفنا ولدين من رثائه فيهما ، وافترضنا وجود ابن ثـــالث من خلال سلســـلة النسب لشخصية مذكورة عند ابن الفرضـــي . وعرفنا أخا لـــه اسمه يـــحي عرضـــا ، لما ترجم ابن الفرضي لاحد أولاد ابن عبد ربـــه ، وكذلك الشأن بالنسبة لأخيه الثاني ، عبد الرحمـــن ، عرفنا ، عن طريق ترجمـــة لابنه سعيد الطبيب الذى حفظت المصادر لـــه مشادة بينـــه وبين عمـــه ابن عبد ربـــه .

وتقاس على ذلـــك أخباره مع معاصريه ، من الامـــراء ، ورجال السياسة ، وشعراء عـــصره ، وغـــيرهم . فلم يمكن مثـــلا العثور على خبر يثبت أو ينفي مشاركة ابن عبد ربه في أى نشاط سياسي أو عسكرى في عهـــده ، رغم أنه ثبت اتصالـــه بكل أمـــراء بني مروان الذين عاصـــرهم ، وعددهم أربعة ، ابتداء من الاميـــر محمـــد ، وانتهاء بالناصـــر . الا أن علاقة بـــهؤلاء متفاوتة ، فقد كانت مـــثلا قوية بالمنذر ، لانه كان يكرم العلماء ويقربهم ، إلا أن ولايته لم تدم

طويلا . وفترت علاقته بالامير عبد الله ، وكان معروفا بالزهد في الدنيا ، والاقتصاد في الانفاق ، ودامت ولايته الى ذلك ربع قرن . ثم بلغت علاقته بالامراء ذروتها في عهد الناصر ، وكان لابن عبد ربه من العمر حينئذ أربعا وخمسين عاما . فعاش بقية أيامه في رعاية الناصر ، وقد وجد عنده ظالته ، وحصل منه على أشياء كان قد حرمه منها الامير عبد الله . وأصبح الناصر الموضوع الذى تفرغت له أشعاره ، ويعده باستثناء أبي العباس القائد ، الشخصية الاندلسية الوحيدة التي أشاد بها ابن عبد ربه في العقد ، وأثبت لنفسه أشعاره فيه .

ذلك عن محيط الاديب نفسه ، وهو أحد جوانب البحث . أما عن الجوانب الاخرى ، فأن من بينها محاولة وضع ابن عبد ربه في الصورة التي عرف بها في عهده ، وأنه لم يكن يعرف (بصاحب العقد) وقد كان مشهورا بشعره في المقام الاول . فأن مصدرا موثوقا ، قريبا من الشاعر الذى هو ابن الفرضي ، وقد أرخ لعلماء الاندلس ، يعرفه بقوله : (شاعر الاندلس وأديبها) . واستمرت هذه الصورة لغاية القرن السابع ، ثم تغيرت بعده ، ليصبح الشاعر في المصادر المتأخرة (من العلماء المخبرين) . ولعل ذلك وقع بسبب ضياع شعره ، واختفائه بعد هذه الفترة . وذكرت في البحث أدلة كثيرة تثبت ضياع جزء كبير من شعره ، وبواسطة العقد وغيره من المصادر ، أمكن إنقاذ ما تبقى ، والتعرف على الشاعر بفضله . فمن خلال قراءة فاحصة ، تبينت لنا بعض الجوانب المتعلقة بالشاعر ، واستخلصنا منها بعض المعلومات التي تعذر الحصول عليها من طرق أخرى . فلمسنا في شعره مميزات الشاعر ، لمسنا فيه اللهو ، والخمر والهجاء . كما وجدنا فيه الزهد ، والتوبة ، وذم الدنيا . وتحددت بواسطة أشعاره بعض المعالم ، أهمها الغزل عنده ،

فتبيـــن بعد تحليل مجموعة كبيرة من شعره ، أ ن ابن عبد ربه كان شاعر الغزل بالدرجة الاولــــى ، وكانت له نظرته الخاصة . فالحب الذى كشف عنه شعره كـان من طرف واحــد ، بالاضافة الى كونه عبارة عن معاناة ، فلم ينل ، وصالا وظل يجرى وراء ســـراب ، إلا أ ن ذلك لم ينل منه شيئا . وظل مؤ منــا بحبه متمسكا به ، وكأنـه قدره ، وهو الى ذلك راض عن نفســـه ، لانه أدى واجبه . وتبين أشعاره بأن الحب عند ابن عبد ربه ، وفاء ، وتضحية من جانب واحــد ، إيثارا منه لمحبوبـه على نفسه وإمعانا في الوفاء والاخلا ص ، رغم الحرمان الذى أ نهكه ، والاخفاق الذ ى صا دفه ، بعد المغامرات التي أطنب في وصفها ، والتي آ لت كلها إلى الفشـــل ، لا ن الوفاء طبع فيه ، بصرف النظر عن موقف الطرف الثاني منـــه .

وقد التزم بنمط معين ، وا تخذه سبيلا . ويتمثل ذلك في إصـــرا ره على الانتظار ومواصلة الطلب دو ن ملـــل ، لا ينال من عزمه الرفض ، ولا يـــؤ ثـر ذلك في لهجته ، وظل محافظا على أملـــه مراقبا الفاظه ومعانيه ، طمعا في لقاء يمني به نفسه ، رغم مالاقاه من عناء وضيق . فجاء شعره حافلا بصور كثيـــر ة ، عكست لوعته وصبابته ، كما عكست إخلا صه ، وأعطت صورة عن العاطفة التي تبين ارتبا ط الشاعر الوثيق بمن أحـــب ، لانه ظل يفكر ويحن ، ويتحسر ، وكـأ نه كان حريصا في كل الظروف على الظهور بمظهر المحافظ على العهد ، الوفي للوعد . وظهر الشاعر بسبب ذلك صادقا مع نفسه ، لم يحاول إخفاء المرا رة التي كان يشعر بهـا ، واستطا ع أ ن يترجم عن الأسى الذى كان بداخله ، فتكونت عندنا بسبب ذلك فكـــرة وا ضحة عن الحالة النفسيـــة في تجربة الشاعر العاطفية من خلال إنتاجه الشعرى .

أما عن أغراضه الاخـــرى ، فيتصدرها شعر الحروب الذى اتخذه سبيلا للمدح ، فرجحت بسبب ذلك معاني الحرب ، والمصـــطلحات ، والمفردات المعبرة عن جو المعركة

وما يسبقها من تحضيرات ، أو ما يجري فيها من أحداث . وبرز فيها بوضوح اهتمام الشاعر بكل الأحداث ، فعكس شعره الحروب بكل تفاصيلها ، بخيلها ، وجيشها ، ورجالها ، وعدتها ، وكسرها وفرها . وركز على أثر تلك الحروب في العدو ، وبين نتائجها ، وابتهج بالنصر فيها . وبرزت في شعر المديح صفات الممدوح ، كالشجاعة ، والكرم ، وحسن التدبير ، ولم يغفل ذكر الاوضاع السياسية السائدة ، وموقف الممدوح منها ، وخاصة في الاشعار التي قالها في الناصر ، وفي مقدمتها أرجوزته التاريخية التي خصصها لحروبه . وهي سجل تاريخي لمعارك الناصر ، عدد فيها أعماله الحربية ، وأعمال قواده وأتباعه . وتحمل الارجوزة بين طياتها إعجاب ابن عبد ربه بالناصر ، ووفائه له ، بتخليد نشاطه الحربي في فترة تجاوزت العشرين عاما . لذلك كانت أشعاره في الناصر ، تختلف روحا عن أشعاره في الامير عبد الله ، فبينما اكتفت بوصف الاحداث وتصويرها بالنسبة لهذا الاخير ، فان أشعاره في الناصر اهتمت بالاحداث وبالامير في الوقت ذاته . فالناصر حاضر في كل أشعاره ، حضور الاحداث التي كان صانعها . لان الدافع الى النظم في الحالتين مختلف ، فالتعلق بالناصر ، والاعجاب بأعماله جعلت شخصيته متواجدة وبارزة من خلال الاعمال الحربية التي وصفها الشاعر . واختلفت مدائحه أيضا في الاميرين ، فبينما كانت في الامير عبد الله تصف رجلا متدينا عرف بالتقوى والصلاح ، وتحكم الديني في تصرفاته ، فانها في الناصر تشيد بمناقبه وانجازاته في الميدان ، وخاصة كثرة الوصف بالكرم والجود والشجاعة ، وهي صفات عرف الناصر بها .

هذا عن جانب المضمون ، أما الجانب الشكلي فان ابن عبد ربه نفسه حكم على شعره بسهولة اللغة ، والابداع في المعنى ، ورقة الطبع . ولغة الغزل عند ابن

عبد ربــه قوية في لين ، ومتينة إلا أنها سهلة ، وقريبة إلا أنهــــا ممتنعة .
ولا شك أن ابن عبد ربه استفاد كثيـــرا من اطلاعه الواسع على التراث العربـــي الذى روى جانبا عظيما منه ، شعرا ، ونثـــرا ، وحكما ، وأمثالا ، وخطبـــا ، وأخبارا . وقد التزم بطريقة اتبعـهـا في كتابه العقد وهي ، مقارنة أشعاره بالجيد من أشعار غيـــره ، والاستشهاد بها في مواطن متفرقة منه . وبذلك حفظ جانبا مهم مـــن إنتاجه ، إلا أنـــه اقتصر على شعره ، فلم يشفعه بإنتاج من سبقه أو عاصره فـــي الاندلس . وبـــدأت بوادر الصنعة تظهر في أسلوب ابن عبد ربـــه ، إلا أنـــها لا تنقص في شيء من القيمة الفنية لشعره ، وقد ابتعد عن التكلف ، ولم يبالغ فـــي الزخرفة والتأنـــق . فجاء شعره وسطا بين الأسلـــوب التقريرى المباشر ، وقد كان ســـائدا قبل ابن عبد ربـــه ، والاسلوب المعتمـــد على الصناعـــة ، والاكثار من المحسنات اللفظيـــة التي شاعت من بعده . ولا نبالغ إذا قلنا أن ابن عبد ربه كان علمـــا بارزا في المسيرة الأدبيـــة فـــي الأندلس ، ويأتي على رأس المدرسة التي تبنت الاتجاه المتجـــدد . وتبين لنـــا خلال البحث براعة ابن عبد ربه وقدرته الفائقـــة على التوفيق بيـــن اللفظ والفكرة التي يريد التعبير عنهـــا .

وهكذا تتضح أمامنا شخصية ابن عبد ربه الشاعرة في مظهرها الحقيقي ، وتتأكـد ضرورة الاعتماد على إنتاج الأديب ، ولا تـــزال المصادر القديمة المجهولة في المكتبات ، تحفظ في بطونها دون شك أسرارا علها تكشف يوما عن أشياء جديدة ، إذا كتب لها يـوما رؤية النـــور ، بفضل المخلصين العاملين على إخراج التراث وتحقيقـــه .

الملحق

ديوان ابن عبد ربه

((١))

وقـــال في هـذا المعنى (١) (٢) :

((طويل))

(١) أبـا صـالح أين الكرام بـأسرهم ... أفِدْني كريماً فالكريمُ رضاءُ

(٢) أحقّاً يقول الناسُ في جودِ حاتمٍ ... وابنِ سنانٍ (٣) كانَ فيه سخاءُ

(٣) عَذيريَ من خَلقٍ تخلّقَ (٤) منهمُ ... عماءٌ (٥) ولؤمٌ فاضحٌ وجفاءُ

(٤) حجارةُ بخلٍ ما تجودُ وربّما ... تفجّرُ من صمّ الحجارةِ ماءُ

(٥) ولو أنّ موسى جاءَ يضربُ بالعصا ... لما انبجَستْ من ضربهِ البُخلاءُ

(٦) بقاءُ لئامِ النّاسِ موتٌ عليهمُ ... كما أنّ موتَ الأكرمينَ بقاءُ

(٧) عزيزٌ عليهم أنْ تجودَ أكفُّهم ... عليهمْ من اللّهِ العزيزِ عفاءُ (٦)

((٢))

وأهديت حوتين وكتبت معهما (٧) :

((بسيط))

(٨) أهديتُ أزرقَ مقروناً بزرقاءِ ... كالماءِ لم يُغذِها شيءٌ سوى الماءْ

(٩) ذكاتُها الأخذُ ما تنفكُّ طاهرةً ... بالبرِّ والبحرِ أمواتاً كأحياءْ (٨)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٥٠

(٢) أي في معنى فساد الاخوان

(٣) في الهامش : ((كذا في ي . ويريد بابن سنان : هرم بن سنان ، وقطع الهمزة للشعر ، والذي في سائر الاصول : (وان سنان)))

(٤) في الهامش : ((كذا في أ ي . والذي في سائر الاصول :((خلف تخلف)) .))

(٥) في الهامش : ((كذا في أ ي . والذي في سائر الاصول : ((عماء)) . وهو تصحيف .))

(٦) في اللسان : العفاء : الدروس والهلاك وذهاب الاثر .(٧) ابن عبد ربه : العقد ج٦ ص ٢٨٥ . (٨) في الهامش :((أي ان أخذها من البحر يغني عن ذكاتها والذكاة : الذبح)) .

((٣))

ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض (١) ((طويل))

(١٠) وأزهرَ (٢) كالعيّوق (٣) يسعى بزهراء (٤) لنا منهما داءٌ وبرءٌ (٥) من الداء

(١١) ألا بأبي صُدْغٌ حكى العينَ عطفُه (٦) وشاربُ مسكٍ قدْ حكى عطفةَ الرّاء

(١٢) فما السّحرُ ما يُعزى إلى أرضِ بابلٍ ولكنْ فتورُ اللّحظِ من طرْفِ حوراء

(١٣) وكفٌّ أدارتْ مُذْهبَ اللّونِ أصفرا بمذْهبةٍ في راحةِ الكفِّ صفراء

((٤))

((بسيط))

(١٤) ما أقربَ اليأسِ من رجائي وأبعدَ الصّبرَ من بُكائي (٧) (٨)

(١٥) يا مُذْكيَ النّارِ في فُؤادي (٩) أنتَ دوائي وأنتَ دائي

(١٦) مَنْ لي بمخلفةٍ في وعْدِها (١٠) تخلطُ لي اليأسَ بالرّجاء

(١٧) سألتُها حاجةً فلم تفُهْ فيها بنعمٍ ولا بلاء (١١) (١٢)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٠ . الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٣

(٢) في اللسان : الأزهر ، النير أو الأبيض

(٣) في اللسان : العيوق كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا

(٤) في اليتيمة : ((بأزهر))

(٥) في اليتيمة ((منه داء وهو برء)) مكان قوله ((منهما داء وبرء))

(٦) في اليتيمة ((فتله))

(٧) ابن عبد ربه العقد ج ٥ ص ٤٥٠ — الثعالبي : اليتيمة : ج ٢ ص ٨٦

(٨) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المقطوع الممنوع من الطي من بحر البسيط .

(٩) في اليتيمة ((جوائي)) وفي هامش العقد : ((في بعض الاصول ((في جوانحي)) .

(١٠) في اليتيمة : ((وعدها)) مكان قوله ((في وعدها)) وفي هامش العقد)(في بعض الاصول ((لموعدها))

(١١) رواية اليتيمة للعجز : ((لي بنعم ، لا ، ولا بلا .)) . (١٢) ورد في اليتيمة بيت آخر ألحقه الثعالبي خطأ بالمقطوعة بعد أن غير الروي والصحيح أن البيت الزائد هو أول بيت في المقطوعة التي تلي هذه في ذات الصفحة من العقد انظر المقطوعة (٢٠) الهامش رقم (٣)

((قلتُ استجيبي ، فلمّا لم تُجِب   فاضتْ دموعي على ردائي))

((٥))   ((خفيف))

(١٨) أنتَ دائي وفي يديكَ دوائي   ياشفائي من الجوى وبلائي (١)(٢)

(١٩) إنّ قلبي يحبّ من لا أسمّي   في عناءٍ أعظِمْ به من عناءِ

(٢٠) كيفَ لا ، كيفَ أن ألذَّ بعيشٍ   ماتَ صبْري به وماتَ عزائي

(٢١) أيّها اللائمونَ ماذا عليكُم   أن تعيشُوا وأن أموتَ بدائي

((ليس من ماتَ فاستراحَ بميْتٍ   إنّما الميْتُ ميّتُ الأحياءِ)) (٣)

((٦))

ومن قولنا في رقة الأدب (٤)   ((كامل))

(٢٢) أدبٌ كمثلِ الماءِ لو أفرغتَه   يوماً لسالَ كما يسيلُ الماءُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٠ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩١ .

(٢) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض التام ، الضرب التام الجائز فيه التشعيث))
رواية اليتيمة للبيت :
((أنت دائي وفي يديك شفائي   يا داوئي من الهوى وشفائي))

(٣) البيت في الحيوان ج ٦ ص ٥٠٧ وفي هامشه ((البيت لعدي بن الرعلاء الغساني))

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٤٢٥ .

((٧))

ومن قولنا نمدح رجلا باستسهال اللفظ وحسن الكلام (١) : ((كامل))

(١) قولٌ كأنَّ فريدَه ... سحرٌ على ذِهنِ اللَّبيبْ

(٢) لا يشمئزُّ على اللسا ... نِ ولا يشذُّ عن القلوبْ

(٣) لم يفتقرْ في شنيع اللفظا ... تِ ولا توحَّش بالغريبْ

(٤) سيفٌ تقلَّد مثلَه ... عطفَ (٢) القضيب على القضيبْ (٣)

(٥) هذا تجذُّ (٤) به الرقا ... بُ وذا تجذُّ به الخطوبْ

((٨))

ومن قولنا في هذا المعنى (٥) (٦) : ((وافر))

(٦) رجاءٌ دون أقربه السحاب ... ووعدٌ مثلَ ما لمعَ السَّرابُ (٧)

(٧) وتسويفٌ يكلُّ الصبرُ عنه ... ومطلٌ ما يقومُ له حسابُ

(٨) ودهرٌ سادت العبدانُ فيه ... وعاثت في جوانبه الذئابُ

(٩) وأيتام خلتْ من كلِّ خيرٍ ... ودُنيا قد توزَّعَها الكِلابُ

(١٠) كلابٌ لو سألتَهُم تُرابا ... لقالوا عِندنا انقطع التُّرابُ

(١١) يُعاقَبُ من أساءَ القولَ فيهم ... وإن يُحسِنْ فليس له ثوابُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد جـ ٢ ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ . (٢) في الهامش بالجزء الاول ((في ؟ ((عصب)) والمعنى يستقيم عليه أيضا)) . (٣) ورد هذا البيت والذي بعده أيضا في العقد ج ١ ص ١١١ قال ابن عبد ربه قبلهما ((ومن قولنا في رجال الحرب وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها .))

(٤) في العقد ج ١ ص ١١١ : تجزء في الصدر والعجز . (٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٤٢ . (٦) أي في معنى الشكوى من الزمان . (٧) وردت الأبيات : ٦ ، ٧ ، ٩ في العقد ج ١ ص ٢٥٢ وقال ابن عبد ربه قبلها : (وقلت فيه (إشارة إلى قوله السابق) : ومن قولنا في رجل كتب إلى بعدة في صحيفة ومطلني بها))

((٩))

((طويل))

(١٢) مُعذِّبتي رِفقاً بقلبٍ مُعذَّبٍ وإنْ كان يُرضيكِ العذابُ فعذِّبي (١) (٢)

(١٣) لَعمري لقد باعدْتِ غيرَ مُباعِدٍ كما أنَّني قرّبتُ غيرَ مُقرَّبِ

(١٤) بنفسيَ بدْرٌ أخجَلَ (٣) البدرَ نورُهُ وشمسٌ متى تطلُعْ (٤) إلى الشَّمسِ تغرُبِ

(١٥) لَوَ انَّ امرأَ القيسِ بنَ حُجْرٍ بدَتْ لهُ لَمَا قالَ : ((مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ))

((١٠))

ومن قولنا في هذا المعنى (٥) (٦) : ((بسيط))

(١٦) والحُرُّ لا يكتفي من نيلِ مكرُمةٍ حتى يَرومَ التي من دونِها العَطَبُ

(١٧) يَسعى به أَمَلٌ من دونِهِ أَجَلٌ إنْ كفَّهُ رَهَبٌ يستدعِهِ رَغَبُ

(١٨) لِذاكَ ما سَألَ موسى ربَّه ((أرِني أنظرْ إليكَ (٧))) وفي تَسْآلِهِ عَجَبُ

(١٩) يَبْغي التَّزيُّدَ فيما نالَ من كرمٍ وهو النَّجِيُّ لديْه الوحيُ والكُتُبُ

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٠ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٣

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الثاني من الطويل — مقبوض — في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجم وضروب العروض .)) (٣) في اليتيمة ((أخمد))

(٤) في الهامش : ((في بعض الاصول : (تبدو)

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٠ ، ٢١

(٦) أي في معنى التطلع إلى المزيد

(٧) ضمن البيت معنى الآية الكريمة ((قال رب أرني أنظر إليك)) سورة الاعراف الآية ١٤٣

((١١))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((وافر))

(٢٠) أَصَمَّ في الغوايةِ أم أناباً ... وشيبُ الرأسِ قد خلسَ (٣) الشبابا

(٢١) إذا نصلَ الخضابُ (٤) بكى عليهِ ... ويضحك كلما وصلَ (٥) الخضابا

(٢٢) كأنَّ حمامةً بيضاءَ ظلّت ... تقاتل في مفارقه غرابا

((١٢))

ومن قولنا في وصف الدنيا (٦) : ((طويل))

(٢٣) ألا إنَّما الدنيا نضارةُ (٧) (٨) أيكةٍ ... إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبُ

(٢٤) هي الدارُ ما الآمالُ إلا فجائعٌ ... عليها ولا اللذاتُ إلّا مصائبُ

(٢٥) فكم (٩) سخنَتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ ... وقرَّت عيونٌ دمعُها اليومَ ساكبُ

(٢٦) فلا تكتحلْ عيناك فيها بعبرةٍ ... على ذاهبٍ منها فإنّك ذاهبُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٥١ ، ٥٢

(٢) أي في الخضاب

(٣) في الهامش : ((كذا في ا ي • والذي في سائر الأصول : ((أنضى)) •

(٤) في الهامش : ((في ي : ((الشباب)) • وهو تحريف))

(٥) في الهامش : ((كذا في ا ، ي • والذي في سائر الاصول ((فصل)) • وهو تحريف))

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٧٥ — الحميدي : جذوة المقتبس ص ٩٦ — الضبي : بغية الملتمس ص ١٣٩ قبل المقطوعة : ((ومن شعره في طريقة الزهد)) — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٣٦٨ — ياقوت : معجم الادب ج ٢ ص ٦٩ وقبل الابيات : ((قال (أي الحميدي) ((ولأبي عمر أيضا أشعار كثيرة سماها (الممحصات) وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد وأرى أن من ذلك قوله))

وقد ورد هذا التعليق للحميدي في جذوة المقتبس بالنسبة للمقطوعة الرائية (رقم ٩٠) وليس لهذه

(٧) في هامش العقد ((في ا : ((عرارة)) • والعرارة : واحدة العرار وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البري •

(٨) في جذوة المقتبس : ((غضارة)) وكذلك في ((البغية)) وفي ((اليتيمة)) • (٩) في جذوة المقتبس ((كم))

((١٣))

ومن قولنا (١) : ((طويل))

(٢٧) لقد سَجعتْ في جُنح ليلٍ حمامةٌ ... فأيُّ أسًى هاجتْ على الهائمِ الصَّبِّ

(٢٨) لكَ الويلُ كم هيَّجتِ شجوًا (٢) بلا جوًى ... وشكوى بلا شَكْوى وكربًا بلا كربِ

(٢٩) وأسكبتِ دمعًا من جفونٍ مسهَّدٍ ... وما رَشرقتْ منكَ المدامعُ بالسَّكبِ

((١٤))

ومن قولنا في هذا المعنى (٣) (٤) : ((بسيط))

(٣٠) روحُ النَّدى بين أثوابِ العُلا وصِبُ (٥) ... يعْتنُّ (٦) في جسدٍ للمجدِ موْصوبِ (٧)

(٣١) ما أنتَ وحدك مكسوًّا شحوب (٨) ضَنًى ... بل كلُّنا بِكَ (٩) من ضَنًى ومشحوبِ

(٣٢) يا مَنْ عليه حجابٌ من جلالتِهِ ... وإنْ بدا لَكَ (١٠) يومًا غيرُ محجوبِ

(٣٣) ألقَى عليك يدًا للضُرِّ كاشفةً ... كشافُ ضرِّ نبيِّ اللهِ أيُّوبِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤١٦ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٣ قال ((وقوله فيه (أي في الحمام)

(٢) في هامش العقد ((في بعض الاصول : ((لم هيجت شوقا)) . في اليتيمة ((شجوي))

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٤٥٤ – المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٤٤٤ ، لم يرد البيت الاول وترتيب الابيات فيه : الثالث فالثاني فالرابع

(٤) في أدب العيادة . (٥) في الهامش : ((وضعت))

(٦) في الهامش : ((يعتن : يعترض . وفي بعض الأصول ((يفتن)) .))

(٧) في اللسان : الوصوب ديمومة الشيء ، وصب وصوبا : دام

(٨) نفح الطيب : شحوب . (٩) في الهامش : ((في بعض الأصول : منك)) مكان ((بك)) .

(١٠) في الهامش : ((كذا في ا مي ، والذي في سائر الأصول : ((وهاب بذلك)) وهو تحريف .))

((١٥))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((مديد))

(٣٤) صاحبٌ (٣) في الحبِّ مكذوبُ دمعُه للشوقِ مسكوبُ (٤)

(٣٥) كلُّ ما تطوي جوانحُهُ فهو في العينينِ (٥) مكتوبُ

((١٦))

ومن قولنا في وصف الحرب (٦) : ((طويل))

(٣٦) سيوفٌ يقيلُ الموتُ تحتَ ظُباتِها (٧) لها في الكُلَى طُعمٌ وبين الكُلَى شُرْبُ

(٣٧) إذا اصطفَّت الرّاياتُ حمرًا متونُها ذوائبُها تهفو فيهفو لها القلبُ

(٣٨) ولم تنطقِ الأبطالُ إلّا بفعلِها فألسُنُها عُجمٌ وأفعالُها عُرْبُ

(٣٩) إذا ما التقَوْا في مأزقٍ وتعانقوا فلقياهُمُ طعنٌ وتقبيلُهُمْ (٨) ضَرْبُ

((١٧))

ومن قولنا في هذا المعنى (٩) (١٠) : ((بسيط))

(٤٠) ما بالُ بابِكَ محروسًا ببوّابِ يحجبه عن طارقٍ يأتي ومنتابِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣

(٢) في الاستدلال باللحظ على الضمير

(٣) في الهامش : ((في بعض الاصول : ((صادق))

(٤) في الهامش : ((في ي . مصبوب)) . (٥) في الهامش : ((في ا ي : ((عينيه)) .

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١٠ ، ١١١ . (٧) في اللسان الظبة : حد السيف والسنان والنصل .

(٨) في الهامش : ((كذا في ا . والذي في سائر الاصول : ((وتعنيقهم)) والمعنى يستقيم عليه أيضا .)) . (٩) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٧٨ .

(١٠) الابيات في معرض الحديث عن الحجاب .

(٤١) لا يحتَجِبْ وجهُك المَقْـوتُ من أحـدٍ ... فالمَقتُ يَحجبُه عن غير حُجّابِ

(٤٢) فـاعـزِلْ من البابِ مَن قـد ظلّ يَحجبُه (١) ... فإنّ وجهَك طِلَّسْمٌ (٢) على البـابِ

((١٨))

((طـويـل))

(٤٣) أيقتُلُني دائي وأنتَ طبيبي ... قريبٌ، وهل من لا يُرى بقريبِ؟ (٣) (٤)

(٤٤) لـعمْرُ خُنتَ عهْدي إنّني غيرُ خائنٍ ... وأيُّ محبٍّ خان عهْدَ حبيبِ؟

(٤٥) وساحبةٍ فضلَ الذُّيولِ كأنّهـا ... قضيبٌ من الريحان فوق كثيبِ (٥)

(٤٦) إذا مـا بدَتْ (٦) من خِدْرِها (٧) قال صاحبي: ... أطِعْني وخُذْ من وصْلِها (٨) بنصيبِ

((فمـا كلُّ ذي لبٍّ بمؤتيك نصحَهُ ... ومـا كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلبيبِ))

((١٩))

((مـديـد))

(٤٧) عـاتبٌ ظَلتُ له (٩) عـاتِبـا ... ربَّ مطلوبٍ غدا طـالِبـا (١٠) (١١)

(٤٨) مـن هربتُ عن حبِّ معشـوقِهِ ... لستُ من حبّي له تـائبـا

....

(١) في الهامش: ((في ا : ((يحرسه)) . (٢) الطلسم: خطوط وأعداد يزعم كاتبهـا أنه يستطيع بها جلب محبوب أو دفع أذى وهو ضرب من السحر

(٣) ابن عبد ربه: العقد ج ٥ ص ٤٤٣، ٤٤٤ ـ الثعالبي: اليتيمة ج ٢ ص ٨٣، ٨٤ .

(٤) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المحذوف المعتمد من الطويل .

(٥) ورد أيضا هذا البيت والذي بعده في المصدر نفسه ج ٢ ص ٧، نفح الطيب ج ٧ ص ٥٢، مطمح الانفس ص ٦٠ . (٦) في اليتيمة ص ٨٤ ((اذا برزت))

(٧) في النفح ((من ثغرها)) . (٨) في اليتيمة ج ٢ ص ٨٤، ((من حظها))

(٩) في اليتيمة ((يا عاتبا صرت له)) مكان قوله ((عـاتب ظلت لـه))

(١٠) ابن عبد ربه: العقد ج ٥ ص ٤٤٥ـ٤٤٦ ـ الثعالبي: اليتيمة ج ٢ ص ٨٤ .

(١١) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب المحذوف اللازم الثاني من المديد .

(٤٩) فالهوى لي قدرٌ غالبٌ   كيف أعصي القدرَ الغالبا

(٥٠) ساكن القصر (١) ومن حلَّه   أصبح القلبُ بكم (٢) ذاهبا

((إعلموا أنّي لكم حافظٌ   شاهدًا ما عشتُ أو غائبا))

((٢٠))   ((بسيط))

(٥١) كآبةُ الذلِّ في كتابي   ونخوةُ العزِّ في جوابي (٣)(٤)(٥)

(٥٢) قتلتَ نفسًا بغير نفسٍ   فكيف تنجو من العذابِ

(٥٣) خلقتَ من عنبرٍ وطيبٍ   إذ خلق الناسُ من ترابِ

(٥٤) ولّت حميّا الشبابِ منّي   فلهف نفسي على الشبابِ

((أصبحتُ والشيبُ قد علاني   يدعو حثيثًا إلى الخضابِ))

((٢١))   ((رمل))

(٥٥) شادنٌ يسحبُ أذيالَ الطربْ   يتثنّى بين (٦) لهوٍ ولعبْ (٧)(٨)

(٥٦) بجبينٍ صيغ من فضّةٍ   فوق خدٍّ مشربٍ لونَ الذهبْ

(٥٧) كتب الدمعُ بخدّي عهدهُ   للهوى ، والشوقُ يُملي ما كتبْ

(٥٨) ما (٩) لجهلي ما أراه ذاهبا   وسوادُ الرأسِ منّي قد ذهبْ

....

(١) في اليتيمة ((القلب)) (٢) في اليتيمة ((به))

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٠ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧ إلا البيت الاول ألحقه خطأ بآخر مقطوعة وردت سابقا : انظر المقطوعة (٤) هامش (١٢)

(٤) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للعروض المقطوع الممنوع من الطي ضربه مثله من بحر البسيط . (٥) في اليتيمة ((الجواء)) (٦) في اليتيمة ((ينثني ما بين)) مكان قوله ((يتثنى بين)) . (٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٢ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٠ . (٨) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب المحذوف . (٩) في اليتيمة ((يا))

((قالتِ الخنساءُ لمّا جئتُها   شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهبْ))

((٢٢))

((كامل))

(٥٩) أمّا الخليطُ (١) فشقّ ما ذهبوا   بانوا ولم يقضوا الذي يجبُ (٢) (٣)

(٦٠) فالدارُ بعدهمُ كوشمٍ يدٍ   يا دارُ فيكِ وفيهمُ العجبُ

(٦١) أينَ التي صفتْ بها سِنُها   من فضّةٍ شِيبتْ بها ذهبُ

(٦٢) ولّى الشبابُ فقلتُ أندبُه   لا مثلَ ما قالوا (٤) ولا ندبوا

((دِمنٌ عفتْ ومحا معالمَها   هَطِلٌ أجشُّ وبارحٌ تَرِبُ))

((٢٣))

((كامل))

(٦٣) عيني كيف غررتما قلبي   وأبحتماهُ لوعةَ الحبِّ (٥) (٦)

(٦٤) يا نظرةً أذكتْ على كبدي   نارًا قضيتُ بحرّها نحبي

(٦٥) خلّوا جوى قلبي أكابدُهُ   حسبي بما بَدّدَ الجوى حسبي

(٦٦) عيني جنتْ من شؤمِ نظرتها   ما لا دواءَ له على قلبي

((جنّابك من مجتني طمعك وقد   تُصدي الصحاحَ مباركُ الجُربِ))

....

(١) في اللسان، الخليط : القوم الذين أمرهم واحد، والجمع خلطاء وخلط .

(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٤، ٤٥٥ .

(٣) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للعروض الاحذ الثالث ضربه مثله من بحر الكامل

(٤) في الهامش ((في ا ن : ((وما))

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٥

(٦) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للضرب الاحذ المضمر من بحر الكامل

((٢٤))

((هزج))

(٦٧) أيَا من لامَ في الحبِّ ولم يعلَمْ جوى قلبي (١) (٢)

(٦٨) مَلامُ الصَّبِّ يُغْريهِ ولا أُغْوى (٣) من القلبِ

(٦٩) فأنّى لمتَ في هندٍ مُحبًّا صادقَ الحبِّ

(٧٠) وهندٌ ما لَها (٤) شبهٌ بشرقٍ لا ولا غربِ
((إلى هندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلُها يُصبي))

((٢٥)) ((رجز))

(٧١) يا أيّها المشغوف بالحب التَّعِبْ كمْ أنتَ في تقريب ما لا يقترِبْ (٥) (٦)

(٧٢) دَعْ وُدَّ مَنْ لا يرعوي إذا غضبْ وَمن إذا عاتبتَه يومًا عتَبْ
((إنّكَ لا تجْني من الشَّوكِ العنبْ)) (٧)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨
(٢) أورد ابن عبد ربه القطعة مثالا للعروض المجزوء الممنوع من القبض ضربه مثله من بحر الهزج .
(٣) في الهامش : ((في بعض الاصول ((ولا أغرى))
(٤) في الهامش : ((في بعض الاصول ((وما يلفى لها))
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٠ .
(٦) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للعروض المشطور والضرب المشطور من بحر الرجز .
(٧) في مجمع الامثال ج ١ ص ٥٢ : ((المثل من قول أكثم)) .

((٢٦))

ومن قولنا فيه (١) (٢) : ((طويل))

(١) أنا حتْ حمامات اللوى (٣) أم تغنّت ... فأبدت دواعي قلبه ما أجنّت

(٢) فديتُ التي كانت ولا شيء غيرها ... مُنى النفس لو (٤) يُقضى لها ما تمنّت

((٢٧)) (٥) (٦)

((طويل))

(٣) محبٌّ طوى كشحًا (٧) على الزفرات ... وإنسانُ عيني خاض في غمرات (٨)

(٤) فيا من بعينيه سقامي وصحّتي ... ومن في يديه ميتتي وحياتي

(٥) بحبّك عاشرتُ الهمومَ صبابةً ... كأنّي لها تربٌ ومن لِداتي

(٦) فخدّي أرضٌ للدّموع (٩) ومُقلتي ... سماءٌ لها تنهلّ بالعبرات

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤١٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٢
(٢) في الحمام
(٣) في اللسان : اللوى : منقطع الرملة .
(٤) في اليتيمة ((أو))
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١١ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٣
(٦) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الثالث من الطويل ، المحذوف المعتمد ، في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض .))
(٧) في اللسان : طوى كشحه على أمر : استمر عليه
(٨) العجز في اليتيمة : ((وانسان عين خاض في العبرات))
(٩) في اليتيمة ((للهموم))

((٢٨))

((كـــامـل))

(٧) يـادهـر مـالي أصـفـى (١) وأنـت غـير مـُــواتِ (٢) (٣)

(٨) جـرّعـتـني غصصـاً بـهـا كـدّرت صفـو (٤) حـيـاتـي

(٩) أيـن الـذين تـسـابقـوا فـي المجـد للـغـايـات

(١٠) قـوم بـهـم روح الحـيـا ة ، تـرد فـي الأمـوات

((وإذا هـم ذكـروا الاسـا ءة ، أكـثـروا الحـسـنـات))

((٢٩))

((المتقـارب))

(١١) فـؤادي رمـيـت وعـقـلـي سـبـيـت ودمـعـي مـريـت (٥) ونومـي نفـيـت (٦) (٧)

(١٢) يـصـد اصطـبـاري إذا مـا صـددت ويـنـأى عـزائـي إذا مـا نـأيـت

(١٤) عـزمـت عليـك (٨) بمجـرى الـوشـاح ومـا تحـت ذلـك ممـا كنـيـت

(١٤) بتـفـاح خـد ورمـان صـدر ومجـنـاهـمـا . خيـر شـيء جنـيـت

(١٥) تجـدد وصـلاً عـفـا رسـمـه فمثلـك لمـا بـدا لـي بـنـيـت

((عـلى رسـم دار قـفـار وقـفـت ومـن ذكـر عـهـد الحبيـب بكـيـت))

....

(١) في اليتيمة ((بعنك)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((طيبـنك))

(٢) ابن عبد ربه العقد ج ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٨

(٣) أورد الشاعر القطوعة مثالا لـ ((الضرب المقطوع الممنوع الامن سلامة الثاني واضماره)) . وفي اليتيمة ((مواتي)) وفي هامشها : ((هذا البيت غير مستقيم من الكامل)) . وليس كذلك هنا لا نخطأ وقع هناك في روايته كما تقدمت الاشارة إلـى ذلـك .

(٤) في اليتيمة ((كدرت علي)) مكان قوله ((كدرت صفو))

(٥) في اللسان ، المري : مسح ضرع الناقة لتدر . واستعاره ابن عبد ربه لانزال الدموع .

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٥ . (٧) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب المقطور من المتقـارب . (٨) في اللسان ، عزم عليه ليفعلن : أقسم

((٣٠))

((مديد ثاني))

(١) طلَّق الشوقُ فؤادي ثلاثًا	لا ارتجاعَ لي بعد الثلاثِ (١) (٢)
(٢) وسلاني سُلوّ عِذاري	مثل التشبيبِ بالمراثي
(٣) صيَّرني لا أطيقُ اصطبارا	وأراني صابرًا (٣) لانتكاثي
(٤) يا إناثي في صفاتِ ذكورٍ	وذكوري في صفاتِ إناثِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ١١٥ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٣

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الاول من المديد ، وهو السالم ، في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥٩٠ من نفس الجزء حيث قال :((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في اليتيمة ((صابر))

((٣١))

وقال ابن عبد ربه يهنئ الامير عبد الله بفتح بلاى من قصيدة حسنة أولها(١): ((كامل))

(١) الحقّ أبلجُ واضحُ المنهاجِ — والبدرُ يُشرِقُ في الظّلامِ الدّاجي
(٢) والسّيفُ يعدلُ ميلَ كلِّ مُخالِفٍ — عميتْ بصيرتُهُ عن المنهاجِ
(٣) وإذا المَعاقلُ أُرتِجتْ أبوابُها — فالسيفُ يفتحُ قفلَ كلِّ رِتاجِ
(٤) نشرَ الخليفةُ للخلافِ عزيمةً — طوتِ البلادَ بجحفلٍ رجْراجِ
(٥) جيشٌ يلزّ(٢) كتائبًا بكتائبٍ — ويضمّ أفواجًا إلى أفواجِ
(٦) وتراه يأمُرُ(٣) بالقنابلِ والقنا — كالبحرِ عند تلاطُمِ الأمواجِ
(٧) مُقانِبُ المِهْرَيْنِ(٤) تخفقُ(٥) بالصّبا — راياتُهُ مُتَدافِعُ الأمواجِ
(٨) من كلِّ لاحقِ الأياطِلِ شُذّبٍ(٦) — رَحْبِ الصّدورِ أميلةِ الإثباجِ(٧)
(٩) وترى الحديدَ فتقشعرُّ جلودُها — خوفَ الطّعانِ غداةَ(٨) كلِّ نِماجِ
(١٠) دُهمٌ كأسدفةِ(٩) الظّلامِ ومِنضُها — صُفْرٌ(١٠) المناظرِ كاصفرارِ العاجِ

. . . .

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .
(٢) في الهامش ((في المخطوط : يلث)) وفي اللسان اللز : لزوم الشيء بالشيء .
(٣) في الهامش ((في المخطوط : يا سر)) .
(٤) في اللسان : المهر : جانب النهر ومهر الوادي : شاطئه وناحيته
(٥) في الهامش ((في المخطوط : يحفق))
(٦) في الهامش ((في المخطوط : شسدف)) وفي اللسان فرس مشذب : إذا كان طويلا ليس بكثير اللحم . ولعله بالذال .
(٧) في اللسان : الثبج : الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر وثبج الظهر معظمه وما فيه محاني الضلوع
(٨) في الاصل ((عداة))
(٩) في اللسان السدف : ظلمة الليل
(١٠) في الاصل ((أصفر)).

(١١) من كلِّ ساهٍ الأخدعَيْن (١) كأنّما　　نيطت شكائمُه بجذع الساج (٢)

(١٢) لما حفلْنَ إلى بلاء عشيّةً　　أقوتْ (٣) معاهدُها من الأعلاجِ (٤)

(١٣) فكأنما جاشَتْ (٥) خِلالَ ديارهم　　أُسْدُ العرين خلتْ بسرْبِ نعاجِ

(١٤) ونجا (٦) ابنُ حفصونَ ومن يكن الردى　　والسيفُ طالبُه فليس بناجِ (٧) (٨)

(١٥) في ليلةٍ أسْرتْ به فكأنّما　　خيلت لديهم (٩) ليلةَ المعْراجِ

(١٦) مازال يلقحَ كلَّ حربٍ حائلٍ　　فالآن أنتجَها بشرِّ نتاجِ (١٠)

(١٧) فإذا (١١) سألتَهُمُ موالِيَ مَنْ هُمُ　　قالوا : مواليَ كلِّ ليلٍ داجِ

(١٨) ركبَ الفِرارَ بِمُسْبَةٍ قد جرّبوا　　غبَّ السرى وعواقبَ الإدلاجِ

....

(١) في اللسان : الساهي هو الذي يلهس جوربي شعر ويعدو خلف الصيد نصف النهار • وفي اللسان الاخدعان : عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق •

(٢) في اللسان جزعة الوادي : مكان يستدير ويتسع ويكون فيه شجر يراح فيه المال من القسر • وفي اللسان الساج : شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضا

(٣) في اللسان : أقوات اقواء الدار : إذا أقفرت وخلت •

(٤) في اللسان العلج : الرجل من كفار العجم •

(٥) في اللسان جاش البحر : هاج

(٦) في الاصل ((ونحى))

(٧) أورد ابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ قطوعة من هذه القصيدة من البيت ١٤ إلى ١٨ ترتيبها : ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٨ - ١٧ •

(٨) رواية ابن عذارى للبيت : ((راز ابن حفصون النجاة فلم يسر　والسيف طالبه فليس بناج

(٩)) البيان المغرب : ((تقيضت))

(١٠) رواية المقتبس :((مازال يلقح كل حرب جائل　فاليوم فتحها بشد نتاج •)) وقد اعتمدت رواية البيان والمغرب •

(١١) ابن عذارى : ((واذا)) •

(١٩) وبقيّةٌ في الحصنِ أُرتِجَ دونَهم   بابُ السّلامةِ أيّما إرتاجِ

(٢٠) سُدّتْ فِجاجُ الخافقَينِ عليهمُ   فكأنّما خُلِقا بغيرِ فِجاجِ

(٢١) نكصَتْ (١) ضلالتُهمْ على أعقابِها   وانصاعَ كُفرُهُمُ على الأدراجِ (٢)

(٢٢) منْ جاءَ يسألُ عنهمُ منْ جاهلٍ   لم يَروَ سعيًا من دمِ الأوداجِ

(٢٣) فأولا دمهم فوقَ الرصيفِ وقد صفّى   بعضٌ إلى بعضٍ بغيرِ نتاجِ

(٢٤) ركبوا على بابِ الأميرِ صوافنًا (٣)   غنيتْ عن الإلجامِ والإسراجِ

(٢٥) أضحى كبيرُهمُ كأنّ جبينَه   خُضِبتْ أسرّتُه بماءِ الزّاجِ (٤)

(٢٦) لما رأى تاجَ الخلافةِ خالَه   تامَ الصليبُ لهُ هامَ التاجِ

(٢٧) هذي الفتوحاتُ التي أذكتْ لنا   في ظُلمةِ الآفاقِ نُورَ سِراجِ

وهي طويلة .

....

(١) في اللسان ((النكمة : المصيبة الفادحة)) ولم يذكر غيرها ولا يستقيم المعنى هنا ولعله نكصت .

(٢) في اللسان رجع على أدراجه : رجع في طريقه .

(٣) في اللسان الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

(٤) في اللسان الزاج ، يقال له الشب اليماني ، وهو من الأدوية وهو من أخلاط الحبر فارسي معرب .

((٣٢))

وفيهما أقول (١) (٢) : ((بسيط))

(٢٨) قد أوضح الله للإسلام منهاجا — والناس قد دخلوا في الدين أفواجا (٣)

(٢٩) وقد تزينت الدنيا لساكنها — كأنما ألبست وشيا وديباجا

(٣٠) يا ابن الخلائف إن المزن لو علمت — نداك ما كان منها الماء ثجاجا

(٣١) والحرب لو علمت بأسا تصول به — ما هيجت من حمياك الذي اهتاجا (٤)

(٣٢) مات النفاق وأعطى الكفر ذمته (٥) — وذلت الخيل إلجاما (٦) وإسراجا

(٣٣) وأصبح النصر معقودا بألوية — تطوي (٧) المراحل تهجيرا (٨) وإدلاجا

(٣٤) أدخلت في قبة الإسلام مارقة — أخرجتهم (٩) من ديار الشرك إخراجا (١٠)

(٣٥) بجحفل تشرق (١١) الأرض الفضاء به — كالبحر يقذف بالأمواج أمواجا

(٣٦) يقوده البدر يسري في كواكبه — عرمرما كسواد الليل رجراجا

(٣٧) يسرون (١٢) فيه بروق الموت لامعة — ويسمعون به للرعد إرجاجا

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ٤٩٩ ــ المراكشي : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٤ الابيات من ٢٨ إلى ٣٣ والبيت رقم ٤٣ ، قبل المقطوعة قوله : ((ومن قول ابن عبد ربه فيه)) - أي في عبد الرحمن الناصر ــ مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول ص ٣٩ ، ٤٠ ((قال : وفي هذه الغزاة يقول ابن عبد ربه (أي غزاة المنتلون))) .

(٢) في غزاة المنتلون لعبد الرحمن الناصر . (٣) أورد ابن الخطيب هذا البيت والذي بعده في أعمال الاعلام ص ٣٠ قبلهما هذه العبارة :((وفي ذلك يقول شاعره)) أي شاعر عبد الرحمن الناصر . (٤) في الهامش: الحميا شدة الغضب . وفي بعض الاصول . ((جبال الدين أصباجا)) . (٥) في المدونة ((رقه))

(٦) في المدونة ((لجاما)) (٧) في المدونة ((يطوي))

(٨) في اللسان : التهجير : السير في الهاجرة وهو نصف النهار . (٩) في المدونة ((أخرجتها))

(١٠) في الهامش : المارقة : الخوارج . وفي بعض الاصول :((مارقة أخرجتها)) .

(١١) في اللسان شرق الموضع بأهله : امتلأ فضاق . وضبطه في المدونة :((تشرق))

(١٢) في العقد ((تروق ... وتسمعون)) مكان قوله ((يسرون ... ويسمعون))واعتمدت رواية المدونة : والمعنى يستقيم أيضا برواية العقد ففي اللسان راق السراب يروق ريقا إذا لمع فوق الارض

(٣٨) غادرتَ في غَسْوتِيْ (١) جَيّانَ مُلحمَةً ... أبكيتَ منها بأرضِ الشركِ أعْلاجا

(٣٩) في نِصفِ شَهرٍ تركتَ الأرضَ ساكِنةً ... مِن بعدِ ما كانَ فيها الجَوْرُ (٢) قد ماجا (٣)

(٤٠) لما رأوا حومةَ الشاهينَ (٤) فوقَهم ... كانوا رُهاءً (٥) حَوالَيْها ودُرّاجا (٦)

(٤١) وَجدتَ في الخبرِ المأثورِ مُنصلِتًا (٧) ... مِن الخلائفِ خرّاجًا وولّاجا

(٤٢) تَملأُ بك الأرضَ عدلًا مثلَ ما مُلِئَتْ ... جَوْرًا وتُوضِحُ للمعروفِ مِنهاجا

(٤٣) يا بدرَ ظُلمتِها يا شمسَ ضُحْيتِها ... يا ليتَ حَوْمتَها إرْعاقُهُ ماجا

(٤٤) خُلِقتَ مِن جوهرِ العِقيانِ (٨) خالصةً ... ولم تكنْ نُطفةً (٩) في الصُّلبِ أمشاجا (١٠)

(٤٥) إنَّ الخلافةَ لن ترضَى ولا رَضِيَتْ (١١) ... حتى عقدتَ لها في رأسِك التاجا

. . . .

(١) في الهامش ((المعقدة : ما حول الدار والمحلة • وجيان مدينة لها كورة واسعة بالاندلس تتصل بكورة البيرة • وفي المدونة ((غـرتي))

(٢) في المدونة ((منها الطير)) مكان قوله ((فيها الجور)) • وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((الطير)) •

(٣) هذا البيت والذي بعده وردا في المدونة منفصلين (ص ٣٩) ثم تكرر الاول ضمن المقطوعة وليس فيها الثاني (ص ٤٠)

(٤) في اللسان ، الشاهين : من سباع الطير ، ليس بعربي محض • وحومة هنا من حام الطائر يحوم • (٥) في الهامش : ((رعاعا : في المخطوط)) وفي اللسان رها الشيء رهوا : سكن ، والارهاء : الاسكان • (٦) لعل معناه هاجا • في اللسان درج النوم اذا انقرضوا •

(٧) في اللسان ، سيف صلت ومنصلت : منجرد ، ماض في الضريبة •

(٨) العقيان : الذهب

(٩) في المدونة ((تعلقة)) وهو تحريف •

(١٠) هذا البيت غير موجود في غير المدونة • وفي اللسان ، الامشاج : الاخلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة •

(١١) في المدونة ((وان رضيت)) •

((٣٣))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((بسيط))

(٤٦) وروضة عقدت أيدي الربيع بها نورا بنور وتزويجا بتزويج

(٤٧) بطيفح من سواريها (٣) وملقحة وناتج من غواديها (٤) ومنتوج

(٤٨) توشحت بملاة (٥) غير ملحقة (٦) من نورها ورداء غير منسوج

(٤٩) فألبست حلل الموشي زهرتها وجللتها (٧) بأنماط الديابيج

((٣٤))

((مديد))

(٥٠) صدعت قلبي صدع الزجاج ماله من حيلة أو علاج (٨) (٩)

(٥١) مزجت روحي ألحاظها بالهوى فهو (١٠) لروحي مزاج

(٥٢) يا قضيبا فوق دعص نقا (١١) وكثيبا تحت تمثال عاج

....

(١) ابن عبد ربه العقد ج ٥ ص٤٢٣

(٢) أي في الرياض .

(٣) في التهذيب : السارية : سحابة تسري ليلا وجمعها السواري .

(٤) في اللسان، الغادية : السحابة التي تنشأ غدوة .

(٥) الملاة : تخفيف ((ملاءة)) لضرورة الشعر .

(٦) في اللسان، لحمة الثوب : الاعلى ، والسدى : الاسفل .

(٧) في اللسان جلل : عم

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص٥١١ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٤

(٩) أورد ابن عبد ربه هذه القطوعة للضرب الثاني من المديد وهو المقصور اللازم الثاني ، في سياق التقديم لمثال سابق ص٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(١٠) في اليتيمة ((فالهوى مني)) مكان قوله ((بالهوى فهو))

(١١) في اليتيمة ((النقا)) وفي اللسان، الدعص : قور من الرمل مجتمع ، والنقا : الكثيب من الرمل .

(٥٣) أنتَ نوري في ظلامِ (١) الدّجَى وسراجي عند فقدِ السِّراجْ

((٣٥))

وفي مثله (٢)(٣) : ((كامل))

(٥٤) ومعذّرٍ نقش الجمال بمسكه (٤) خدّاً (٥) له بدمِ القلوبِ مضرّجا

(٥٥) لمّا تيقّن أنّ سيفَ (٦) جفونِه مِنْ نرجسٍ جعلَ النّجادَ بنفسجا

((٣٦))

((مقتضب))

(٥٦) يا مليحةَ الدّعجِ (٧) هل لديكِ مِن فرجِ ؟ (٨)(٩)

(٥٧) أمْ تراكِ (١٠) قاتلتي بالدّلالِ والغَنَجِ (١١)

(٥٨) مَنْ لحُسنِ وجهكِ مِنْ سوءِ فعلكِ السَّمِجِ ؟

(٥٩) عاذلتّي حسْبَكُما (١٢) قد غرِقتُ في لُجَجِ

....

(١) في اليتيمة ((سواد))

(٢) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص٦ — ابن خاقان : مطمح الانفس ص٦٠ قال .وله ايضا)) — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص٢٩ قال : وله في هذا المعنى (أي في العذار) وقيل أنها لابي طاهر الكاتب ، وقيل : لابي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي)) — المقري : نفح الطيب ج ٧ ص٥٢ (٣) أي في العذار

(٤) نفح الطيب ((بخطه)) وفي المطمح ((بخده))

(٥) في المطمح ((حسنا)) . (٦) في وفيات الاعيان ((عضب))

(٧) في اللسان ، الدعج : شدة سواد سواد العين ، وشدة بياض بياضها ، وقيل : شدة سوادها مع سعتها .

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص٤٧٣ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص٩٢ .

(٩) أورد الشاعر القطعة مثالا للمقتضب

(١٠) في اليتيمة ((ام اراك))

(١١) في اللسان ، الغنج في الجارية : تكسر وتدلل ، وقيل : ملاحة العينين

(١٢) في اليتيمة ((ويحكما))

((هــل علــيَّ ويحكمــا إن لهَــوتُ مــن حـــرَجِ)) (١)

((٣٧))

وقد ذكر أحمد بن محمد بن عبد ربه ذلك في شعره ، أو قاربه حيث يقول (٢) (٣)

((بسيــط))

(٦٠) فـي غـزوةٍ مائتـا حِصْنٍ ظفرتَ بهـا فـي كُـلِّ حصنٍ غُـزاةٌ للعنَـاجيجِ (٤)

(٦١) مـا كـادَ منـكَ سليمانٌ ليُـدركَـهُ والمـقتَـني سـدَّ يأجـوجٍ ومـأجُـوجِ

....

(١) البيت في الاغاني بنصه ج ١٢ ص ٦٧ لم ينسبه إلى قائل ٠
(٢) مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول ص ٣٨ ٠
(٣) أي ذكر عدد الحصون التي فتحها عبد الرحمن الناصر ٠
(٤) فـي اللسان ، المنجوج : الرائع من الخيل ، وقيل : الجواد والجمع عناجيج ٠

((٣٨))

ففي شأن استجة يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه قصيدة له حسنة أولها (١) : ((طويل))

(١) هو الفتح منظومًا على إثره الفتح ... وما فيهما عقدٌ ولا فيهما صلحُ
(٢) سوى أنَّ صفحًا كان من بعد قدرةٍ ... وأحسنُ مقرونٍ إلى قدرةٍ صفحُ
(٣) سل السيفَ والرمحَ الرُّدَيني (٢) عنهما ... تتسمع ما ينبي به السيفُ والرُّمحُ
(٤) لقد شقَّعت (٣) يومَ العُروبةِ عندها ... فعيدٌ لنا فيه السلامةُ والنُّجحُ
(٥) ذبائحُ راعتْ يومَ عيدٍ لحومُها ... وما ازدانَ عيدٌ لا يكونُ به ذبْحُ
(٦) قربناهم (٤) سِجلا من الحربِ مرَّةً ... وعشرًا ركيكًا ليس في طعمه مِلْحُ
(٧) ومقربةٍ يشقرُّ في النقعِ كُمْتُها ... ويخضرُّ حينًا كلَّما بلَّها الرشْحُ (٥)
(٨) تُراهنّ في نضحِ (٦) الدماء كأنَّما ... كساها عقيقًا أحمرًا ذلك النضْحُ
(٩) تطير بلا ريشٍ إلى كل صيحةٍ ... وتسبحُ (٧) في البرِّ الذي ما به سبْحُ

....

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٣ ص ٩٧، ٩٨، ٩٩ قبلها : ((فنصر الله الامير عبد الله نصرا عظيما ... ثم انتقل بعسكره إلى مدينة استيجة جاعة المارد عمر بن حفصون ...

(٢) في اللسان الرمح الرديني : زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهري، تسمى ردينة

(٣) في الهامش ((في المخطوط : سقعت))

(٤) في الهامش ((في المخطوط قربناهم))

(٥) أورد ابن عبد ربه في العقد : ج ١ ص ١٦١ هذا البيت والبيت رقم ((٩)) قدم لهما بقوله ((ومن قولنا في وصف الفرس)) وقد اعتمدت رواية العقد وفي هامشه : ((المقربة من الافراس : التي تدنى وتقرب وتكرم ، ويفعل ذلك بالاناث لئلا يقرعها فحل لئيم . وكتمها من الكمتة ، وهي الحمرة يخالطها سواد . رواية المقتبس للبيت رقم ٧ :

ومقربة تفتر في النقع كمتها ... ويخضر (أ) طولا كلما بلها الرشح

وفي هامشه (أ) ((في المخطوط تخضر)) . أما البيت رقم ((٩)) فالروايتان متطابقتان .

(٦) في اللسان النضح : الرش . (٧) في الهامش ((في المخطوط : تصبح))

(١٠) عليها من الأبطال كل ممارسٍ ... يرى أنّ جسد الحرب من بأسه مسرح

(١١) يحدّونه الأعداء كرعليهم(١) ... على أنّه طلق لنا وجهه سمح

(١٢) وكان ابن حفصون يعدّ جياده ... سراحين(٢) قبل اليوم فهي لنا سرح(٣)

(١٣) نجا مستكنّا تحت جنح من الدجى ... وليس يؤدّي شكر ما أنعم الجنح

(١٤) دعته منى كانت عليه منيّة ... فبترحاله منها وقل له الترح

(١٥) تسربل ثوب الليل خامص خمصة ... فكلّهم في كل جارحة جرح

(١٦) يودّون أنّ الصبح لم يهل عليهم ... ونحن نودّ الليل لو أنّه صبح

(١٧) أقادح نارٍ كان طعم وقودها ... بعينيك فانظر ما أضاء لك القدح

(١٨) محا السيف ما زخرفت أوّل وهلةٍ ... ودونك فانظر بعد ذلك ما يمحو

(١٩) فكم شاربٍ منكم صحا (٤) بعد سكرةٍ ... وما كان لولا السيف من سكره يصحو

(٢٠) كأنّ بقايا والخنازير حولها ... مقطّعة الأوصال أنيابها كلح (٥)

(٢١) ديار الذين كذّبوا رسل ربّهم ... فلاقوا عذابا كان موعده الصبح (٦)

(٢٢) فلو نطق السفح الذي قتلوا به ... إذاً لبكى (٧) من نتن قتلاه هم السفح

. . . .

(١) هكذا في الاصل ولعله ((كسر))

(٢) في اللسان السرحان : الذئب جمع سراحين

(٣) في اللسان السرح : المال السائم

(٤) في الاصل ((صحى))

(٥) في اللسان الكلوح : بدو الاسنان عند العبوس

(٦) ضمن البيت معنى الآية الكريمة ((إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)) سورة هود الآية ٨١

(٧) في الاصل ((بكا))

(٢٣) دماءٌ شفت منها الرماح غليلها — نود قضيب الماني (١) لو أنه رمح

(٢٤) ولله ما أزكى (٢) تجارة صفقة — يكون لهم خسرانها ولنا الربح

(٢٥) أقمنا عليها اللهو في يوم عيدهم — فكم لهم فصحانه قطيع الفصح

(٢٦) ألا تمست تلك الوجوه وقبحت — فما خلقا إلا لها التمس والقبح

(٢٧) فيا وقعة أنست وقيعة راهط — ويا عزمة من دونها الطعن والنطح

(٢٨) ويا ليلة أبقت لنا العز دهرنا — وذلا (٣) على الأعداء صل به الترح

(٢٩) بدولة عبد الله ذي العز والتقى — بخير (٤) في أدنى (٥) مقاماته المدح

خرج إلى المدح فأطال •

((٣٩))

((المديد المحذوف اللازم الثاني))

(٣٠) مستهام دمعه سابح — بين جنبيه هوى فادح (٦) (٧)

(٣١) كلما أم سبيل الهدى — عاقه السانح والبارح (٨)

....

(١) هكذا بالاصل ولعله ((البان))
(٢) في الهامش ((اركى في المخطوط))
(٣) في الهامش ((دلا في المخطوط))
(٤) في الهامش في المخطوط ((حسر))
(٥) في الاصل ((أدنا))
(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١١ ، ٥١٢ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٤
(٧) أورد ابن عبد ربه هذه القطعة للضرب الثالث من المديد وهو المحذوف اللازم الثاني في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) • في اليتيمة ((سافح بين جفنيه هوى قادح)) مكان قوله ((سابح بين جنبيه هوى فادح))
(٨) في اليتيمة ((الهوى قاده السافح والنازح)) مكان قوله ((الهدى عاقه السانح والبارح))

(٣٢) حلَّ فيما بين أعدائه ... وهو عن أحبابه نازحُ

(٣٣) أيُّها القادحُ نار الهوى ... أصلها يا أيُّها القادح

((٤٠))

ونظير هذا من قولنا (١) (٢) : ((طويل))

(٣٤) طلبتُ بكَ التكثيرَ فازددتُ قِلَّةً ... وقد يخسرُ الإنسانُ في طلبِ الرِّبحِ

((٤١))

ومن قولنا أيضا (٣) (٤) : ((كامل))

(٣٥) سيفٌ عليه نجادُ سيفٍ مثلِه ... في حدِّه للمقتبسين صلاحُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٢٦
(٢) أي من طلب الزيادة فانتقص
(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١١
(٤) أي ((في رجال الحرب وأن الدروع قد أخذت من أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها)) .

((٤٢)) (١) (٢)

((مـديـد))

(١) عـادِ منها كلَّ مطبـوخِ غيرِ داذيٍّ (٣) وفضيـوخِ (٤)

(٢) واعتقِدْ منْ ودِّ أهلِ الحِجـى (٥) كلَّ ودٍّ غيرِ مشـدوخِ (٦)

(٣) وانتشِقْ ريّاكَ منْ طَتقَـى شاربٍ بالمسْكِ ملطـوخِ (٧)

(٤) إنّ في العلمِ وآثـارِهِ ناسخًا منْ بعدِ منسـوخِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٢ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٤

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الرابع من المديد وهو المقطوع المحذوف في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في الهامش ((الداذي نبت وقيل هو شيء له عنقود مستطيل ، وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرن فتعمق رائحته ويجود إسكاره . وفي هامش اليتيمة ((الداذى شراب الفستاق))

(٤) في اللسان الفضخ : كسر كل شيء أجوف . وفي هامش اليتيمة ((الفضوخ : عصير العنب

(٥) الصدر في اليتيمة : فاعتقد من ود أهل الحجى . (٦) في اللسان الشدخ : كسر كل شيء رطب . (٧) تتوارد مع كلمة لطخ معاني : القذارة ، الدنس ، التلوث ، ولا يستقيم ربط ((المسك)) بهذه المعاني إلا على سبيل الاستعارة .

((٤٣))

ومن قوله أيضا من قصيد طويل (١) (٢) : ((وافـــــر))

(١) كتابُ الشوقِ يَطويهِ الفؤادُ ومِنْ فيضِ الدموعِ لهُ مِدادُ (٣)

(٢) تخُطُّ يدُ البكاءِ بهِ سطورًا على كبدي وتُطويها السُّهادُ

(٣) وكيفَ وبي فؤادٌ مستطيرٌ لمنْ لا يستطيرُ له فؤادُ

(٤) أمِن يمنٍ يكونُ الجودُ خلوًا وإبراهيمُ حاتِمُها الجوادُ

(٥) زيارتُه لمنْ يأتيهِ حجٌّ وسِدْحتُه رباطٌ أو جِهادُ

(٦) ومالي في التخلُّفِ عنه عذرٌ ولي في الأرضِ راحلةٌ وزادُ

((٤٤))

ومن قولي فيه أيضا (٤) (٥) : ((منســــرح))

(٧) واكبدا قد تقطَّعت كبدي وحرّقتها (٦) لواعِجُ (٧) الكمَدِ

(٨) ما ماتَ حيٌّ لميِّتٍ أسفا أعذَرُ من والدٍ على ولدِ

(٩) يا رحمةَ اللهِ جاوري جدثًا دفنتُ فيهِ حُشاشتي بيدي

(١٠) ونوِّري ظُلمةَ القبورِ على مَنْ لمْ يصِلْ ظُلمُهُ إلى أحدِ

....

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٧

(٢) في إبراهيم بن حجاج

(٣) ورد هذا البيت أيضا في أعمال الاعلام لابن الخطيب ص ٣٠ قال ((وفيه يقول ابن عبد ربه قصيدته التي أولها : كتاب الشوق يطويه الفؤاد ومن فيض الدموع له مداد)) أي في ابراهيم كبير بيت بني حجاج في إشبيلية

(٤) ابن عبد ربه العقد ج ٣ ص ٢٥١ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٨ الابيات من ٧ إلى ١٠ ثم ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . (٥) أي في ولده .

(٦) في اليتيمة ((وأحرقتها)) (٧) في اللسان اللمج : المحرقة ، ومفرد اللواعج : اللاعج

(١١) من كان خِلوًا من كلّ بائقةٍ (١) وطيّبَ الروحِ طاهرَ الجسدِ

(١٢) يا موتُ ، يحيى لقد ذهبتَ به ليس بزُمَّيْلةٍ (٢) ولا نَكِدِ (٣)

(١٣) يا موتَهُ لو أقلتَ عثرتَهُ يا يومَهُ لو تركتَهُ لِغَدِ

(١٤) يا موتُ لو لم تكن تُعاجِلُهُ لكانَ لا شكَّ بيضةَ البلدِ (٤)

(١٥) أو كنتَ راخيتَ في العنانِ لهُ حازَ العُلا واحتوى على الأمدِ (٥)

(١٦) أيَّ حسامٍ سلبتَ (٦) رونقَهُ وأيَّ روحٍ سللتَ من جسدِ (٧)

(١٧) وأيَّ ساقٍ قطعتَ من قدمٍ وأيَّ كفٍّ أزلتَ من عضدِ

(١٨) يا قمرًا أجحفَ الخسوفُ بهِ قبلَ بلوغٍ (٨) السَّواءِ في العددِ (٩)

(١٩) أيَّ حشًا لم تذُبْ (١٠) لهُ أسفًا ؟ وأيَّ عينٍ عليهِ لم تجُدِ ؟

(٢٠) لا صبرَ لي بعدَهُ ولا جلَدٌ فُجِعتُ بالصبرِ فيه والجلدِ

(٢١) لو لم أمُتْ عند موتِهِ كمدًا لَحُقَّ لي أن أموتَ من كمدِي

(٢٢) يا لوعةً ما يزالُ لاعجُها يقدحُ نارَ الأسى على كبدِي

....

(١) في اللسان البوائق : الشر والظلم .
(٢) في الهامش ((الزميل : الجبان الضعيف))
(٣) في اللسان النكد : الشؤم واللوم وصاحبه النكد .
(٤) في الهامش ((بيضة البلد : السيد))
(٥) في الهامش ((الامد : الغاية))
(٦) في اليتيمة ((أخذت))
(٧) في اليتيمة ((نزعت من جسدي))
(٨) في اليتيمة ((طلوع))
(٩) في الهامش ((السواء : يريد ليلة أربع عشرة ، أي أنه لم يكتمل)) وكذلك في هامش اليتيمة .
(١٠) في اليتيمة ((يذب))

((٤٥))

وقلت فيه أيضا (١) (٢) : ((كامل)).

(٢٣) قصد المنون لسه فمات فقيدا ‏ ‏ ومضى على صرف الخطوب (٣) حميدا

(٢٤) بأبي وأمي مالكا أفردته ‏ ‏ قد كان في كل العلوم فريدا

(٢٥) سود المقابر أصبحت بيضا به ‏ ‏ وغدت له بيض الضمائر سودا

(٢٦) لم نرزه لما رزئنا وحده ‏ ‏ وإن استقل به المنون وحيدا

(٢٧) لكن رزئنا القاسم بن محمد (٤) ‏ ‏ في فضله والأسود بن يزيدا (٥)

(٢٨) وابن المبارك (٦) في الرقائق مخبرا (٧) ‏ ‏ وابن المسيب (٨) في الحديث سديدا

(٢٩) والأخفشين (٩) فصاحة وبلاغة ‏ ‏ والأعشيين (١٠) رواية ونشيدا

(٣٠) كان الوصي إذا أردت وصية ‏ ‏ والمستفاد إذا طلبت مفيدا

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٢) في ولده

(٣) في اللسان ((صرف الدهر : حدثانه ونوائبه))

(٤) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق توفي سنة ١٠٧ هـ وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة .

(٥) هو الاسود بن يزيد بن قيس توفي سنة ٧٥ هـ تابعي من الحفاظ كان عالم الكوفة في عصره

(٦) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي توفي سنة ٨١ هـ صاحب تصانيف ورحلات جمع الحديث والفقه والعربية كان من سكان خراسان

(٧) في الهامش ((في بعض الأصول ((معمرا))

(٨) هو سعيد بن المسيب توفي سنة ٩٤ هـ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والورع

(٩) أحدهما المعروف بالاخفش الاوسط وهو سعيد بن مسعدة توفي سنة ٢١٥ هـ نحوي عالم باللغة والأدب زاد في العروض بحرا فصارت ستة عشر والثاني المعروف بالاخفش الدمشقي هارون بن موسى توفي سنة ٢٩٢ كان عالما بالتفسير والنحو والمعاني .

(١٠) أحدهما أعشى همدان عبد الرحمن بن عبد الله شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم في عصره توفي سنة ٨٣ هـ وثانيهما أعشى تغلب ربيعة بن يحيى من بني تغلب شاعر اشتهر في العصر الاموي توفي سنة ٩٢ هـ

(٣١) ولّى حفيظًا في الأذمّةِ (١) حافظًا — ومضى ودُودًا في الورى مودودا

(٣٢) ماكانَ مِثْلي في الرَّزِيَّةِ والبدا — ظفرتْ يداهُ بِمثْلِهِ مولودا

(٣٣) حتّى إذا بَذَّ السوابقَ في العُلا — والعِلْم منْ مَنْ مثلهُ محسودا

(٣٤) يا مَنْ يُفنِّدُ في البكاءِ مولّهًا — ما كانَ يسمعُ في البكا تفنيدا

(٣٥) تأبَى القلوبُ المستكينة للأسى — مِنْ أنْ تكونَ حجارةً وحديدا

(٣٦) إنّ الذي بادَ السرورُ بموتِهِ — ماكانَ حزني بعدَه ليبيدا

(٣٧) الآنَ لمّا أنْ حويتَ مآثرًا — أعيتْ عدوًّا في الورى وحسودا

(٣٨) ورأيتُ فيكَ منَ الصلاحِ شمائلاً — ومنَ السماحِ دلائلاً وشهودا

(٣٩) أبكي عليكَ إذا الحمامةُ طرّبتْ — وجهَ الصباحِ وغرّدتْ تغريدا

(٤٠) لولا الحياءُ وأنْ أُزَنَّ (٢) ببدعةٍ — ممّا يعدّهُ الورى تعديدا

(٤١) لجعلتُ يومَكَ في المنائحِ مأتمًا — وجعلتُ يومَكَ في الموالدِ عيدا

((٤٦))

فمن قولي في ولدي (٣) : — ((كامل))

(٤٢) بلِيَتْ عظامُكَ والأسى يتجدّدُ — والصبرُ ينفدُ والبكا لا ينفدُ

(٤٣) يا غائبًا لا يُرْتجَى إيابُهُ — ولقائِهِ دُونَ (٤) القيامةِ موعدُ

....

(١) في الهامش ((الأذمة جمع ذمام ، وهو الحق والحرمة))

(٢) في اللسان يقال زنه بكذا وأزنه : إذا اتهمه وظنه فيه .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٧

(٤) في اليتيمة ((حتى)) مكان ((دون))

(٤٤) ما كانَ أَحسَنَ لحدًا ضَمَّنتَه ... لو كانَ ضَمّ أباكَ ذاكَ اللحدُ

(٤٥) بالياسِ أَسلو عنكَ لا بتجلدي ... هيهاتَ أينَ من الحزينِ تجلدُ

((٤٧))

ثم ولي الملك ... عبد الرحمن بن محمد ... فقلت فيه (١) : ((المجتث))

(٤٦) بدا الهلالُ جديدا ... والملكُ غضٌّ جديدُ

(٤٧) يا نعمةَ اللهِ زيدي ... ما كانَ فيهِ (٢) مزيدُ (٣)

(٤٨) إنْ كانَ للصومِ فطرٌ ... فأنتَ للدهرِ عيدُ (٤)

(٤٩) ... (٥) صرفٌ بدرٍ ... تناولته السعودُ

(٥٠) إمامُ عدلٍ عليهِ ... تاجانِ : بأسٌ وجودُ

(٥١) يومُ الخميسِ تبدّى ... لنا الهلالُ السعيدُ

(٥٢) فكلُّ يومِ خميسٍ ... يكونُ للناسِ عيدُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ٤٩٨ ، البيتان الاول والثاني - المدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول ما عدا البيت الثالث - المقري نفح الطيب ج ١ ص ٣٥٤ . الابيات الثلاثة الاولى - ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ١٧٧ ، البيتان : الاول والثاني وكذلك في البيان المغرب لابن عذاري ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) في المدونة لمجهول ((فيك))

(٣) رواية المجز في ((المغرب)) و ((نفح الطيب)) : ((إن كان فيه مزيد))
أما رواية البيان المغرب : ((فما عليك مزيد))

(٤) هذا البيت في نفح الطيب ولم يرد في غيره من المصادر .

(٥) فراغ في المدونة

((٤٨))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((بسيط))

(٥٣) دعني أصن حر وجهي عن إذالته (٣) وإن تفرقت عن أهلي وعن ولدي

(٥٤) قالوا : نأيت عن الإخوان ، قلت لهم : مالي أخ صيرُ ما تطوى (٤) عليه يدي

((٤٩))

((مديد))

(٥٥) يا عجيل (٥) الروح في جسدي والذي يفتر عن بَرَدِ (٦) (٧)

(٥٦) وفريدُ الحسن واحدهُ فمداهُ منتهى العددِ

(٥٧) خذ بكفي إنني غرقٌ في بحار جمة المددِ

(٥٨) ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الوصلُ (٨) من أَوَدِي

((٥٠))

ومن قولنا فيه (٩) (١٠) ((وافر))

(٥٩) سواءٌ (١١) المرء تنفده الليالي وإن كانت تصير إلى نفاد

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٣١ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩ وجاء البيت الثاني هو الاول في الترتيب . (٢) في فضل المال .

(٣) في الهامش ((في بعض الاصول : ((رذالته)) . وهو تحريف)) (٤) في اليتيمة ((يحوي))

(٥) في اليتيمة ((يا جمال)) (٦) العقد ج ٥ ص ٥١٢ ـ اليتيمة ج ٢ ص ٩٤

(٧) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الخامس من المديد وهو المحذوف والمخبون في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٨) في اليتيمة ((الصبر)) والاود في اللسان : العوج .

(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٤ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٧ .

(١٠) أي في الشيب

(١١) في اليتيمة ((شباب))

(٦٠) فأسودُهُ يصيرُ (١) إلى بياضٍ وأبيضُهُ يعودُ إلى سَوادِ

((٥١))

ومن قولنا أيضا في الحرب وذكر القائد (٢) (٣) : ((وافر))

(٦١) مقيلُكَ تحتَ أظلالِ العَوالي (٤) وبيتُكَ فوق صهْواتِ (٥) الجياد

(٦٢) تبخترُ في قميصٍ من دِلاصٍ (٦) وترفُلُ في رداءٍ من نجادِ (٧)

(٦٣) كأنّك للحروبِ رضيعُ ثَدْيٍ غَذَتْكَ بكلِّ داهيةٍ نَآدِ (٨)

(٦٤) فكم هذا التمنّي للمنايا وكم هذا التجلّد للجلادِ (٩)

(٦٥) لئن عُرِفَ الجهادُ بكلِّ عامٍ فإنّك طولَ دهرِكَ في جهادِ

(٦٦) وإنّك حين تُبْتَ بكلِّ سعدٍ كمثلِ الروحِ آبَ إلى الفؤادِ

(٦٧) رأيْنا السيفَ مُرتدِيًا بسيفٍ وعايَنّا الجوادَ على الجَوادِ

....

(١) في العقد ((يعود)) واعتمدت رواية اليتيمة .
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١١ ، ١١٢ .
(٣) في الهامش ((كذا في ا ب . وهو أبو العباس أحمد بن أبي عبدة القائد ، الذي تقدم ذكره . والذي في سائر الاصول : ((القلائد)) ، وهو تحريف))
(٤) في اللسان ، عوالي الرماح : أسنتها واحدتها عالية .
(٥) في الهامش ((في ا : ((قراء)) والمعنى يستقيم عليه أيضا ، والاقراء : الظهور ، جمع قرا)) .
(٦) في اللسان ، الدلاص من الدروع : اللينة . ودرع دلاص : براقة ملساء لينة ، وفي الهامش ((الدلاص : الدرع ، الواحد والجمع فيه سواء .
(٧) في اللسان ، النجاد : ما وقع على العاتق من حمائل السيف ، وفي الصحاح : حمائل السيف ولم يخصص ، وفي حديث أم زرع : زوجي طويل النجاد ، تريد طول قامته فإنها إذا طالت طال نجاده ، وهو من أحسن الكنايات .
(٨) في الهامش ((كذا في ب . والنآد : الداهية . وقد وردت هذه الكلمة مضطربة في سائر الاصول .
(٩) في اللسان جالدناهم بالسيوف مجالدة وجلادا : ضاربناهم .

((٥٢))

ومن قولنا في ذكر الموت (١) : ((بسيط))

(٦٨) من لي إذا جُدْتُ (٢) بين الأهل والولد وكان مني نحو الموت قيد (٣) يد

(٦٩) والدمع يهطل والأنفاس صاعدة فالدمع في صبب والنفس في صعد

(٧٠) ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه حتى يفرق بين الروح والجسد

((٥٣))

ومن قولنا في هذا المعنى (٤) (٥) : ((بسيط))

(٧١) بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدًا (٦) والموت ويحك لم يمدد إليك يدا

(٧٢) وارقب من الله وعدًا ليس يخلفه لا بد لله من إنجاز ما وعدا

((٥٤))

وأهديت طبق ورد ومعه (٧) : ((طويل))

(٧٣) بها حين أهديها لريحانة المجد جنتها يد التخجيل من حمرة الخد

(٧٤) وورد به حيي نضرة ماجد شمائله أذكى نسيمًا من الورد

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٨٩

(٢) في الهامش ((أي جدت بروحي ونفسي))

(٣) في الهامش ((في بعض الاصول : ((قيس)))) .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٨٤ ـ المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٢١

(٥) في الصادرة بالعمل الصالح

(٦) في الهامش ((في بعض الاصول : ((متسدئا)))) .

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ٢٨٥

(٧٥) ووشْيُ ربيعٍ مُشرقِ اللّونِ ناضرٍ ... يلوحُ عليهِ ثوبُ وشيٍ منَ الحمْدِ

(٧٦) بَعثتُ بِها زهْراءَ منْ فوقِ زهْرةٍ ... كتركيبِ معشُوقينِ خدًّا على خدِّ

((٥٥)) (١) (٢)

((طويل))

(٧٧) وحاملةٍ راحًا على راحةِ اليَدِ ... مُورّدةٍ تسْعَى (٣) بلَونٍ مُوَرّدِ

(٧٨) متَى ما تَرى الابْريقَ للكأْسِ راكعًا ... تُصلِّ لهُ منْ غيرِ طهرٍ وتَسْجُدِ

(٧٩) علَى يا سمينٍ كاللُّجيْنِ ونرجسٍ ... كأقراطِ درٍّ (٤) في قضيبِ زبرجدِ (٥) (٦)

(٨٠) بِنسلكَ وعنْدِي فمالهُ لهلَكَ كلّهُ ... وعنهَا فسَلْ، لاتسألِ الناسَ عنْ غدِ (٧)

((ستُبدي لكَ الايامُ ما كنْتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لمْ تُزوّدِ))(٨)

((٥٦))

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الاخلاق (٩) (١٠): ((منسرح))

(٨١) يامَنْ تجلَّدَ للزّمـا ... نِ أمَا زمانُك منكَ أجلَدْ

(٨٢) سلّطْ نَداكَ علَى هَوا ... كَ وعُدَّ يومَكَ ليسَ منْ غدْ

(٨٣) إنَّ الحياةَ مَزارِعٌ ... فازرعْ بِها ما شئتَ تحصُدْ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٣ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٣ – ابن سعيد رايات المبرزين ص ٤٧ : قال ((وأنشد لنفسه في كتاب العقد)).

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للطويل، العروض مقبوض.

(٣) في هامش العقد ((في بعض الاصول ((تسقي)).

(٤) في رايات المبرزين ((كأقراص تبر)). (٥) علق ابن سعيد في رايات المبرزين بقوله ((ونرجس الاندلس أصفر ليس فيه بياض والله أعلم. (٦) أورد ابن سعيد هذا البيت في ((الغصون اليانعة، ص ٦ لدى ترجمته للشاعر شميم الحلي ذكر له بيتين وقارنهما ببيت ابن عبد ربه فقال ((فهو وان لم يأت بما يظهر عليه غوص الفكر فانه ما قصر في سبك اللفظ وتقريب المعنى وزيادة التلفيق وأشهر ما تقدمه في تشبيه النرجس بالاقراط قول ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد)) (٧) لم يرد هذا البيت عند ابن سعيد.

(٨) البيت لطرفة من معلقته. الديوان ص ٤١.

(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٣٢، ٢٣٣. (١٠) في معنى قولهم ((الايام مزارع، فما زرعت فيها حصدته)).

(٨٤) والناسُ لا يبقى سوى ... آثارهم والعينُ تُفْقَدْ

(٨٥) أوَمَا سمعتَ بمن مضى ... ذا يُذَمُّ وذاك يُحمَدْ

(٨٦) والمالُ إنْ أصلحتَهُ ... يَصْلُحْ وإنْ أفسدْتَ يَفْسُدْ

(٨٧) والعِلْمُ ما وَعَتِ الصدو ... رُ وليس ما في الكُتْبِ يَخْلُدْ

((٥٧))

ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته (١) : ((طويل))

(٨٨) تجنَّبْ لباسَ الخزِّ إن كنتَ عاقلاً ... ولا تختَتِمْ يومًا بغير زبرجدِ

(٨٩) ولا تتطيلسْ (٢) بالغوالي تعطُّرًا ... وتسحبَ أذيالَ المُلاءِ المعضَّدِ (٣)

(٩٠) ولا تتخيَّرْ صيِّتَ (٤) النعْلِ زاهيًا ... ولا تتصدَّرْ في الفراشِ الممهَّدِ

(٩١) وكُنْ مَمَلًّا (٥) في الناس أغبرَ شاعثًا ... تروحُ وتغدُو في إزارٍ وبُرْجُدِ (٦)

(٩٢) يَرى جِلْدَ كَبْشٍ تحتَهُ كلَّما انْتَوى ... عليه ، سريرًا فوقَ صَرْحٍ ممرَّدِ (٧)

(٩٣) ولا تطمعِ العينانِ منكَ إلى امرئٍ ... له سطواتٌ باللسانِ وباليدِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٢) في الهامش ((في بعض الاصول : تتفضل)))) .

(٣) في الهامش ((المعضد من الثياب : الذي له علم في موضع العضد)) . وفي اللسان ((تعلم : رسم الثوب)) .

(٤) في الهامش ((يريد ذا الصوت لجدته . وفي بعض الاصول ((صهبا)) . وهو تصحيف .

(٥) في الهامش ((في بعض الاصول : ((نقلا))))

(٦) في الهامش ((البرجد : كساء غليظ))

(٧) في اللسان ((الصرح هو كل بناء عال مرتفع . وفي التنزيل : ((إنه صرح ممرد من قوارير)) وفي اللسان ((الممرد : بناء طويل .. وقيل الممرد المطلي))

(٩٤) تـراءَتْ لهُ الدنيا بزِبْرِجِ (١) عَيْشِها   وقادَتْ لهُ الأطماعُ مِن غيرِ مِقْوَدِ

(٩٥) فأسمنَ كشحيْهِ (٢) وأهزلَ دينَهُ   ولم يرتقِبْ في اليوم عاقبةَ الغدِ

(٩٦) فيومًا تراه تحتَ سوطٍ مجرَّدًا   ويومًا تراهُ فوقَ سرجٍ مُنضَّدِ (٣)

(٩٧) فيُرحَمُ تاراتٍ ويُحسَدُ تارةً   فهذا شرٌّ مرحومٍ وشرُّ مُحسَّدِ

((٥٨))

ومن قولنا في البكاء من خشية الله تعالى (٤) :   ((المتقارب))

(٩٨) مدامعُ قد خدَّدَتْ في الخدودِ   وأعيُنُ مكحولةٌ بالهُجودِ (٥)

(٩٩) ومعشرٌ أوعدَهُم ربُّهُم   فبادَروا خشيةَ ذاكَ الوعيدِ

(١٠٠) فهُم عكوفٌ في محاريبِهِم   يبكونَ من خوفِ عقابِ المجيدِ

(١٠١) قد كادَ (٦) يعشِبُ من دمعِهِم   ما قابلَتْ أعيُنُهم في السجودِ

....

(١) في اللسان ((الزبرج بالكسر : الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك)) .
(٢) في اللسان ((الكشحان : جانبا البطن من ظاهر وباطن)) .
(٣) في الهامش ((في بعض الاصول : مجود)) . ولا توجد مادة ((نضد)) بالمعاجم . ولعل الرواية الثانية بالهامش أنسب ففي اللسان : ((وفي الحديث تجود تها لساء أي تخيرت الاجود منها)) .
(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٩٨ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨١
(٥) في الهامش ((الهجود : السهر . وهو من الاضداد)) .
(٦) في اليتيمة ((قد كاد أن))

((٥٩))

ومن قولنا فيه (١) (٢) : ((وافـــــر))

(١٠٢) شبابي كيف صرت إلى نفاد ... وبُدِّلتَ البياض من السواد

(١٠٣) وما أبقى الحوادث منك إلا ... كما أبقت من القمر الدآدي (٣)

(١٠٤) فراقك عرّف الأحزان قلبي ... وفرّق بين جفني (٤) والرقاد

(١٠٥) فيا لنعيم عيش قد تولى ... ويا لغليل حزن مستفاد

(١٠٦) كأني منك لم أربع بربع (٥) ... ولم أرتد به أحلى مراد

(١٠٧) سقى ذاك الثرى وبل الثريا ... وفادى نبتة صوب الغوادي (٦)

(١٠٨) فكم لي من غليل فيه (٧) خاف ... وكم لي من عويل فيه باد

(١٠٩) زمان كان فيه الرشد غيًّا ... وكان الغي فيه من الرشاد (٨)

(١١٠) يقبلني بذل من قبول ... ويسعدني بوصل من سعاد

(١١١) وأجنبه فيعطيني قيادًا ... ويجنبني فأعطيه قيادي (٩)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص٤٨ ، ٤٩ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩ ، ٨٠ : الابيات ٩٨ الى ١٠٠ ثم من ١٠٢ إلى ١٠٥ مع ورود هذا الاخير قبل البيت ١٠٤ في الترتيب . (٢) في الشباب

(٣) في الهامش ((الدآدي (بالقدر وسهل للشعر) : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق ، وقيل إنها هي ، الواحدة : دأداة .

(٤) في اليتيمة ((عيني)) (٥) في الهامش ((الربع : الدار ، وربع بها ، أي تقلب فيها حيث شاء))

(٦) في الهامش ((الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة ، أو هي مطر الغداة . (٧) في اليتيمة : ((فيك))

(٨) في اليتيمة ((رشادي)) . (٩) في الهامش ((أجنبه : أقوده وهو إلى جنبي)) .

((٦٠))

وأخبرني أيضا أبو محمد (علي بن أحمد) قال : أخبرني بعض الشيوخ أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء ،وقد سمع غناء حسناء فرش بماء ولم يعرف من هو ،فمال إلى مسجد قريب من المكان ، واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب(١) :

((بسيط))

(١١٢) يا من (٢) يضن بصوت الطائر الفرد ما كنت أحسب هذا البخل (٣) في أحد

(١١٣) لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

(١١٤) فلا تضن على سمعي تقلده (٤) صوتا يجول مجال الروح في الجسد

(١١٥) لو كان زرياب (٥) حيا ثم أسمعه لذاب من حسد أو مات من كمد

(١١٦) أما النبيذ : فإني لست أشربه ولست آتيك (٦) إلا كسرتي بيدي (٧)

. . . .

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٩٥ — ابن خاقان : مطمح الانفس ، ص ٥٨ وردت المقطوعة ما عدا البيت الرابع ، قال :((أخبرني أبو محمد بن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة فسمع منه غناء أذهب لبه وألهب قلبه فبينما هو واقف تحت القصر إذ رش بماء من أعاليه فاستدعى رقعة وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة)) — الضبي : بغية الملتمس ص ١٣٨ قال((وأخبرني أبو محمد (ابن حزم) أيضا قال أخبرني بعض الشيوخ أن أبا عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الوزارة وقد سمع ..... المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب)) — ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢١٧ رواها عن الحميدي ذكر قبلها قوله بتصرف — المقري : نفح الطيب ج ٧ ص ٥٠ وردت المقطوعة ما عدا البيت الرابع قبلها :((أخبرني ابن حزم أنه مر (أي ابن عبد ربه) بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب لبه ، وألهب قلبه ، فبينما هو واقف تحت القصر إذ رش بماء من أعاليه ، فاستدعى رقعة ، وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة)) — وفي نفح الطيب أيضا ج ٣ ص ١٣١ ورد البيت الاول والثاني ، عن مناسبتهما قال((وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء ، وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت ، وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وكتبه إلى مولانا :(البيتان الاول والثاني) من أبيات ، فخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله إلى مجلسه ، وتمتع من سماعها)) . (٢) في هامش معجم الادباء :((هذا البيت تركه ياقوت فنقلناه عن الحميدي . (٣) في النفح ((الضن)) . (٤) في المطمح((ومعه)) وكذلك في النفح . (٥) في هامش معجم الادباء ((هو أحد من اشتهروا بحسن الصوت وجودة الغناء وعند الحميدي في النسخة الموجودة في مكتبة أكسفورد : زريمان .

(٦) في النفح ((ولا أجيئك)) .

(٧) رواية العجز في المطمح :((ولا أجيء إلا نسوتي بيدي)) .

((٦١))

ومن شعره السائر (١) : ((بسيط))

(١١٧) الجسمُ في بلدٍ والروح في بلدٍ   يا وحشةَ الروحِ بل يا غربةَ الجسدِ

(١١٨) إن تبكِ عيناكَ لي يا مَن كلِفتُ بهِ   من رحمةٍ فهما سهماكَ في كبدي (٢)

((٦٢))

وقوله (٣) : ((كامل))

(١١٩) يُنبيكَ أنّك لم تَجِدْ وَجْدي   ما خدّدَتِ العبَراتُ من خدّي (٤)

(١٢٠) نامَ الخليُّ عن الشجيِّ بهِ   وجفا الطُولُ ولجَّ في الصدِّ

(١٢١) كنتَ الشفاءَ فصرتَ لي سقمًا   أبدًا تتُوقُ إلى هوى مُرْدِ (٥)

((٦٣))

وقوله (٦) : ((وافر))

(١٢٢) سرَى طيفُ الحبيبِ على البعادِ   ليُصلحَ بين عيني والرقادِ

....

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص٩٥ — ابن خاقان : مطمح الانفس ص٥٩ قبل البيتين : ((ومن شعره الذي صرح به تصريح الصب، وبرح فيه وقائع اسم الحب قوله)) — الضبي : بغية الملتمس ص١٣٨ قبل البيتين : ((ومن شعره السائر)) ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢١٦ ذكر قبلهما عبارة الحميدي والضبي — المقري : نفح الطيب ج ٧ ص٥١، ذكر قبلهما عبارة المطمح بنصها .

(٢) في معجم الادباء ((سهمان في كبد . (٣) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص٧

(٤) في الهامش ((ينبيك : اصله ينبئك فسهل الهمزة بقلبها ياء لضرورة شعرية وخددت : اثرت وجعلت خدودا أي شقوقا . (٥) في الهامش : تتوق : تشغف وتميل أشد الميل، والمردي : المهلك .

(٦) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩ .

(١٢٣) فبـاتَ إلى الصباحِ بدي وسـادٌ لوجنَتـهِ كما بـدُهُ وسَـادِي

(١٢٤) بنفسـي مَنْ أعـادَ إليَّ نفسـي وردَّ إلى جوانحـهِ فُـؤادي

(١٢٥) خيالٌ زارني لمّا رآنـي عـدتْني عن زيارتـهِ عـوادي

(١٢٦) يـواصلُني على الهجرانِ منـهُ ويُـدنيني على طولِ البعـادِ

((٦٤))

((وافـــر))

(١٢٧) قلبٌ بسلوعاتِ الهوى معمـودُ (١) حتّى كأنّي حائرٌ مفقـودُ (٢)(٣)

(١٢٨) ما ذُقتُ طعمَ الموتِ في كأسِ الأسى (٤) حتّى سقتنيه الظباءُ الغيدُ (٥)

(١٢٩) مَنْ ذا يُداوي القلبَ مِن داءِ الهوى إنْ لا دواءَ للهوى (٦) موجودُ

(١٣٠) أم كيفَ أسلو غادةً طُ حبُّهـا إلا قضاءً مالـهُ مـردودُ

((القلبُ منها مستريحٌ سالمٌ والقلبُ منّي جاهدٌ مجهـودُ))

((٦٥))

((رمـــل))

(١٣١) يا قتيـلاً مـن يـدِهْ (٧) ميّتـاً مِن كمَـدِهْ (٨)(٩)

....

(١) في اللسان، العميد والمعمود : المشغوف عشقا وقيل : الذي بلغ به الحب مبلغا
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٩ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٩ .
(٣) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب المقطوع الممنوع من الطي .
(٤) في اليتيمة ((الرجاء)) . (٥) في اللسان، غيد غيدا وهو أغيد ، مالت عنقه ولانت أعطافه ، وقيل استرخت عنقه ، وظبي أغيد كذلك .(٦) في اليتيمة ((للضنى)) .
(٧) في الهامش ((في ا ن : ((بيـده))
(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ .
(٩) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن من بحر الرمل .

(١٣٢) قدحتْ للشّوقِ نـارًا — عينُه في كَبِـدِهْ

(١٣٣) صائمٌ يبكي عليه — بِمصةَ ذو حسدِهْ

(١٣٤) كلُّ يومٍ سوفيه — مستعيذٌ من غدِهْ

((قلبُه عند الثُّريا — بائنٌ عن جسدِهْ))

((٦٦))

((منسرح))

(١٣٥) عاضتْ بوصْلِ صدّا — تُريدُ قتْلي عمْدا (١) (٢)

(١٣٦) لمّا رأتْني فردًا — أبْكي وألْقى جهْدا

(١٣٧) قالتْ وأبْدتْ دُرّا — ((ويْلُمّ سعدٍ سعْدا)) (٣)

((٦٧))

((خفيف))

(١٣٨) يا غليلًا كالنّارِ في كبِدي — واغترابَ الفؤادِ عن جسَدي (٤) (٥)

(١٣٩) وجُفونًا تذْري الدموعَ أسىً — وتبيتُ الرقادَ بالسَّهدِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٩ .
(٢) أورد ابن عبد ربه هذا البيت مثالا للعروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطي بضربه مثله من بحر المنسرح .
(٣) في الهامش ((من كلام أم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته في غزوة الخندق)) .
(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .
(٥) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المحذوف الجائز فيه الخبن ضربه مثله من بحر الخفيف .

(١٤٠) ليتَ من شفَّني هواهُ رأَى   زفراتِ الهوَى علَى كبدي

(١٤١) غادةٌ نازحٌ محلّتهُا   وكَلَتْني بلوعَةِ الكمَدِ

((ربَّ خرقٍ منْ دُونهَا قذفٌ   مابهِ غيرُ الجِنِّ من أحدِ))

((٦٨))

ولاحمد بن عبد ربه في الناصر لدين الله يوم البيعة له في قرطبة ،(١) : ((بسيط))

(١٤٢) يا مَنْ عليهِ رداءُ البأسِ والجودِ   مِنْ جودِ كفّك يجْري الماءُ في العودِ

(١٤٣) لمَّا تَطلَّعْتَ في بُرْمِ الخميسِ لنَا   والناسُ حوْلكَ في عيدٍ بلاَ عيدِ

(١٤٤) وبادَرتْ نحوَكَ الأَنْصارُ(٢) واكتحلتْ   بحُسنِ يوسُفَ في محرابِ داودِ

....

(١) مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول . ص٤٠

(٢) لعله ((الابصار))

« ٦٩ » (١) (٢)

((المديد))

(١) ذكرتُ (٣) من طيزنا باذِ (٤) ... فقُرى الكرخ ببغدادِ (٥)

(٢) قهوةً ليست بها دِقَةٌ (٦) ... لا ولا بتسنيمٍ ولا داذي (٧)

(٣) مُرَّةٌ يسقي الحليمَ بها ... بأبي ذاك من ساقي

(٤) فشيءٌ أستاذُ الشرابِ بنا (٨) ... والساني دأبُ أستاذي (٩)

....

(١) ابن عبد ربه العقد ج٥ ص٥١٢ ، ٥١٣ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٥ .
(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب السادس من المديد وهو الابترفي . سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(٣) اليتيمة ((أذكرت)) . (٤) في هامش العقد ((طيزنا باذ : موضع بين الكوفة والقادسية
(٥) اليتيمة ((فبغداد)) . (٦) اليتيمة ((بها رقة)) .
(٧) في هامش العقد ((الباذق : الخمر الاحمر ، والبتسم : نبيذ يتخذ من عسل كأنه الخمر صلابة ، وهي أيضا الخمر ، يمانية)) ـ وفي هامش اليتيمة ((البتع نبيذ يتخذ من العسل ، وتسم في أ ، ب (ولا باداذى) .
(٨) في اليتيمة ((معا))
(٩) في اليتيمة ((أستاذ)) .

((٧٠))

ومن قولنا في شهمه (١) (٢) : ((بسيط))

(١) كم ألحم السيف في أبناء ملحمة ... ما منهم فوق متن (٣) الأرض ديار
(٢) وأورد النار من أرواح مارقة (٤) ... كادت تميز من غيظ لها (٥) النار
(٣) كأنما صال (٦) في ثنتي مفاضته (٧) ... مستأسد حنق الأحشاء هدار (٨)
(٤) لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت (٩) ... منها على الناس آفاق وأقطار
(٥) وأطبقت ظلم من فوقها ظلم ... لا يستضاء بها نور ولا نار
(٦) قاد الجياد إلى الأعداء سارية ... قبا (١٠) طواها كطي العصب (١١) إضمار

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١٣ ، ١١٤ ـ اليتيمة : ج ٢ ص ٧٦ المقطوعة من البيت الاول إلى البيت ١١ ما عدا البيت الثامن .
(٢) أي وصف الحرب .
(٣) في اليتيمة ((ظهر)) وفي هامش العقد ((في ا و اليتيمة ((ظهر))
(٤) في اليتيمة ((بارقة)) . وفي هامش العقد ((كذا في أكثر الاصول . والمارقة الخارجون عن الجماعة . والذي في اليتيمة : ((بارقة)) وهو تحريف ، ورواية هذا الشطر في ا : وأورد الناس من أرواح صارمة . وهو تحريف أيضا .)) .
(٥) في اليتيمة ((بها)) .
(٦) في اللسان صال عليه : إذا استطال ، وصال عليه وثب ، صولا وصولة .
(٧) في الهامش ((المفاضة : الدرع الواسعة)) .
(٨) في اليتيمة ((هرار)) .
(٩) في الهامش ((رحبت الفتنة أي اتسعت وعمت . وفي اليتيمة : ((دخنت)) وهو تحريف
(١٠) في الهامش ((كذا في اليتيمة . والقب : الضوامر البطون ، الواحد : أقب . والذي في الأصول : ((قنا)) وهو تحريف
(١١) في اللسان ، العصب . الطي الشديد ، وعصب الشيء يعصبه عصبا : طواه ولواه . وقيل ، شده .

(٧) مُلَمْلَمَةٌ تَتَمارَى في مُلَمْلَمَةٍ (١) … كأنَّها لِاعْتِدالِ الخَلْقِ أَقْمارُ (٢)

(٨) تَشْزُرُ (٣) عندَ احْتِماسِ الطَّعْنِ أَعْيُنُها … وهُنَّ مِنْ فُرُجاتِ النَّقْعِ نُظّارُ

(٩) تَفُوتُ بالثّأْرِ (٤) أَقْواماً وتُدْرِكُهُ … مِنْ آخَرِينَ إذا لَمْ يُدْرَكِ الثّارُ (٥)

(١٠) فانْسابَ (٦) ناصِرُ دينِ اللهِ يَقْدُمُهُمْ … وحَوْلَهُ مِنْ جُنودِ اللهِ أَنْصارُ

(١١) كَتائِبٌ تَتَبارَى حَوْلَ رايَتِهِ … وجَحْفَلٌ كَسَوادِ اللَّيْلِ جَرّارُ

(١٢) قَوْمٌ لَهُمْ في مَكَرِّ (٧) الخَيْلِ غَمْغَمَةٌ (٨) … تحتَ العَجاجِ وإقْبالٌ وإدْبارُ

(١٣) يَسْتَقْدِمونَ (٩) كَراديساً (١٠) مُكَرْدَسَةً … كما تَدَفَّعُ (١١) بالتَّيّارِ تَيّارُ

(١٤) مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ (١٢) لا يُرْعَى لِهاجِسَةٍ … كأنَّهُ مُخْدِرٌ في الغِيلِ هَصّارُ (١٣)

....

(١) في الهامش ((الململمة : المجتمعة ، يريد الكتيبة)) ٠
(٢) في الهامش ((كذا في أكثر الاصول ٠ والافهار حجارة يدق بها الطيب ، الواحد : فهر ٠ والذي في ا : ((أنهار)) ٠ والذي في اليتيمة ((أقطار)) وكلا اللفظين محرف))
(٣) في اللسان ((الازور : الذي ينظر بموء خر عينه)) ٠
(٤) في الهامش ((كذا في ا واليتيمة ٠ والذي في سائر الاصول : ((بالطعن)) ٠
(٥) في الهامش ((يريد أن تلك الخيل تفوت من طلبها بالثأر فلا يقدر عليها لسرعتها ، كما أنها تلحق من يريد أن يفوتها فتدرك ثأرها منه)) ٠
(٦) في الهامش ((في ا واليتيمة ((فانصاع)) ٠
(٧) في العقد ((مكر)) بفتح الميم ٠ واللسان الكر : الرجوع ٠٠٠ ورجل كرار ومكر وكذلك الفرس ٠ واستعاره الشاعر ليعبر عن رجوع الخيل ٠
(٨) في الهامش ((في ا : ((معمعة)) ٠ (٩) في الهامش ((كذا في ا ٠ وفي الذي في سائر الاصول : ((يستقبلون)) ٠ ومؤدى الروايتين مختلف)) ٠
(١٠) في الهامش ((كراديسا : أي جماعات عظيمة من الخيل ، الواحدة ((كردوسة)) بضم الكاف
(١١) في الهامش ((في ا : ((تلاقم)) ٠ وهما بمعنى ٠
(١٢) في اللسان الاروع : الرجل ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد ٠
(١٣) في الهامش ((كذا في ب ٠ والمخدر (بكسر الدال وفتحها) : الاسد الملازم خدره ، أي أجمته ٠ والهصار : من الهصر ، وهو الكسر والدق ٠ والذي في سائر الاصول : ((كأنه مخدر في الخيل ٠٠٠ الخ)) وفيه تحريف ظاهر)) ٠ وفي اللسان الغيل ، بالكسر : الاجمة ، وموضع الاسد ٠

(١٥) فـي قَسْطَـلٍ منْ عَجاجِ الحَرْبِ (١) مُدْلَهِمٍّ ... بيـنَ السَّماءِ وبينَ الأرضِ إسْتِتـارُ

(١٦) فكمْ بِسـاحَتِهِمْ مِن شِلْوٍ مُطَّرَحٍ ... كـأنَّهُ فـوقَ ظهرِ الأرضِ إجَّـارُ (٢)

(١٧) كـأنَّما رأسُـه أفلاقُ حَنْظَلَـةٍ ... وسـاعِدَاهُ إلى الزَّنْدَيْنِ جُمَّارُ (٣)

(١٨) وكمْ على النَّهرِ أوصـالاً مُقسَّمَةً (٤) ... تقسَّمتْها المَنـايَا فـي أشْطـارُ

(١٩) قـد فُلِّقَتْ بِصفيحِ الهِنْدِ هامُهُمُ ... فهـنَّ بينَ حَـوامِي الخَيْلِ (٥) أعشـارُ

((٧١))

ومن قـولنا فـي القـلم (٦) : ((منســـــرح))

(٢٠) بكفّـه سـاحِرُ البيـانِ إذَا ... أدارهُ فـي صَحـيفَـةٍ سَحَـرَا

(٢١) ينـطِقُ فـي عُجْمَـةٍ بلفظَـتِـهِ ... تَصَـمُّ عنـها وتَسْمَـعُ البَصَـرَا

(٢٢) نَـوادرٌ يقـرعُ القُـلوبَ بِهَـا ... إنْ تَسْتَبِنْهَا وجدْتَها صُـوَرَا

(٢٣) نِظـامُ دُرِّ الكـلامِ ضَمَّـنَـهُ ... سِلكـاً لخطِّ الكِتابِ مُسْتَطَـرا (٧)

....

(١) في الهامش ((في أ : ((الخيل)) والمعنى يستقيم عليه أيضا . والقسطل : الغبار الساطع في الحروب)) .

(٢) في الهامش ((الاجار : السطح ، كالانجار بالنون وهي لغة أهل الشام والحجاز . يريد أن ذلك الشلو قد سوي بالارض فصار كالسطح على سطحها)) .

(٣) فـي اللسان ، الجمـار : شحـم النخـل .

(٤) في الهامش ((فـي بعض الاصول : ((مفـرقة)) .

(٥) في الهامش ((الحوامي : ما من الحافر وما سـره ، يريد تشبيه هامات القتلى بجزور الميسـر ، أي أنها مقسمة بيـن حـوافـر الخيـل)) . وفي اللسـان ، أعشـار الجـزور : الانصبـاء . والعشر قطعـة تتكسر من القـدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطـع ، والجمع أعشـار ، وقـدح أعشـار وقـدر أعشار وقـدور أعاشير مكسورة على عشـر قطـع .

(٦) ابن عبد ربـه : العقد ج ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٤

(٧) فـي الهامش ((مستـطرا ، أي مكتـوبا))

(٢٤) إذا امتطى الخنصرين أذكر من ... سحبان فيها أطال واختصرا

(٢٥) يخاطب الغائب البعيد بما ... يخاطب الشاهد الذي حضرا

(٢٦) ترى المقادير تستدق (١) له ... وتنفذ الحادثات ما أمرا

(٢٧) شخت (٢) ضئيل لفعله خطر ... أعظم به في ملمة خطرا

(٢٨) تمج فكاه ريقة صفرت ... وخطبها في القلوب قد كبرا (٣)

(٢٩) تواقع النفس منه ما حذرت ... وربما جنبت به الحذرا

(٣٠) مهفهف (٤) تزدهي به صحف ... كأنما حليت به دررا

(٣١) كأنما ترتع العيون بها ... خلال روض مكلل زهرا

(٣٢) إن قربت مرطت (٥) طوابعها ... ما فض طين لها ولا كسرا

(٣٣) يكاد عنوانها لروعته ... ينبيك عن سرها الذي استترا

((٧٢))

ونظير هذا (٦) من قولنا في رقة التشبيب وحسن التشبيه البديع الذي لا نظير له ، والغريب الذي لم يسبق إليه (٧) : ((كامل))

....

(١) في الهامش ((تستدف ، أي تسهل وتستقيم وفي بعض الاصول : ((تستدق)) .
(٢) في الهامش ((السخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لا هزالا))
(٣) في الهامش ((الريقة : ماء الفم)) .
(٤) في اللسان المهفهف : الدقيق .
(٥) في الهامش ((كذا في ي . ومرطت أي نزعت وتطايرت كما يمرط الريش أي أن أختامها تسقط أدنى لمس . والذي في سائر الاصول : ((فرطت)) .
(٦) إشارة إلى قوله السابق ((ومن قولنا في رقة النسيب وحسن التشبيب))
(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٠٠ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨١ قبل المقطوعة : ((وقوله وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب (من الكامل)) .

(٣٤) حوراءُ داعبَها النَّوى (١) في حُورِ ... حكمتْ لواحظُها على المقدُورِ

(٣٥) نظرتْ إليَّ (٢) بمُقلتَيْ أُدمانةٍ (٣) ... وتلفَّتتْ بسوالفِ اليعفُورِ

(٣٦) وكأنَّما غاضَ (٤) الأسى بجفونِها ... حتَّى أتاكَ بلؤلؤٍ منثُورِ

((٧٣))

وقوله (٥) (٦) :

((طويل))

(٣٧) جمالٌ يفُوتُ الوهمَ في غايةِ الفِكرِ ... وطرفٌ إذا ما فاهَ ينطِقُ بالسِّحرِ

(٣٨) ووجهٌ أعارَ البدرَ حلَّةَ (٧) حاسِدٍ ... فمِنْهُ (٨) الذي يسْودُّ في صفْحةِ البدْرِ

((٧٤)) (٩) (١٠)

((بسيط))

(٣٩) نورٌ تولَّدَ مِن شمسٍ ومن قمرٍ ... في طرْفهِ قدرٌ (١١) أمضى من القدرِ

(٤٠) أصْلَى فُؤادي بلا ذنْبٍ جوىً حُرَقٍ ... لم يُبْقِ من مُهجَتي شيئًا ولم يذَرِ

....

(١) اليتيمة ((راعتها النوى)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول :((راعتها النوى))
(٢) اليتيمة ((إليك))
(٣) في الهامش ((أدمانة لغة في أدماء للظبية))
(٤) اليتيمة ((غاص)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول غلط))
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٠٠ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٢ .
(٦) إشارة إلى قوله السابق ((ومن قولنا في رقة النسيب وحسن التشبيه .
(٧) اليتيمة ((ذلة)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((ذلة)) .
(٨) في الهامش ((في بعض الاصول ((فمن ذا)) .
(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٣ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٥ .
(١٠) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الاول من البسيط وهو المخبون في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(١١) اليتيمة ((سقم)) .

(٤١) لا زالرحيق المصفّى من مراشفه — وما بخدّيه من ورد (١) ومن طرر (٢)

(٤٢) ما أنصف الحبّ قلبي في حكومته — ولا عفا الشوق عنّي عفو (٣) مقتدر

((٧٥))

ومن قولنا في هذا المعنى (٤) (٥) : ((كامل))

(٤٣) وإذا جياد الخيل ما طلّها المدى — وتقطّعت من شأوها المشهور

(٤٤) خلّوا عناني في الرهان وميّحوا — منّي بغرّة أبلق مشهور (٦)

((٧٦))

ومن قولنا في وصف الأسد ما هو أشبه به من هذا (٧) (٨) : ((طويل))

(٤٥) ولربّ خانقة الذوائب قد غدت — معقودة بلوائه المنصور

(٤٦) يرمي بها الآفاق كلّ شرنبث (٩) — كفّاه غير مقلّم الأظفور

(٤٧) ليث تطير له القلوب مخافة — من سين مقسمة له وزئير

(٤٨) وكأنّما يرمي (١٠) إليك بطرفه — عن جمرتين بجلمد منقور

....

(١) اليتيمة ((خال))

(٢) في اللسان: طرة الجارية : أن يقطع لها في مقدم ناصيتها كالعلم أو كالطرة تحت التاج وقد تتخذ الطرة من رامك ، والجمع طرر وطرار .

(٣) اليتيمة ((غير))

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١٧٨ .

(٥) إشارة إلى قوله السابق ((وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق)) .

(٦) في الهامش ((رواية هذا البيت في المنخبة :
فالووا عناني في الحلائب وامسحوا — مني بغرة أشقر مشهور

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٧٤

(٨) إشارة إلى قول أبي زبيد في وصف الأسد ((كأن عينيه نقبا وان في حجر))

(٩) في الهامش ((الشرنبث : الغليظ الكفين))

(١٠) في الهامش ((في ا ، ن : ((يرمي)) .

((٧٧))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) :

((طويل))

(٤٩) عذيريَ من طولِ البكا لوعةُ الأسى ... وليس لمن لا يقبلُ العُذرَ من عذرِ

((٧٨))

ومن قولنا فيه (٣) (٤) :

((وافر))

(٥٠) أتلهو بين باطيةٍ وزيرٍ (٥) ... وأنتَ من الهلاكِ على شفيرِ ؟

(٥١) فيا من غرّهُ أملٌ طويلٌ ... يؤدّيه (٦) إلى أجلٍ قصيرِ

(٥٢) أتفرحُ والمنيّةُ كلَّ يومٍ ... تُريكَ مكانَ قبرِكَ في القبورِ

(٥٣) هي الدنيا فإنْ (٧) سرّتكَ يوماً ... فإنَّ الحزنَ عاقبةُ السرورِ

(٥٤) ستُسلبُ كلَّ ما جمّعتَ منها (٨) ... كعاريةٍ (٩) تُردُّ إلى المُعيرِ (١٠)

(٥٥) وتعتاضُ اليقينَ من التظنّي ... ودارَ الحقِّ من دارِ الغُرورِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ١٤٣
(٢) في معنى التنصل والاعتذار
(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٨٩ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١
(٤) أي في ذكر الموت .
(٥) في هامش العقد ((الباطية من أواني الخمر . والزير : الدن)) وفي هامش اليتيمة ((الباطية : الخمر وأوانيها ، والزير اناء الخمر ، وهو أيضا نوع من الاوتار
(٦) اليتيمة : ((به يردى))
(٧) اليتيمة : ((وان)) .
(٨) اليتيمة ((فيها))
(٩) اليتيمة ((بعارية))
(١٠) اليتيمة ((معير))

((٧٩))

وهذا نظير قولي في طفل أصبت به (١) (٢) : ((طويل))

(٥٦) على مثلها من فجعة خانني الصبر — فراق حبيب دون أوبته الحشر
(٥٧) ولي كبد مشطورة في يد الأسى — فتحت الثرى شطر وفوق الثرى شطر
(٥٨) يقولون لي : صبر فؤادك بعده — فقلت لهم : مالي فؤاد ولا صبر
(٥٩) فسربخ من الحمر الحواصل ما اكتسى — من الريش حتى ضمه الموت والقبر
(٦٠) إذا قلت : أسلوه ماجت بلابل — يجددها فكر يجدده ذكر
(٦١) وأنظر حولي لا أرى غير قبره — كأن جميع الأرض عندي له قبر
(٦٢) أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي — وليس سوى قعر الضريح له وكر

((٨٠))

ومثله من قولنا (٣) (٤) : ((بسيط))

(٦٣) لا غرو إن نال منك السقم والضرر — قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
(٦٤) يا غرة القمر (٥) الذاوي (٦) غضارتها — فدًا لنورك (٧) مني السمع والبصر

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٥٨
(٢) إشارة إلى بيتين أوردهما قبل المقطوعة قدم لهما بقوله ((وقال أعرابي يرثي ابنه))
(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٤٥٤
(٤) أي في أدب العيادة
(٥) في الهامش ((في ي : ((الكرم)) مكان ((القمر)) .
(٦) في الهامش ((كذا في ي والذي في سائر الاصول : ((المروي)) .
(٧) في الهامش ((في أكثر الاصول : ((لتربك)) . والذي في ي : ((لبرعك))
وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه)) .

(٦٥) إنْ يُمْسِ جسمُك مَوْعُوكًا بصالِيَةٍ (١) فَهكذا يُوعَكُ الضِّرغامةُ الهَصِرُ (٢)

(٦٦) أنتَ الحُسامُ فإنْ تَفْلُلْ مَضارِبُهُ فَقَبْلَهُ ما يُفَلُّ الصَّارِمُ الذَّكَرُ (٣)

(٦٧) روحٌ من المجدِ في جُثْمانِ مَكْرُمةٍ كأنَّما (٤) الصبحُ من خدَّيْهِ يَنفجِرُ

(٦٨) لو غالَ مجلودَهُ (٥) شيءٌ سوى قدرٍ أكبرتُ ذاكَ ولكنْ غالَهُ القَدَرُ

((٨١))

ومن قولنا أيضا (٦) (٧) : ((الوافر))

(٦٩) نجومٌ في المفارقِ ما تَغُورُ ولا يَجْري بِنا فَلَكٌ يَدُورُ

(٧٠) كأنَّ سوادَ لِمَّتِهِ ظَلامٌ أغارَ من المشيبِ عليهِ نُورُ

(٧١) ألا إنَّ القَتيرَ وعيدُ صِدْقٍ لنا لو كانَ يَزجُرُنا القَتيرُ (٨)

(٧٢) نَذيرُ الموتِ أرسلَهُ إلَيْنا فكذَّبنا بما جاءَ النَذيرُ

(٧٣) وقُلْنا للنفوسِ : لعلَّ عُمْرًا يَطولُ بنا وأطولُهُ قصيرُ

(٧٤) متى كذبتْ مواعيدُها وخانتْ فأوَّلُها وآخِرُها غُرُورُ

....

(١) في الهامش ((الصالية : الحمى ، لما فيها من حرارة وسخونة .))

(٢) في اللسان الهصر : الكسر ... (الاسد) الهصور : الاسد الشديد الذي يفترس ويكسر .

(٣) في اللسان الذكر والمذكر من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده ، هو خلاف الانيث ، وبذلك يسمى السيف مذكرا ... وذكرة السيف والرجل : حدته ...

(٤) في الهامش ((في بعض الاصول : ((كأنما)) . وهو تحريف)) .

(٥) في اللسان الجلد : القوة والصبر .. والمجلود وهو مصدر مثل المعقول .

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٤ ، ٤٥

(٧) في الشيب

(٨) في الهامش ((القتير : رؤوس مسامير حلق الدروع ، يشبه به الشيب إذا نقب في سواد الشعر))

(٧٥) لقدْ كادَ السُّلوُّ يُميتُ شوْقي ولكنْ قلَّما فُطِمَ (١) الكبيرُ

(٧٦) كأنِّي لم أرَقْ بلْ لمْ ترُقْني شمُوسٌ في الأكِلَّةِ أوْ بُدورُ

(٧٧) وأشْ ألْقَ المُنى في ظِلِّ لهْوٍ بأقْمارٍ سحائِبُها السُّتورُ

((٨٢))

ومن قولنا في الشيب (٢) :

((وافر))

(٧٨) بدَا وضَحُ المشيبِ على عِذاري وهلْ ليلٌ يكونُ بلا نهارِ ؟

(٧٩) وألبسَني النُّهى ثوبًا جديدًا وجرَّدني من الثوْبِ المُعارِ

(٨٠) شرَيْتُ سوادَ ذا ببياضِ هذا فبدَّلتُ العِمامةَ بالخِمارِ

(٨١) وما بِعتُ الهوَى (٣) بيْعًا بشرْطٍ ولا استثْنيتُ فيهِ بالخِيارِ

((٨٣))

ومن قولنا فيه (٤) (٥) :

((بسيط))

(٨٢) جارَ المشيبُ على رأْسي فغيَّرَهُ لمَّا رأى عندنا الحكَّامَ قد جارُوا

(٨٣) كأنَّما جُنَّ ليلٌ في مفارِقِهِ فاعتاقَهُ (٦) من بياضِ الصُّبحِ إسْفارُ

---

(١) في الهامش ((كذا في ا ، ب ، والذي في سائر الاصول : ((فطن)) .
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٣ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩
(٣) اليتيمة ((الصبا))
(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٤
(٥) في الشيب
(٦) في الهامش ((اعتاقه : عاقه))

((٨٤))

ومن قولنا (١) (٢) : ((طويل))

(٨٤) وموشية يُهدى إليك نسيمها ... على مفرق الأرواح مسكًا وعنبرا

(٨٥) سَدا وتُها من ناصع اللون أبيض ... ولُحمتُها (٣) من فاقع اللون أصفرا

(٨٦) تُلاحظ لحظًا من عيون كأنها ... فصوصٌ من الياقوت كُلِّلن جوهرا

((٨٥))

ومن قولنا في هذا المعنى (٤) (٥) : ((وافر))

(٨٧) سَبيلُ الحبِّ أولُهُ اغترارُ ... وآخره همومٌ وادِّكارُ

(٨٨) وتلقى العاشقين لهم جُسومٌ ... بَراها الشوقُ لو نُفِخوا لطاروا

((٨٦))

ومن قولنا في هذا المعنى (٦) (٧) : ((كامل))

(٨٩) نعَبَ (٨) الغرابُ فقلتُ : أكذبُ طائرٍ ... إن لم يصدِّقه رُغاءُ بعيرِ

(٩٠) ردُّ الجمالِ هو المحقّقُ للنوى ... بل شرُّ أحلاسٍ لهن وكورُ (٩)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٢٣ • (٢) في الرياض • (٣) في اللسان ، لحمة الثوب : الاعلى ، والسدى : الاسفل • (٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٢٣ •

(٥) في المحولة

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٤٨ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٣ ورد البيت الاول • (٧) في ذكر الابل •

(٨) في وفيات الاعيان ((نمق)) وفي هامشه ((نمق الغراب : صاح ورغاء البعير ، صوته

(٩) في هامش العقد ((الرد ، بالكسر : الظهر • وأحلاس جمع حلس ، وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج • والكور ، بالضم ، الرحل)) •

((٨٧))

ومن قولنا في نحوه (١) (٢) : ((سريع))

(٩١) طعامُ مَنْ لستُ لهُ ذاكرا — دقّ كما دقّ بأنْ يُذكرا

(٩٢) لا يُفطِرُ الصائمُ من أكلِهِ — لكنّهُ صومٌ لمن أفطرا

(٩٣) في وجهِهِ من لؤمِهِ شاهدٌ — يكفي بهِ الشاهدُ أنْ يُخبرا

(٩٤) لم تعرفِ المعروفَ أنمالُهُ — قطّ كما لم يُنكرِ المُنكرا

((٨٨))

ومن قولنا في هذا المعنى (٣) وسألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس (٤) فتلكأ فيه ، فقلت (٥) : ((كامل))

(٩٥) حاشا لمثلِكَ أنْ يفكّ أسيرا — أو أنْ يكونَ من الزمانِ مُجيرا

(٩٦) لبستْ قوافي الشعرِ فيكَ مدارعًا (٦) — سودًا وصكّتْ (٧) أوجهًا وصدورا

(٩٧) هلّا عطفتَ برحمةٍ لمّا دعتْ — ويلًا عليكَ مدائحي وثُبورا

(٩٨) لو أنّ لؤمَكَ عادَ جودًا عُشرُهُ — ما كانَ عندَكَ حاتمٌ مذكورا

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ١٩١

(٢) في طعام البخلاء .

(٣) أي فيمن مدح وخاب أمله

(٤) في الهامش ((في أ : ((حاجة)) مكان قوله ((إطلاق محبوس))

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٨٦

(٦) في اللسان الدراعة والمدرع : ضرب من الثياب

(٧) في الهامش ((في بعض الاصول : ((وصلت)))) .

((٨٩))

ومما أنشدني من شعره علي بن أحمد (أبو محمد) ، وأخبرني أن بعض من كان يألفه أزمع على الرحيل في غداة ذكرها ، فأتت السماء في تلك الغداة (١)   ((بسيط))

(٩٩) هلا ابتكرت لبين (٢) أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر

(١٠٠) مازلت أبكي حذار البين ملتهفا (٣) ... حتى رثى لي فيك الريح والمطر

(١٠١) يابردة (٤) من حيا (٥) مزن على كبد (٦) ... نيرانها بغليل الشوق (٧) تستعر

(١٠٢) آليت أن لا (٨) أرى شمسا ولا قمرا ... حتى أراك فأنت الشمس والقمر

....

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص٤ ٩ - ابن خاقان : مطمح الانفس ص٥٨ ، ٥٩ قال ((وعزم فتى كان يتألفه ويخامره كلفه على الرحيل في غده ، فأذهب عزمه قوى جلده ، فلما أصبح عاقته السماء بالانواء ، وساقته مكرها إلى النوى (هكذا بالنون ولعله الثوى) فاستراح أبو عمر (لموردة : أبو عمرو ، وهو خطأ) من كمده وانفسح له من التواصل مضايق أمده ، فكتب إلى المذكور العازم على البكور)) - الضبي : بغية الملتمس ص ١٣٧ ، ١٣٨ أورد المقطوعة جاء قبلها :((أنشد له أبو محمد بن حزم وأخبر أن بعض من كان يألفه أزمع على الرحيل في غداة ذكرها فأتت في تلك الغداة بمطر جود حال بينه وبين الرحيل فكتب إليه أبو عمر)) - ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص٢١٥ ، ٢١٦ أورد المقطوعة جاء قبلها :((وكان بعض من تألفه قد أزمع على الرحيل في غداة عينها فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود منعته من الرحيل فكتب إليه أبو عمر ابن عبد ربه)) - ابن الخطيب : نفح الطيب ج ٣ ص٤٤٧ قال :((وكان لابن عبد ربه فتى يهواه فأعلمه أنه يسافر غدا! فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب)) . أيضا النفح ج ٧ ص٥٠ قال :((وعزم فتى كان يتألفه ، ويخامره كلفه على الرحيل في غده فأذهبت عزمته قوى جلده ، فلما أصبح عاقته السماء بالانواء وساقته مكرها إلى الثواء فاستراح من كمد وانفسح له من التواصل ضائق أمره وكتب إلى المذكور العازم على البكور)) . (٢) في هامش معجم الادباء ((البين : الفراق)) .

(٣) في المطمح ((ملتهبا)) وكذلك في النفح . (٤) في بغية الملتمس ((فأبرده)) .

(٥) في هامش معجم الادباء :((الحيا : المطر الخفيف والمزن ، بضم الميم وسكون الزاي : السحاب أو الابيض والقطعة مزنة .

(٦) في المطمح ((كبدي))

(٧) في المطمح ((الريح)) وفي البغية ((الشرق)) .

(٨) في المطمح ((ألا)) وكذلك في بغية الملتمس .

((٩٠))

ولاحمد بن محمد بن عبد ربه أشعار كثيرة جدا سماها ((الممحصات)) ، وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل ، بقطعة في المواعظ والزهد ، محصها بها ، كالتوبة منها ، والندم عليها ومن ذلك قطعة محص بها القطعة المذكورة أولا ، وهي : (١)

((بسيط))

(١٠٣) يا عاجزًا (٢) ليس يعفو حين يقتدرُ ... ولا يقضّى لهُ من عيشهِ وطرُ (٣)

(١٠٤) عاين بقلبكَ إنّ العينَ غافلةٌ ... عن الحقيقةِ واعلمْ أنّها سقرُ

(١٠٥) سوداءُ تزفرُ (٤) من غيظٍ إذا سُعرتْ ... للظالمينَ فلا (٥) تُبقي ولا تذرُ

(١٠٦) إنّ الذينَ اشتروا دُنيا بآخرةٍ ... وشقوةً بنعيمٍ ساءَ ما تجروا (٦)

(١٠٧) يا من تلهّى وشيبُ الرأسِ ينذرُهُ ... ماذا الذي بعدَ شيبِ الرأسِ تنتظرُ

(١٠٨) لو لَمْ (٧) يكنْ لكَ غيرُ الموتِ موعظةٌ ... لكانَ فيهِ عن اللذاتِ مُزدجرُ

(١٠٩) أنت المقولُ لهُ ما قلتُ (٨) مُبتدئًا ... ((هلّا (٩) ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مُبتكرُ))

. . . .

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٩٥ — ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٦١ . قبل المقطوعة ((وفي أيام اقلاعه عن صبوته وارتجاعه عن تلك المخيلة وأوبته وانثنائه عن حجون المجون إلى صفاء توبته محص أشعاره في الغزل وقص من قوادمها وخوافيها بأشعار في الزهد على أعاريضها وقوافيها منها القطعة التي أولها :((هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر)) محصها بقوله)) — الضبي : بغية الملتمس ص ١٣٩ أورد المقطوعة قبلها : ((نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محصها بها كالتوبة منها والندم عليها فمن ذلك قطعة محص بها القطعة المذكورة أولا وهي)) — ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ قال ((ثم ان ابن عبد ربه أقلع في آخر عمره عن صبوته ، وأخلص لله في توبته فاعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد وسماها الممحصات ، فمنها القطعة التي أولها ((هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر)) محصها بقوله)) — المقري : نفح الطيب ج ٧ ص ٥٣ وردت المقطوعة ذكر قبلها ما جاء في المطمح بتصرف . (٢) في النفح ((يا راقدا)) وفي معجم الادباء ((يا قادرا)) وكذلك في المطمح

(٣) رواية العجز في المطمح وفي ((معجم الادباء)) وفي ((النفح)) ((ماذا الذي ... بعد شيب الرأس تنتظر)) وهو عجز البيت الخامس الذي لم يرد في هذه المصادر المذكورة .

(٤) في الهامش زفرت النار : سمع صوت توقدها)) (٥) في المطمح ((فما)) وكذلك في معجم الادباء وفي ((المطمح)) (٦) ورد هذا البيت والذي بعده عند الحميدي ولم يردا عند غيره .

(٧) في البغية ((لمن لم)) (٨) في جذوة المقتبس ((ما فات)) .

(٩) في هامش معجم الادباء في الاصل الذي في مكتبة اكسفورد : ((هذا)) .

((٩١))

وقوله (١) (٢): ((كامل))

(١١٠) وصحائفٌ مرضى العيون شحائحٌ | بيضُ الوجوهِ نواعِمُ الاشــــــار
(١١١) أضنهنّني بلواحظٍ تشكو الضّنى | وكسونني ما شئنَ منهُ عــــواري
(١١٢) بجوى حوتهُ مُهجتي (٣) عن مقلتي | والجارُ قد يشقى بذنبِ الجــار

((٩٢))

وقوله (٤): ((بسيط))

(١١٣) مستوحشًا من جميعِ الناسِ كلِّهم | كأنّما الناسُ أقذاءٌ على بصري

((٩٣))

وفي صفة المعترك (٥) (٦): ((وافــــر))

(١١٤) ومعتركٍ تمزّ به (٧) المنايــــا | ذكورَ الهندِ في أيدي ذكــــور
(١١٥) لــوامعُ يبهرُ الأعشى سناهـا | ويعمى دونها طرفُ البصيــرُ
(١١٦) وخافقةٌ (٨) الذوائبِ قد أنافت (٩) | على حمراءَ ذاتِ شبًا طريــر

. . . .

(١) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٦ .
(٢) أي ابن عبد ربه .
(٣) في اللسان ، المهجة : دم القلب ... وقيل : الدم .
(٤) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ١٠
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١٩٦ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٥ ، ٧٦ .
(٦) إضافة على قوله قبل هذا ((ومن قولنا في صفة الحرب)) .
(٧) في اليتيمة ((لم))
(٨) في الهامش ((كذا في ا واليتيمة . والذي في سائر الاصول : ((وفائقة)) .
(٩) في اليتيمة ((أقامت)) .

(١١٧) تُحيِّمُ حولها (١) عِقْبانُ مَوْتٍ ... تخطَّفت القلوبَ من الصُّدورِ

(١١٨) بيومٍ راحَ في سِربالِ ليلٍ ... فما (٢) عُرفَ الأصيلُ من البُكورِ

(١١٩) وعينُ الشمسِ ترنُو (٣) في قتامٍ (٤) ... رُنُوَّ البِكرِ من بين الستُورِ (٥)

(١٢٠) فكم قَصَّرتَ من عُمُرٍ طويلٍ ... به ، وأطلتَ (٦) من عُمُرٍ قصيرِ

((٩٤))

((مديد))

(١٢١) زادني لومُكَ إصرارًا (٧) ... إنّ لي في الحبِّ أنصارًا (٨) (٩)

(١٢٢) طارَ قلبي عن هوى رَشَأٍ (١٠) ... لو دنا (١١) للقلبِ ما طارا

(١٢٣) خُذْ بكفّي لا أمُتْ غَرَقًا ... إنّ بحرَ الحبِّ قد فارا

(١٢٤) أنضجتْ نارُ الهوى كبدي ... ودموعي تُطفئُ النارا

((رُبَّ نارٍ بتُّ أرمقُها ... تقضِمُ المندِيَّ والغارا)) (١٢)

....

(١) في اليتيمة ((نجوم تحتها))
(٢) في اليتيمة ((كـ!!))
(٣) في اليتيمة ((تدنو))
(٤) في الهامش ((كذا في ا واليتيمة والذي في سائر الاصول : ((في قتام)) وهو تحريف
(٥) رواية العجز في اليتيمة : ((دنو الالف ما بين الستور))
(٦) في الهامش ((كذا في ا واليتيمة - والذي في سائر الاصول : قصرن ... وأطلن))
(٧) في اليتيمة ((إصرارا))
(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٧ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٥
(٩) اورده ابن عبد ربه العقد مثالا للضرب الابتر اللازم الثاني من المديد .
(١٠) في اللسان الرشأ : على فعل بالتحريك : الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه
والجمع : أرشاء .
(١١) في اليتيمة ((رنى))
(١٢) البيت في ((الشعر والشعراء)) ج ١ ص ١٥٦ لعدي بن زيد العبادي ، وكذلك
في البخلاء ص ٢٣٣ .

((٩٥))

((بسيط))

(١٢٥) يا ليلةً ليس (١) في ظلمائها نورُ … إلاّ وجوهًا تضاهيها الدنانيرُ (٢)(٣)

(١٢٦) حورٌ سقتني بكأسِ (٤) الموتِ أعينُها … ماذا سقتنيه (٥) تلك الأعينُ الحورُ ؟

(١٢٧) إذا ابتسمنَ فدرُّ الثغرِ منتظمٌ … وإن نطقنَ فدرُّ اللفظِ منثورُ

(١٢٨) خلِّ الصبا عنكَ واختمْ بالتقى عملاً … فإنَّ خاتمةَ الأعمالِ تكفيرُ

((الخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قرنٍ … فالخيرُ متَّبعٌ ، والشرُّ محذورُ))

((٩٦))

((كامل))

(١٢٩) هتكَ الحجابُ عن الضمائرْ … طرفٌ بهِ تُبلى السرائرْ (٦)(٧)

(١٣٠) يرنو فيمتحنُ القلو … بَ كأنَّهُ في القلبِ ناظرْ

(١٣١) يا ساحرًا ما كنتُ أعـ … ـرفُ قبلهُ في الناسِ ساحرْ

(١٣٢) أقصيتني من بعدِ ما … أدنيتني فالقلبُ طائرْ

((وغررتني وزعمتَ أنَّـ … ـكَ لابنٌ في الصيفِ تامرْ))(٨)

....

(١) في اليتيمة ((كان))

(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ - الثعالبي : اليتيمة ج ١ ص ٨٥

(٣) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المقطوع اللازم الثاني من البسيط

(٤) في اليتيمة ((كأس)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول : ((كأس الموت))

(٥) في اليتيمة ((سقتني))

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٥ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٧ .

(٧) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المجزوء والضرب المجزوء المرفل من بحر الكامل .

(٨) البيت للحطيئة . الديوان ص ١٧ من قصيدة يمدح بها بغيضا ويهجو الزبرقان .

((٩٧))

((كامل))

(١٣٣) يا قلة الرشأ الغرير وشقة القمر المنير (١) (٢)

(١٣٤) ما رنقت عيناك لي بين الأكلة والستور

(١٣٥) إلا وضعت يدي على قلبي (٣) مخافة أن يطير

(١٣٦) مثني كبعض حمام مكة واستمع قول النذير

((أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير))

((٩٨))

((رجز))

(١٣٧) لم أدر جني سباني أم بشر أم شمس ظهر أشرقت لي أم قمر (٤) (٥)

(١٣٨) أم ناظر يبدي المنايا طرفه حتى كأن الموت منه (٦) في النظر

(١٣٩) يحيي (٧) قتيلا ماله من قاتل إلا سهام الطرف ريشت بالحور

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٧، ٨٨

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المذال

(٣) في اليتيمة ((كبدي ... تطير))

(٤) العقد ج ٥ ص ٤٥٩ ـ اليتيمة ج ٢ ص ٨٩

(٥) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض التام والضرب التام .

(٦) في اليتيمة ((فيه))

(٧) في اليتيمة ((ويحيي)) .

(١٤٠) ما بَالُ رسْمِ الوصْلِ أضْحَى دائرًا (١) حتى لقد أذكرتني مَا (٢) دثـر
((دارُ لسلمى إذْ سُليمى جارةٌ قفرًا تُرى آياتُها مثل الزبرْ))

((٩٩))

((رمـل))

(١٤١) أنا (٣) في اللذاتِ مخلوعُ (٤) العذارِ هائم في حبّ ظبي ذي احورار (٥)(٦)

(١٤٢) صُفرةٌ في حمرةٍ في خـده جمعت روضة وردٍ وبهار

(١٤٣) بأبي طاقة آسٍ أقبلت تتثنى (٧) بين حجلٍ وسوار

(١٤٤) قادني طرفي وقلبي (٨) للهوى كيف من طرفي ومن قلبي حذاري
((لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصّان بالماء اعتصاري))

((١٠٠))

((رمـل))

(١٤٥) يا هلالاً قد تجلّى في ثياب (٩) من حرير (١٠) (١١)

(١٤٦) وأميرًا بهـواه قاهرًا كلّ أمير

(١٤٧) ما لخديك استعارا حمرة الوردِ النضير (١٢)

(١٤٨) ورسوم الوصل قد ألبستها ثوب دثور (١٣)

....

(١) في اليتيمة ((دارسا)) • (٢) في اليتيمة ((أذكرني)) مكان قوله ((أذكرتني ما))
(٣) في العقد ((وأنا)) أثبت رواية اليتيمة • (٤) في اليتيمة ((مخلوع))
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦١ ، ٤٦٢ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٩
(٦) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا ((للعروض المحذوف الجائز فيه الخبن الضرب المتمم))
(٧) في اليتيمة ((تنثني ما بين)) مكان قوله ((تتثنى بين))
(٨) في اليتيمة ((قلبي وطرفي •••• وكيف من قلبي ومن طرفي))
(٩) في اليتيمة ((سحاب)) • (١٠) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٣ — الثعالبي :
اليتيمة ج ٢ ص ٩٠ • (١١) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب المجزوء •
(١٢) في اليتيمة ((النضير)) •
(١٣) في اليتيمة ((ألبستها ثوب الدثور)) •

((مقبرات دار سات مثل آيات السرور))

((١٠١))

((خفيف))

(١٤٩) أشرقت لي بدور في ظلام تنير (١) (٢)

(١٥٠) طار قلبي بحبها (٣) من لقلب يطير ؟

(١٥١) يا بدور أنا بها الـ دمع عان أسير (٤)

(١٥٢) إن رضيتم بأن أمو ت فموتي حقير (٥)

((كل خطب إن لم تكو نوا غضبتم يسير))

((١٠٢))

ثم سألته (٦) حاجة فيها بعض الغلظ ، فتلكأ فيها علي ، فأخذت سحاية (٧) من بين يديه فوقعت فيها على البداهة (٨) :

((كامل))

(١٥٣) ما ضر عندك حاجتي طرحها عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها

(١٥٤) أنظر إلى عرض البلاد وطولها أولست أكرم أهلها وأبرها

(١٥٥) حاشى لجودك أن يعسر حاجتي ثقتي بجودك سهلت لي وعرها

(١٥٦) لا يجتني حلو المحامد ماجد حتى يذوق من المطالب مرها (٩)

....

(١) ابن عبد ربه العقد ج ٥ ص ٤٧١ — الثعالبي اليتيمة ج ٢ ص ٩٢ .
(٢) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((الضرب المجزوء المقصور المخبون .
(٣) في اليتيمة ((لحسنها))
(٤) في هامش اليتيمة ((في ا ب ((الدمع عان وأسير)) والوزن يختل عليها)) .
(٥) في الهامش ((ا ب ((فموتي بها حقير)) والوزن لا يستقيم)) .
(٦) أي سأل أبا العباس القائد
(٧) في الهامش ((كذا في أكثر الاصول ، والسحاية : القرطاس ، والذي في ا : ((السحاءة)) . وهي بمعناها)) .
(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٦٩
(٩) قال بعد هذا : ((فقضى الحاجة وسارع فيها))

((١٠٣))

((وافــــر))

(١٥٧) غــزالٌ زانَـــهُ الحَـــوَرُ   وساعــدَ طَــرْفَــه القـــدَرُ (١) (٢)

(١٥٨) يُـريـكَ إذا بـدَا وجهــاً   حكــاهُ الشمْـسُ والقمَـــرُ

(١٥٩) بـراهُ اللـهُ مــنْ نُــورٍ   فــلا جِــنٌّ ولا بشَـــرُ

(١٦٠) فــذاكَ الهمُّ لا طـلَـلٌ   وقفْــتَ عـليهِ تعتـبِرُ

((أهَــاجكَ مـنـزِلٌ أقْــوَى   وغــيَّرَ آيَــهُ الغِـيَرُ))

((١٠٤))

((كــامـل))

(١٦١) يــومُ المُحـبِّ لطـولِـهِ شهْـرُ   والشهْـرُ يحسَـبُ أنّـهُ دهْـرُ (٣) (٤)

(١٦٢) بــأَبِـي وأمِّـي غـادةٌ فـي خـدِّها   سحْــرٌ وبـيْنَ جفـونِهـا سِحْــرُ

(١٦٣) الشمْسُ تحسَبُ أنّها شمسُ الضحَى   والبـدرُ يحسَبُ أنّها البـدْرُ

(١٦٤) فسَـلِ الهوَى عنها يُجبْ وإنْ نأتْ   فسَـلِ القفـارَ يُجِبْكَ القفْـرُ

((لِمَنِ الديـارُ برامَتَيْنِ فعاقِلُ   درسَتْ وغــيَّرَ آيَهَـا القطْـرُ))

((١٠٥))

((منسـرح))

(١٦٥) أقصـرتُ بعضَ الاقصـارْ (٥)   عن شـادنٍ نـائي الـدارْ (٦) (٧)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥١ . (٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم (٣) ابن عبد ربه: العقد ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٤) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للضرب الاحذ المضمر

(٥) في اللسان، أقصر فلان عن الشيء : إذا كف عنه وانتهى .

(٦) العقد ج ٥ ص ٤٦٨ . (٧) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للعروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطي ضربه مثله .

(١٦٦) صبّرني لمّا سارْ ولمْ أكُنْ بالمصبّارْ

(١٦٧) وقال لي باستعبارْ: (صبرًا بني عبدَ الدارْ)(١)

((١٠٦))

((خفيف))

(١٦٨) ما لِلَيْلَى تبدّلتْ بعدنا ودّ غيرِنا (٢) (٣)

(١٦٩) أرهقتنا ملامةً بعد إيضاحِ عذرِنا

(١٧٠) فسلَوْنا عنْ ذِكْرِنا وتسلّتْ عنْ ذِكْرِنا

(١٧١) لم تقُلْ إذْ تحرّمتْ(٤) واستهلّتْ بهجْرِنا

((ليتَ شعْري ماذا ترى أمْ عمْرٍو في أمْرِنا))

((١٠٧))

فقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه (٥) (٦): ((طويل))

(١٧٢) هلالٌ نماهُ المجدُ واختارَهُ الفخرُ تلقّتْ به شمسٌ وأنجبَهُ بدْرُ

(١٧٣) على وجهِهِ سِيما المكارمِ والعُلا فضاءتْ به الآمالُ(٧) وابتهجَ الشعْرُ

(١٧٤) سلالةُ أملاكٍ ربيبُ خلائفٍ ألفْتُهُم بِرٌّ ونائِلُهُمْ غمْرُ

....

(١) في الهامش ((لهند بنت عتبة قالته يوم أحد تخاطب به بني عبد الدار أصحاب لواء المشركين)).

(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧١

(٣) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المجزوء والضرب المجزوء.

(٤) جاء في اللسان، التحريم : الصعوبة ، يقال هو بعير محرم أي صعب.

(٥) مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لمجهول ، ص ٤٨ ، ٤٩

(٦) أي في تهنئة عبد الرحمن الناصر بولادة ابنه الحكم

(٧) في الهامش ((فضات بالاصال في المخطوط))

(١٧٥) بدا لِصلاةِ الظهرِ نجمُ مكارمٍ ... تحفُّ بهِ العَليا ويكنفُهُ الفخرُ

(١٧٦) نماهُ إلى العَلياءِ خيرُ خليفةٍ ... تَتيهُ بهِ الدنيا ويزهى بهِ القصرُ

(١٧٧) كذاكَ يطيبُ الفرعُ إن طابَ نجرُهُ (١) ... وما طابَ فرعٌ لا يَطيبُ لهُ نجرُ

(١٧٨) فلا زالَ (٢) محفوفًا بأكنافِ نعمةٍ ... يطيرُ له ذكرٌ ويسمو به قدرُ

(١٧٩) هنيئًا إمامُ المسلمينَ عطيّةً ... حباكَ بها ربٌّ لهُ الحمدُ والشكرُ

(١٨٠) فيا مَنْ كساهُ اللهُ تاجَ خلافةٍ ... ومِن جُودِهِ قطرٌ إذا أعدمَ القَطْرُ

(١٨١) ومَنْ كادَ يُبدي للخيزرانِ بكفّهِ ... وينبتُ في أطرافِهِ الورقُ الخُضْرُ

(١٨٢) .... العمر (٣)

(١٨٣) ...... الذي لاحَ .... فجرت ...... نحوه الانجمُ الزهرُ

(١٨٤) .... كفى بحصلِهِ ... . جرى الدهرُ

((١٠٨))

وقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر من أبيات (٤): ((منسرح))

(١٨٥) يا ملِكًا يزدهي به المنبرْ ... والمسجدُ الجامعُ الذي عمّرْ

....

(١) في اللسان، النجر: الاصل والحسب
(٢) في الهامش ((نال، في المخطوط))
(٣) فراغ في الاصل
(٤) ابن الابار: اعتاب الكتاب ص ١٧٢، ١٧٣، نقل المقطوعة قوله ((كان الامير عبد الله ابن محمد ... قد عزل عبد الله بن محمد الزجالي عن خطتي الوزارة والكتابة في بعض أوقاته لموجدة وجدها عليه، ثم أقاله بعد مديدة، وأعاده إلى خطته، وكان محببا في الناس فأبدوا فرحا لرجعته، وقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر من أبيات)) ذكر قبل هذا أنه أخذ الخبر عن ابن حيان في كتابه المقتبس. ولا يوجد هذا في المقتبس وقد طبع منه جزءان، وقد أشار المحقق في الهامش إلى عدم وجود الخبر في الجزء الثالث.

(١٨٦) خليفةُ اللهِ في بريّتِهِ ... يُسِرُّ للناسِ غيرَ ما يَجْهَرْ

(١٨٧) يا قمرَ الأرضِ إن تَغِبْ فلقدْ ... أقمتَ للناسِ كوكبًا يُزهِرْ

(١٨٨) ما فرحَ الناسُ مثلَ فرحتِهمْ ... لمّا أُقيلَ الأديبُ واستوزرْ

(١٨٩) وابتهجَ المُلكُ حينَ دبّرهُ ... عينُ الإمامِ التي بها يُبصِرْ

(١٩٠) قطبٌ عليهِ المدارُ أجمعُهُ ... في الأمرِ والرأيِ كلّما دبّرْ

(١٩١) لم يزلِ البيتُ طولَ مُدّتِهِ ... أعمى فلمّا استوى بهِ أبصرْ

((١٠٩)) (١) (٢)

((بسيط))

(١) خَرَجْتُ أَجْتَازُ قفرًا غيرَ مُجتازِ — فصادَفَني أَشْهَلُ (٣) العينَيْنِ كالبازي

(٢) صقرٌ علَى كفّهِ صقرٌ يهوّ لِقلبه — ذا فوق بغلٍ وهَذا فوْقَ قُفّازِ

(٣) كَمْ موعدٍ لي مِنَ الْحاظِ مُقلتيه — لو أنّه موعدٌ يُقضى بهِ نجاز

(٤) أبكي ويضحَكُ منّي طرفُهُ هُزؤًا — نفْسي الفدَاءُ لِذَاك الضاحِكِ الهازِي

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٣

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الثاني من البسيط وهو المقطوع في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في اللسان الشهلة في العين : أن يشوب سوادها زرقة .

حـــــــــرف الـــــــــسيـــــن

((١١٠))

وقلت فيه (١) (٢) : ((بسيط))

(١) صحيفةٌ كُتِبَتْ (٣) ليتُ بها وَعَسَى عُنوانُها راحةُ الراجِي إذا يَئِسا

(٢) وعدٌ (٤) لهُ هاجِسٌ في القلبِ (٥) قد بَرِمَتْ أحشاءُ صدري به من طُولِ ما حَبَسا (٦)

(٣) يَراعةٌ (٧) غَرَّني منها وميضُ سَنَىً حتّى مددتُ إليها (٨) الكفَّ مقتبِسا

(٤) فصادفَتْ حجرًا لو كنتَ تضربُهُ مِن لُؤمِهِ بعَصا موسى لما انبجَسا

(٥) كأنّما صِيغَ مِن بُخلٍ (٩) ومن كَذِبٍ فكانَ ذاكَ لهُ روحًا وذا نَفَسا

(٦) كلبٌ يَمُرُّ إذا ماجاءَ زائِرُهُ حتّى إذا جاءَهُ مُهدِي تُحفةٍ بَسَا

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٥٢ ماعدا البيت الاخير وكذلك في العقد ج ٢ ص ٣٦٩ — وفي العقد ج ٦ ص ١٩٠ وردت الابيات الاربعة الاخيرة — المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٤٣٨ وردت الابيات : الثالث والرابع والخامس .

(٢) إشارة إلى قوله السابق : ((ومن قولنا في رجل كتب إلي بعدة في صحيفة ومطلني بها)) .

(٣) في العقد ج ٢ : ((أُنفيت)) وفي هامشه ((فيما مر من الجزء الاول (ص ٢٩٢) من هذه الطبعة : ((كتبت ، وفي هامش الجزء الاول من العقد ((كذا في ا - والذي في سائر الاصول : ((فنيت)) .

(٤) في هامش العقد ج ١ : ((في ا : ((عند)) .

(٥) في هامش العقد ج ٢ : ((كذا في ا ، ي والذي في سائر الاصول ((في الفدر))

(٦) في العقد ج ٢ ((ما أنحبسا))

(٧) في العقد ج ٢ ((مواعد)) وفي هامش العقد ج ٦ ((اليراع ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة يراعة)) .

(٨) في العقد ج ٦ ((إليه)) .

(٩) في اليتيمة ((لوء م))

((١١١))

ومن قولنا في هذا المعنى (١)(٢)

((كامل))

(٧) اللهُ جرَّدَ للندى والباسِ ... سيفًا تقلّدهُ أبا العبّاسِ

(٨) ملكٌ إذا استقبلتَ غرّةَ وجهِهِ ... قبضَ الرجاءُ إليكَ (٣) روحَ اليأسِ

(٩) وجهٌ عليهِ (٤) مِنَ الحياءِ سكينةٌ ... ومحبّةٌ تجري مَعَ الأنفاسِ

(١٠) وإذا أحبَّ اللهُ يومًا عبدَهُ ... ألقى عليهِ محبّةً للناسِ.

((١١٢))

ومن قولنا في هذا المعنى (٥)(٦):

((سريع))

(١١) من يرتجي غيرَكَ (٧) أو يتّقي ... وفي يديكَ الجودُ والباسُ

(١٢) ما (٨) عشتَ عاشَ الناسُ في نعمةٍ ... وإن تمتْ ماتَ بكَ الناسُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٦٩ ؟ وفي ج ٢ من العقد ورد البيتان : الثالث والرابع. قال ابن عبد ربه في تقديمهما : ((ومن قولنا في هذا المعنى :(أي في معنى قول الرسول (ص) إذا أحب الله عبدا حببه إلى الناس)) - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٨ ، ٧٩ البيتان : الثالث والرابع .

(٢) أي في معنى الاستمناح ، وأضاف ابن عبد ربه يقول : ((ودخلت على أبي العباس القائد فأنشدته)) .

(٣) في الهامش ((في ا : ((لعديك)))) .

(٤) في هامش العقد ج ١ ((كذا في يتيمة الدهر . والذي في الاصول : ((وبه عليك)) مكان قوله ((وجه عليه)) . (٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٧ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٧ . (٦) أي : في الذي ينفع ويضر .

(٧) في اليتيمة ((بعدك)) .

(٨) في اليتيمة ((إن)) .

((١١٣))

فلما وصل البيتان إلى عمه أجابه بأبيات منها (١) : ((كامل))

(١٣) أَلْفَيْتَ بُقراطًا وجالينُوسا (٢) لا يأكُلان ويَرْزَأْ انِ جليسَا

(١٤) فجعلتهُمُ دونَ الأقاربِ جُنَّةً (٣) ورضيتَ منهُما صَاحبًا وأنيسَا

(١٥) وأظُنَّ بُخلكَ لا يُرَى لكَ تارِكًا حتَّى تُنَادِم بعدهُمْ إبليسَا

((١١٤)) (٤)(٥)

((كامل))

(١٦) طلعَتْ لهُ والليلُ دامِسٌ شمسٌ تجلَّتْ في حنادِسٌ (٦)

....

(١) صاعد : طبقات الامم ص ٧٩ وعن مناسبة هذه المقطوعة يقول صاعد وهو يتحدث عن سعيد الطبيب ابن اخي ابن عبد ربه : ((وذكر عنه أنه فصد يوما فبعث الى عمه أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر الاديب راغبا إليه في أن يجوز عنده مؤنسا له فلم يجبه عمه إلى ذلك فكتب إليه :

لما عدمت مؤنسا وجليسا نادمت بقراطا وجالينوسا

وجعلت كتبهما شفاء تفردي وهما الشفاء لكل جرح يوسى

فلما وصل البيتان ...)) ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ص ٤٩٠ . يذكر نفس المناسبة ولكنه يضيف بيتا ثالثا بعد البيتين وهو :

ووجدت علمهما إذا حصلته يذكي ويحيي للجسوم نفوسا

ـ ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ وهو يورد المناسبة نفسها .

(٢) في طبقات الاطباء ترجمتان مطولتان للطبيبين اليونانيين اللذين أشار اليهما ابن عبد ربه ، انظر ص ٤٣ وما بعدها وترجمة الثاني ص ١٠٩ وما بعدها .

(٣) في هامش الطبقات ((وهي رواية ب (يقصد ابن أبي أصيبعة) وفي الاصول محنة))

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٧ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٨ .

(٥) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب السادس من الكامل وهو المجزوء المرفل في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٦) في اللسان ، الحندس : الظلمة ، وفي الصحاح الليل الشديد الظلمة .

(١٧) تختالُ في ليسٍ (١) المجـ   ـسدِ (٢) بين حارسةٍ وحارسْ

(١٨) يا من بهمّةِ جسمِه   يستأسرُ البطلَ الممارسْ

(١٩) لم يبقَ من قلبي سوى   رسمٍ تغيّر فهو دارسْ

((١١٥))

وقوله من قولنا (٣) (٤):   ((رجز))

(٢٠) لم يبقَ من جثمانِهِ   إلّا حُشاشةٌ (٥) ما تُحسّ

(٢١) قد رقّ حتّى ما يُرى   بل ذاب حتّى ما يُحسّ

((١١٦))

وله من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ... أحد ملوك بني أمية (٦) :   ((كامل))

(٢٢) بالمنذرِ بنِ محمدٍ   شَرُفتْ بلادُ الأندلُسْ

(٢٣) فالطيرُ فيها ساكنٌ   والوحشُ فيها قد أنِسْ (٧)

....

(١) في اليتيمة ((صفر))

(٢) في اللسان الثوب المجسد : هو المشبع عصفراً أو زعفراناً ... وهو المصبوغ المشبع بالجسد وهو الزعفران والعصفر

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٠٤

(٤) أي في النحول

(٥) في اللسان الحشاشة : بقية الروح في المريض

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٣

(٧) بعد البيتين أورد ما يلي ((قال الوزير ابن المغربي في كتاب أدب الخواص : وقد روى أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبي تميم معد المعز لدين الله وساءه ما تضمنته من الكذب والتمويه إلى أن عارضها شاعره الايادي التونسي بقصيد له التي أولها :

ربع لزينب قد درس   واعتاض من نطق خرس

وهذا الشاعر هو أبو الحسن علي بن محمد الايادي التونسي)) •

((١١٧))

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلي عنب ومعها : (١) ((بسيط))

(١) أهديتُ بيضًا وسُودًا في تلَوُّنها كأنّها من بناتِ الرومِ والحَبَشِ

(٢) عذراءُ تُؤكَلُ أحيانًا وتُشرَبُ أحيانًا فتعصِمُ من جوعٍ ومن عطشِ

((١١٨)) (٢) (٣)

((كامل))

(٣) دعْ قولَ واشيةٍ وواشِ ي واجعلْهما كلبَيْ هِراشِ (٤)

(٤) واشرَبْ معتَّقةً تَسَلْسَلُ (٥) في العظامِ وفي المُشاشِ (٦)

(٥) حتّى ترى العودَ المُسِنَّ بها أرقَّ من الخَشاشِ (٧)

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ٢٨٥
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٧ ، البيت الثالث غير موجود - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٨ .
(٣) أورد ابن عبد ربه البيتين للضرب السابع من الكامل وهو المجزوء المذيل (في الهامش : في أ ، ن : (المذال)) في سياق النقد بم لقال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(٤) في اللسان الهراش والاهتراش : تقاتل الكلاب .
(٥) في اللسان ، تسلسل الماء : جرى .
(٦) في اليتيمة ((المحاشي)) وفي اللسان المشاش : كل عظم لا مخ فيه
(٧) في هامش اليتيمة ((العود : الجمل المسن والخشاش : حشرات الارض)) .

حرف الصاد

((١١٩))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((كامل))

(١) فلئن سمعت نصيحتي وعصيتها ... ما كنت أول ناصح مقصي

((١٢٠)) (٣) (٤)

((وافر))

(٢) غزالٌ من بني العاص ... أحسّ بصوت قنّاص

(٣) فأتلع (٥) جيده ذعرا (٦) ... وأشخص أيّ إشخاص (٧)

(٤) أيا من أخلصت نفسي ... سواه كلّ إخلاص

(٥) أطاعك من صميم (٨) القلب عفوا كلُّ معتاص

((١٢١))

((سريع))

(٦) بكيت حتى لم أدع عبرةً ... إن حملوا الهودج فوق القلوص (٩) (١٠)

(٧) بكاء يعقوب على يوسف ... حتى شفى علّته بالقميص

(٨) لا تأسف الدهر على ما مضى ... والحق الذي ما دونه من محيص
((قد يدرك المبطي من حظّه ... والخير قد يسبق جهد الحريص))

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٦٥ . (٢) أي في المشورة .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٥ . (٤) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للعروض الثالث من الوافر وهو المجزوء المعصوب في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض))

(٥) في اللسان تلع الظبي والثور من كناسه : أخرج رأسه وسما بجيده . وأتلع رأسه : أطلعه فنظر . (٦) في اليتيمة ((حذرا)) . (٧) في اللسان شخص يشخص شخوصا : ذهب . (٨) في اليتيمة ((ضمير)) .

(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٥ . (١٠) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المكسوف المطوي اللازم الثاني والضرب الموقوف المطوي اللازم الثاني .

حـــــــــــرف الـــــضـــاد

((١٢٢)) (١) (٢)

((كــامــل))

(١) فـي الكِلَّة الصفـراء ريم أبيـض ... يشـفي (٣) القلوب بمُقلتيهِ ومُمْـرِضُ

(٢) لمَّا غـدا بـين الحُمُـول (٤) مُقوِّضًا (٥) ... كـادَ الفـؤاد عـن الحياة يُقـوِّضُ

(٣) صدَّ الكرى عن جفنِ عينك مُعرضًا ... لمـا رآه يصُـدُّ عنك ويُعـرِضُ

(٤) أثَّبيتُ من حُبِّي إليك مريضـةً ... إن كـان حبُّ الخلقِ ممَّا يُمْـرِضُ

((١٢٣)) (٦) (٧)

((طــويـل))

(٥) وروضـةِ وردٍ حـفَّ بالسوسَنِ الغضِّ ... تحـلَّت بلـون السام (٨) والذهَبِ المحْضِ

(٦) رأيـتُ بهـا بـدرًا على الارض ماشيًا ... ولـم أرَ بـدرًا قـطُّ يمشي على الأرضِ

(٧) إلى مثلـهِ فلتصْبُ إن كنتَ (٩) صابيًا ... فقـدْ كانَ (١٠) منهُ البعضُ يصبو إلى البعْضِ

(٨) وكلُّ وردَ خـدّيْهِ ورمّـانَ صـدرِه ... بـه حرّمـوا على عضٍّ وعضّي على عضِّ (١١)

(١) ابن عبد ربه العقد ج٥ ص٥١٥ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص٧٩ البيت الرابع غير موجود
(٢) أورد ابن عبد ربه هذه القطوعة للعروض الاول من الكامل وهو التام ضربه مثله في سياق التقديم لمثال سابق ص٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) • (٣) في اليتيمة ((يشفـي))
(٤) في اللسان الحمول والحمولة بالضم : الاجمال التي عليها الاثقال خاصة •
(٥) في اللسان، تقوض البيت : إذا انهدم سواء كان بيت مدر أو شعر •
(٦) ابن عبد ربه : العقد ج٥ ص ٤٤٣ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص٨٣ قال ((وقوله في التضمين)) • (٧) أورد ابن عبد ربه القطوعة مثالا للطويل عروضه مقبوض والضرب سالم
(٨) فـي اللسان، السامة : عرق في الجبل مخالف لجبلته إذا أخذ من المشرق إلى المغرب لم يخلف أن يكون فيه فضة ، والجمع سام ، وقيل : السام عروق الذهب والفضة ، واحدته سامة • (٩) في اليتيمة ((تصبو إذا كنت)) •
(١٠) فـي اليتيمة ((كـــاد))
(١١) هذا البيت غير موجود في اليتيمة •

(٩) وقلْ للذي أفنَى الفؤادَ بحبّهِ ... علَى أنّه يَجْزِي المحبّةَ بالهُجْرِ
((أيَا منذِرا أفنيتَ فاستبقِ بَعْضنَا ... حَنانيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ))
((١٢٤))

وقوله (١) : ((متقارب))

(١٠) أأحرمُ منكَ الرِّضا ... وتذكرُ ما تدّعي (٢)(٣)

(١١) وتُعرِضُ عن هائمٍ ... أبى عنك أن يُعرِضا

(١٢) قضى الله بالحبِّ لي ... فصبرًا على ما قضى

(١٣) رمَتْ فؤادي فما ... تركتَ به مَنْهَضا

((فقوسُكَ شِريانةٌ ... ونَبْلُكَ جمرُ الغَضا))

....

(١) في اليتيمة ((يغني))
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٣) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض المجزوء المحذوف المعتمد ضربه مثله .))

((١٢٥)) (١) (٢)

((بسيط))

(١) يا غُصنًا مالسًا بين الرِّياطْ (٣) مالِيَ بعدَك (٤) بالعيشِ اغتباطْ

(٢) يا من إذا ما بدا (٥) لي ماشيًا وددْتُ أنَّ له خدِّي بساطْ (٦)

(٣) تتركُ عيناه من أبصرهُ (٧) مختلطًا عقلهُ (٨) كلَّ اختلاطْ

(٤) قلتُ : متى نلتقي يا سيِّدي ؟ قالَ : غدًا نلتقي عند الصراطْ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٣ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٥

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب الثالث من البسيط وهو المجزوء المذال في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجم وضروب العروض)) .

(٣) في اليتيمة ((الرياط)) . وفي اللسان، الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين ، وقيل : الريطة كل ملاءة غير ذات لفقتين كلها نسج واحد وقيل : هو كل ثوب لين دقيق . والجمع ريط ورياط

(٤) في اليتيمة ((ماليَ من بعدُ)) . وفي هامشها ((في ا ، ب - مالي من بعدك بالعيش اغتباط - ولا يستقيم به الوزن)) .

(٥) في اليتيمة ((ما ابتدى)) .

(٦) في هامش اليتيمة ((في ا ، ب - وددت لو أن له خدي بساط - ولا يستقيم عليه الوزن)) .

(٧) في اليتيمة ((يبصره)) .

(٨) في اليتيمة ((مختلط اللب))

حـــــــــرف الــــظـــاء

((١٢٦)) (١) (٢)

((بسيط))

(١) يا ساحرًا طرفُه إذ يلحظ ... وفاتنًا لفظَهُ إذ يلفظُ

(٢) يا غصنًا بنثني من لينه ... وجهُك من كلّ عينٍ يحفظُ

(٣) أيقظ طرفي إذ بدا من نعسةٍ (٣) ... من طرفُهُ ناعسٌ مستيقظُ

(٤) ظبيٌ له وجنةٌ من رقّةٍ ... تجرحُها مقلتي إذ تلحظُ (٤)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج٥ ص ٥١٤ - الثعالبي : اليتيمة ج٢ ص٩٦ .

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الرابع من البسيط وهو المجزوء السالم في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجاء وضروب العروض)) .

(٣) في حاشية العقد ((في بعض الاصول : ((إذا ما قد بدا)) . وفي هامش اليتيمة ((في ا ((أيقظني إذ جاء ني)) وفي ب ((أيقضني إذ جاء من نفسه)) ولا يستقيم عليهما وزن البسيط)) . ورواية اليتيمة لصدر البيت : ((أيقظ إذ جاءني من نفسه)) .

(٤) رواية اليتيمة للعجز : ((تجرحها مقلة من يلحظ)) .

((١٢٧))

ومن قولنا في الحروب (١) : ((سريع))

(١) وحومةٍ غادرتَ فرسانَها ... في مَعركٍ للحربِ جعجاعِ (٢)

(٢) مستلحِمٍ (٣) بالموتِ مستشعِرٍ (٤) ... مفترقٍ للشملِ جمّاعِ

(٣) وبلدةٍ صحصحتَ منها (٥) الرُّبا ... بفيلقٍ كالسيلِ دفّاعِ

(٤) كأنّما باضتْ نعامُ الفلا ... منهمْ بهامٍ فوقَ أدْراعِ (٦)

(٥) تَراهُم عندَ احتماسِ الوغى ... كأنّهمْ جِنُّ بأجْراعِ (٧)

(٦) بكلِّ مأثورٍ (٨) على مَتْنِهِ ... مثلُ مَدبِّ النمْلِ في القاعِ (٩)

(٧) يرتدُّ طرفُ العينِ منْ حدِّهِ (١٠) ... عنْ كوكبٍ للموتِ لمّاعِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١٤

(٢) في الهامش ((الجعجاع : الموضع الضيق الخشن)) .

(٣) في اللسان ، ألحم الرجل الحامل واستلحم استلحاما : إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا . (٤) في اللسان ، استشعر القوم : اذا تداعوا بالشعار في الحرب وفي هامش العقد ((كذا في ا ، والذي في بقية الاصول : ((مستعبر)) وهو تحريف .

(٥) في الهامش ((صحصحت منها الربا ، أي جعلت مرتفعا تها صحصحا ، وهو ما استوى من الارض ، كالصحصاح)) .

(٦) واحده درع وجمع الكثرة : دروع .

(٧) في الهامش ((الاجراع : الاراضي ذات الحزونة ، وقيل : هي الرمال السهلة المستوية)) .

(٨) في اليتيمة ((منشور)) .

(٩) أورد ابن عبد ربه هذا البيت والذي بعده في نفس الجزء ص ١٨٥ قبلها : ((ومن قولنا في وصف السيف)) . وورد البيتان في اليتيمة ج ٢ ص ٧٧ . في العقد ص ١٨٥ وفي اليتيمة ((بالقاع)) . وفي هامش العقد ص ١١٥ ((المأثور : السيف الذي في متنه أثر ، وهو فرنده . والقاع : الارض السهلة)) . وفي الهامش ص ١٨٥ : ((كذا في اكثر الاصول والمأثور ذو الاثر . وهو فرند السيف ، أي ماؤه ورونقه . والقاع : الارض السهلة المطمئنة ، والذي في ا : ((مدب الذر بالقاع))

(١٠) في اليتيمة ((عن حده)) .

((١٢٨))

ومن قولنا في وصف الرمح والسيف(١): ((طويل))

(٨) بكلِّ رُدَيْنِيٍّ (٢) كأنَّ سنانَهُ شهابٌ بدا في ظُلمةِ الليلِ ساطعُ

(٩) تقاصرتِ الآجالُ في طولِ مَتْنِهِ وعادَتْ بهِ الآمالُ (٣) وهْيَ فجائعُ

(١٠) وساءَتْ ظنونُ الحرْبِ في حُسنِ ظنِّهِ فهُنَّ ظُباتٌ(٤) للقلوبِ قوارعُ

(١١) وذي شُطَبٍ(٥) تقْضي المنايا بحُكْمِهِ وليسَ لِما تقْضي المنيَّةُ دافعُ

(١٢) فِرِنْدٌ إذا ما اعتَنَّ(٦) للعيْنِ راكدٌ وبرقٌ إذا ما اهتزَّ بالكفِّ لامعُ

(١٣) يُسلِّلُ أرواحَ الكماةِ (٧) انسلالُهُ ويرتاعُ منهُ الموتُ والموتُ رائعُ

(١٤) إذا ما التقَتْ أمثالُهُ في وقيعةٍ هنالك ظنُّ النفسِ بالنفْسِ واقعُ(٨)

((١٢٩))

ونظير هذا في قولنا (٩) (١٠): ((كامل))

(١٥) أدعُو إليكَ (١١) فلا دعاءٌ يُسمَعُ يا مَنْ يضُرُّ بناظرَيْهِ وينفَعُ

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١٥٨ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٦، ٧٧ ماعدا البيت الاخير • (٢) في اللسان، القناة الردينية والرمح الرديني ، زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهري ، تسمى ردينة •

(٣) في هامش العقد ((في ا ، ((الايهام)) • (٤) هكذا بالتاء المفتوحة في العقد واليتيمة • وفي اللسان في مادة ظبب ، ظبة السيف ، وهو طرفه ، ويجمع على الظباة والظبى • وفي هامش العقد ((كذا في اليتيمة • والذي في الاصول : ((فهن لحيات القلوب))

(٥) في هامش العقد ((الشطب : الطرائق في السيف)) •

(٦) في هامش العقد ((فرند السيف : جوهره ووشيه • واعتن : ظهر)) •

(٧) في اللسان الكميت : لون ليس بأشقر ولا أدهم ••• يكون في الخيل والابل وغيرهما •

(٨) في هامش العقد ((يريد أن النفس إذا ظنت الموت في هذه الموقعة فهو واقع بها لا محالة

(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٠٠ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٢ ماعدا البيت الثالث

(١٠) أي ((في رقة التشبيب وحسن التشبيه)) •

(١١) في الهامش ((في بعض الاصول : ((عليك)) •)) •

(١٦) للــوْردِ حــينٌ ليسَ يطلُــعُ دونَــه　　　والوردُ عنــدَكَ كــلَّ حــينٍ يطلُــعُ

(١٧) لــم تنـصدعْ كبــدي عليكَ لضَعْفِهــا　　　لكنّهــا ذابَــتْ فمــا تتــصــدَّعُ

(١٨) مــنْ لي بأحْــورَ ما يُبيــنُ لسانُــه　　　خجَــلاً وسيــفُ جفــونِــه ما يقطَــعُ (١)

(١٩) منــعَ الكــلامَ ســوى إشــارةِ مقلــةٍ　　　فَبِهــا (٢) يكلّمــني ، وعنــها يسمَــعُ

((١٣٠))

وقــد قلــتُ فــي ذلــك (٣) (٤)　　　((طــويــل))

(٢٠) إذا كنــتَ تأتــي المــرءَ تُعظِــم حقَّــه　　　ويَجْهلُ منــكَ الحــقَّ فالهجرُ (٥) أوسَعُ

(٢١) وفــي النــاسِ أبــدالٌ (٦) وفي الهجْرِ راحةٌ　　　وفــي النــاسِ عمَّــنْ لا يُــواتيــكَ (٧) مَقنَعُ

(٢٢) وإنَّ امــرأً يــرضَى الهــوانَ لنفــســهِ　　　حــريٌّ بجَــدْعِ الأنْــفِ والأنْفُ أسنَعُ (٨)

((١٣١)) (٩) (١٠)

((كــامــل))

(٢٣) أوْمَــتْ (١١) إليكَ جفــونُها بــوَداعِ　　　خَــوْدٌ (١٢) بــدَتْ لك من وراءِ قِنــاعِ

....

(١) في اليتيمة ((لايقطع)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((ما يقلــع)))) .
(٢) في اليتيمــة ((منهـــا)) .　(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٧٦ .
(٤) في حــاشية الكتاب : ((عود إلى ماقالــه الشعراء في الحجاب)) .
(٥) في الهامش ((كذا في ا ، والذي في سائر الاصول : ((فالبحر)) . وهو تحريف)) .
(٦) في اللسان الابدال : الاولياء والعباد ، سموا بذلك لانهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخــر .. والابــدال جمع بَــدَل وبِــدْل .
(٧) في الهامش ((في ا ، ((عمال يواتيــك)) . وفي بقية الاصول : ((غم لا يواتيــك)) . وهو تحريف في جميعــها .
(٨) في الهامش ((الاسنع : المرتفع العالي ، ومنه شرف أسنــع ، إذا كان كذلك . والذي في سائر الاصول : ((اشنع)) بالشــين المعجمــة ، وهو تصحــيف .
(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٦ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٧ .
(١٠) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب الثاني من الكامل وهو المقطوع في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليــف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(١١) في اليتيمــة ((أوحــت)) وفــي هامش العقد ((في ا ، ن : ((أوحــت)) .
(١٢) في اللسان : الخَوْدُ : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ... وقيل الجارية الناعمــة .

(١٦) للـوْردِ حـينٌ ليسَ يطلُـعُ دونَــه   والوردُ عنـدَك كـلَّ حـينٍ يطلُــعُ

(١٧) لـم تنصدعْ كبـدي عليكَ لضَعْفِهـا   لكنهـا ذابَتْ فما تتصــدَّعُ

(١٨) مـنْ لي بأحْـورَ ما يُبيـنُ لسانُـه   خجَـلاً وسيفُ جفونِـه ما يقطَـعُ (١)

(١٩) منَـعَ الكـلامَ سوَى إشـارةِ مقلةٍ   فيهـا (٢) يكلِّمـني ، وعنهـا يَسمَـعُ

((١٣٠))

وقـد قلـتُ في ذلـك (٣) (٤)   ((طـويـل))

(٢٠) إذا كنـتَ تأتِـي المرْءَ تُعظِـم حقَّـه   ويَجْهلُ منـكَ الحـقَّ فالهجرُ (٥) أوسَعُ

(٢١) وفـي النـاسِ أبـدالٌ (٦) وفي الهجْرِ راحةٌ   وفـي النـاسِ عمّن لا يُـواتيـكَ (٧) مَقنَعُ

(٢٢) وإنّ امـرأً يـرضَى الهَــوانَ لِنفسِــهِ   حـريٌّ بجَـدْعِ الأنْفِ والأنفُ أَسنَعُ (٨)

((١٣١)) (٩) (١٠)

((كـامـل))

(٢٣) أوَمَتْ (١١) إليكَ جفـونَها بـوَداعِ   خَـوْدٌ (١٢) بـدَتْ لك مِن وراءِ قِنـاعِ

. . . .

(١) في اليتيمة ((لايقطع)) وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((ما يقلسم)))) .
(٢) في اليتيمة ((منهـا)) . (٣) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٧٦ .
(٤) في حـاشية الكتاب : ((عود إلى ماقاله الشعراء في الحجاب)) .
(٥) في الهامش ((كذا في ا ، والذي في سائر الاصول : ((فالمحر)) . وهو تحريف)) .
(٦) في اللسان الابدال : الاولياء والعباد ، سمـوا بذلك لانهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .. والابـدال جمع بَـدَل وبِـدْل .
(٧) في الهامش ((في ا ، ((عطل يواتيك)) . وفي بقية الاصول : ((غم لا يواتيك)) . وهو تحريف في جميعها .
(٨) في الهامش ((الاسنع : المرتفع العالي ، ومنه شرف أسنع ، إذا كان كذلك . والذي في سائر الاصول : ((اشنع)) بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٦ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٧ .
(١٠) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب الثاني من الكامل وهو المقطوع في سياق المتقدم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(١١) في اليتيمة ((أوحت)) وفي هامش العقد ((في ا ، ن : ((أوحت)) .
(١٢) في اللسان : الخَوْدُ : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ... وقيل الجارية الناعمة .

(٢٤) بيضاءُ أنصاها (١) النعيمُ بصُفرةٍ فكأنّها شمسٌ بغيرِ شُعاعِ

(٢٥) أمّا الشبابُ فودّعتْ أيّامُه وَوَداعُهنّ موكَّلٌ بوداعي

(٢٦) للهِ أيّامُ الصبا لو أنّها كُرِّتْ عليَّ بلذّةٍ وسماعِ

((١٣٢))

ومن قولنا في هذا المعنى (٢) (٣) : ((طويل))

(٢٧) بُنَيَّ لئن أعيا الطبيبَ ابنَ مسلمٍ ضَناك وأعيا ذا البيانِ المُجَمْجِمِ

(٢٨) لأبتهلَنّ تحتَ الظلامِ بدعوةٍ متى يدْعُها داعٍ إلى اللهِ يُسمعِ

(٢٩) يقلقلُ (٤) ما بينَ الضلوعِ نشيجُها لها شافعٌ من عبرةٍ وتضرُّعِ

(٣٠) إلى فارجِ الكربِ المجيبِ لمنْ دعا فزعْتُ بكرْبي إنّه خيرُ مَفزعِ

(٣١) فيا خيرَ مدعُوٍّ دعوتُك فاستمِعْ ومالي شفيعٌ غيرُ فضلِك فاشفَعِ

((١٣٣))

وقوله (٥) : ((رمل))

(٣٢) أيُّها البدرُ الذي ضَنَّ علينا بالطلوعِ

(٣٣) رابشِعْ لي عندكَ قلبًا طارَ من بينِ ضلوعي

(٣٤) يا بديعَ الحُسنِ، كمْ لي فيكَ منْ وَجْدٍ بديعِ ؟

....

(١) في اليتيمة ((ما باعي)) .
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٢٧
(٣) أي في الدعاء . (٤) في اللسان القلقلة : شدة اضطراب الشيء وتحركه
(٥) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧

((١٣٤))

((وافــــر))

(٣٥) تجـافـى النـومُ بعـدَك عن جُفـوني ... ولكـن ليسَ تجْفـوها (١) الدمُوع (٢) (٣)

(٣٦) يطيـبُ لـيَ السهـادُ إذا افتـرقنـا ... وأنـتَ بـه يَطيـبُ لـكَ الهجُوع (٤)

(٣٧) يُـذكّرني تبسُّمُك الأقـاحِـي ... ويَحكي لـي تـورُّدك الربيـعُ (٥)

(٣٨) يطـيرُ إليـك من شـوقٍ فُـؤادِي ... ولكـن ليسَ تتـركُه الضـلوعُ

(٣٩) كـأنّ الشمس لمّا غِبتَ غابـتْ ... فليـس لها علَى الدُّنيـا طُلوعُ

(٤٠) فمـا لِـي من تـذكُّرك امتِنـاعٌ ... ودونَ لقـائِك الحصنُ المنيـعُ

((إذا لـمْ تستطِع شيئًا فـدَعْهُ ... وجـاوِزْهُ إلـى ما تستَطيـعُ)) (٦)

((١٣٥))

((رجــز))

(٤١) بيـاضُ شيْـبٍ قـدْ نصـعْ ... رفعتُـهُ فمـا ارتفَـعْ (٧) (٨)

(٤٢) إذا رأى البيـضَ انقمَـعْ ... من بيـنِ يـأْسٍ وطمَـعْ

(٤٣) لِلـهِ أيـامُ النَّخـمْ (٩) ... ((ياليتَـني فيهـا جَـذَعْ

أخُـبُّ فيهـا وأضَـعْ)) (١٠)

....

(١) في الاصل : ((يجفوها)) والمعتمد هنا ما في رواية اليتيمـة .
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥١ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٧ .
(٣) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المقطوفة والضرب المقطوف من الوافـر .
(٤) هذا البيت غير موجود في اليتيمة . (٥) جاء ترتيب هذا البيت في اليتيمة بعد البيت (٣٩
(٦) البيت في الحيوان لعمرو بن معد يكـرب ج ٣ ص ١٣٨ . (٧) العقد ج ٥ ص ٤٦٠
(٨) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المنهوك ، الضرب المنهـوك .
(٩) في اللسان ، نخع الشاة نخعا : ذبحها حتى جاوز المذبح . لعل الشاعر يرمز إلى أيام اللهو والفرح التي تكثر فيها الولائم والذبـائح .
(١٠) في الحاشية الكبرى للدمنهوري ص ٥٣ : ((هذا البيت يروى عن اثنين أحدهما وهو ورقة بن نوفل ... والثاني وهو دريد)) وفي هامش العقد : ((البيت لورقة ابن نوفل كما يروى لدريـد)) .

((١٣٦))

((سريع))

(٤٤) قلبي رهينٌ بين أضلاعي من بين إيناسٍ (١) وإطماعِ (٢) (٣)

(٤٥) من حيث ما يدعوهُ داعي الهوى أجابه لبيكَ مِنْ داعي

(٤٦) من لسقيمٍ طالَهُ عائدٌ وميتٌ ليس له ناعي

(٤٧) لمّا رأتْ عيناي لَيتي هنا رأتْ وَلَانَ لي مِن سَمْعِها واعي

((قالتْ ولم تقصدْ لقيلِ الخنَى : مهلاً لقد أبلغتَ أسماعي))

((١٣٧))

((مضارع))

(٤٨) أرى لِلصبا وَداعَا وما يذكر اجتماعَا (٤) (٥)

(٤٩) كأنْ لم يكُنْ جديرًا بحفظِ الذي أضَاعا

(٥٠) ولم يُضْنِنا سُرورًا ولم يُلهِنا سَماعَا

(٥١) فجدِّدْ وِصالَ صَبٍّ متى تعصِهِ أطَاعَا

((إنْ تدْنُ منهُ شِبرًا يُقربكَ منهُ بَاعا))

. . . .

(١) في الهامش ((في بعض الاصول : ((أبماس)) .))

(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٥ ، ٤٦٧

(٣) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للضرب الاصلم السالم .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٢

(٥) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا لعروض المضارع .

((١٣٨))

فأجابه أبو عمر (١) : ((وافــــــر))

(٥٢) حقيقٌ أنْ يُصاخَ (٢) لكَ استماعا — وأنْ يُعصَى العذولُ وأنْ تُطاعا

(٥٣) متى تكشِفْ قِناعَك للتصابي — فقدْ ناديْتَ من كشَفَ القِناعا

(٥٤) متى يمسِ الصديقُ إليّ فِتْرًا (٣) — مشيْتُ إليهِ من كرمٍ ذِراعا

(٥٥) فجدِّد عهدَ لهْوِك حينَ يُملى — ولا تُذهِبْ بما شِئتهُ ضَياعا

....

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٦٢ جاء رقبل المقطوعة عند ترجمة محمد بن عبيد الله بن أبي عبدة ما يلي ((ومن شعره إلى أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه :

أعدها في تصابيها جزاعا — فقد فُضَّتْ خواتمها نزاعا
قلوب يستخف بها التصابي — إذا سُكِبتْ لها طارت شعاعا

فأجابه أبو عمر)) (المقطوعة) — ابن الابار : الحلة السيراء ص ١٣٧ عن دوزي Notice sur quelques manuscrites arabes صرح بأخذه عن الحميدي

(٢) في اللسان : أصاخ له يصيخ إصاخة : استمع وأنصت لصوت

(٣) في اللسان : الفتر : ما بين طرف السبابة والابهام إذا فتحتهما .

((١٣٩)) (١) (٢)

((كـــامـــــل))

(١) أصفَى إليكَ بكأسِهِ مُصفِي ... صلْتُ(٣) الجَبينِ مُعقربُ الصُّدغِ

(٢) كأسٌ تَولّدُ (٥) بالمحبّةِ بيننا ... طورًا، وتنزغُ أيّما نزغِ (٦)

(٣) في روضةٍ درجتْ بزهرتها الصَّبا ... والشمسُ في درجٍ من الفرغِ (٧)

(٤) فاشربْ بكفِّ أغنَّ عقربُ صُدغِهِ ... لِلقلبِ منكَ مُهيتةٌ (٨) اللدغِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٧، ٩٨ .

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للضرب الثالث من الكامل وهو الاحذ المضمر في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطمات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في هامش اليتيمة ((الصلت : الواضح والبارز المستوى))

(٤) في اللسان صُدغٌ معقرَب بفتح الراء : أي معطوف . وشيء معقرب : معوّج

(٥) في اليتيمة ((تولد))

(٦) في هامش اليتيمة ((النزغ : الافساد بين الناس))

(٧) في هامش العقد ((الفرغ : كوكبان، هما فرغ الدلو المقدم والمؤخر، وهما منزلان للقمر . وقد جعلهما للشمس)) .

(٨) في هامش العقد ((في ن، ((منهية)))) .

حرف الفاء

((١٤٠))

ومن قولنا في الشباب (١) :

((منسرح))

(١) كنتُ إلفَ (٢) الصِّبا فودَّعني ودَاعَ من كان غيرَ منصرفِ

(٢) أيامُ لهوي كظلِّ إسحلةٍ وذا (٣) شبابي كروضةٍ أُنُفٍ (٤)

((١٤١)) (٥) (٦)

((كامل))

(٣) يا دُميةً نُصبتْ لمُعتكفِ (٧) بل ظبيةً أوفتْ على شَرفِ

(٤) بل دُرَّةً زهراءَ ما سكنتْ بحرًا ولا اكتنفتْ دُرًا صدفٌ (٨)

(٥) أسْرفتِ في قتْلي بلا تِرَةٍ (٩) وسمعتِ قولَ اللهِ في السَرَفِ

(٦) إنّي أتُوبُ إليكِ مُعترفًا إنْ كنتِ تقبلُ توْبَ (١٠) مُعترفِ

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٨ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩ قبل البيتين : ((وقوله فيه (أي في الشباب)))

(٢) في اليتيمة ((أليف))

(٣) في اليتيمة ((وإذ))

(٤) في هامش العقد ((الاسحلة : واحدة الاسحل ، وهو شجر يستاك به ، وقيل هو شجر يشبه الاثل ويغلظ حتى تتخذ منه الرحال . وروضة أنف : لم ترع)) .

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٦ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٨ .

(٦) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الرابع من الكامل وهو الاحذ الممنوع من الاضمار في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٧) رواية اليتيمة لصدر البيت : ((يا دُميةً ليستْ بمُعتكفِ))

(٨) رواية اليتيمة للعجز : ((بحرا ولا دُرًّا من الصدف))

(٩) في اللسان ترَّ الشيء : انقطع بضربه .

(١٠) في اليتيمة ((قولَ)) .

((١٤٢)) (١) (٢)

((كامل))

(١) يافتنةً بُعثت على الخلْقِ مابينها والموتِ من فرقِ

(٢) شمسٌ بدَتْ لكَ من (٣) مغاربِها يفترُّ مَبْسِمُها عن البرقِ

(٣) ماكنتُ أحسبُ (٤) قبلَ رؤيتِها للشمسِ مُطّلعاً سوى الشرقِ

(٤) يامَنْ مضى بفضْلِ نائلِهِ لتوفي يديه (٥) مفاتحُ الرزْقِ

((١٤٣))

ومن أحسن ما امتدح به ابنُ عبدِ ربِّه الاميرُ عبد الله بن محمد لأوّل جُلوسه في الخلافةِ قولُه في قصيدةٍ له مفضّلةٌ أوّلُها (٦): ((طويل))

(٥) أرقتُ وقلبي عنكَ ليس يفيقُ وأسعدتَ أعدائي وأنتَ صديقُ

(٦) وصدَّ الخيالُ الواصلي منكَ في الكرى بصدِّك عنّي فالفؤادُ مشوقُ

(٧) تعلّم منكَ الهجرَ لمّا هجرتَهُ فليس لهُ في مُقلتيَّ طريقُ

(٨) وتأبى عليَّ الصبرَ نفسٌ كئيبةٌ وقلبٌ بألطافِ (٧) الهمومِ رفيقُ

(٩) سهادٌ ودمعٌ بالهمومِ توكّلا فهذا موثّق فيهما وذاك طليقُ

....

(١) ابن عبد ربه العقد ج ٥ ص ٥١٧ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٨

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الخامس من الكامل وهو الاحذ المضمر في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجم وضروب العروض)) .

(٣) في اليتيمة ((في))

(٤) في اليتيمة ((أدري))

(٥) في اليتيمة ((بيديك))

(٦) المقتبس لابن حيان ج ٣ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

(٧) في الهامش ((بأضعاف)) في رواية .

(١٠) رشـًا (١) لـو رآهُ البدرُ يُشـرِقُ وجهُـهُ — لأظلَمَ وجُـهُ البـدرِ وهو شريـقُ

(١١) دقيـقٌ فيـرنـدِهِ الحُسنِ أمّا وِشاحُـهُ — فيـهفـو وأمّـا حِجْـلُهُ فيضِيـقُ (٢)

(١٢) يغُـضّ (٣) زمانُ الـوصْلِ لمّـا تطلّعتْ — لـواميـعُ فـي رأسِـي لمن يـروقُ

(١٣) سـلامٌ علـى عـهْدِ الشبـابِ الذي مضَـى — إذِ العيشُ غـضٌّ والزمانُ أنيـقُ

(١٤) وإذْ لبناتِ الخِـدْرِ نحْـوي تطلّـعٌ — كمـا لَمعتْ بيْنَ الغمامِ بُـرو قُ

(١٥) عطابيـلُ (٤) كالآرامِ أمّـا وُجـو هُهـا — فـبدُرٌ ولكـنَّ الخُـدودَ عقيقُ (٥)(٦)

(١٦) سفَرْنَ قِنـاعَ الحُـسنِ عنهـا فأشْرقتْ — مَصابيـحُ أبْـوابِ السماءِ تَـروقُ

(١٧) أشِبْـهَ نِعـاجِ الرمْـلِ (٧) هـلْ مَنْ بقيّـةٍ — ولـو سببٌ من وصْلِكـنَّ دقيـقُ

(١٨) لقـدْ بـتَّ حبـلَ الوصلِ وهو وثيـقُ — حُسـامٌ من الهجرانِ ليس يليـقُ

(١٩) فـلا نيْـلَ إلا أنْ أخـالِسَ لحظَـةً — ولا وصْـلَ إلا أنْ ينِـمّ شَهيـقُ (٨)

(٢٠) وأنْ تبسِـطَ الآمـالُ فـي ساحـةِ العُـلا — رجـاءً يُـداوي الشـوقَ وهـو مشوقُ

(٢١) وإنّـي لأُبـدي لِلـوُشـاةِ تبسُّـمًـا — وإنسـانُ عيـني فـي الدمـوعِ غريـقُ

أطـالَ النسـيبَ وأرقّـهُ ثـمّ خـرجَ إلى المـدْحِ فقـال :

. . . .

(١) في اللسان ((الرشأ على فعَـلٍ بالتحريك : الظبي إذا قويَ وتحرّك ومشى مع أمه)) .

(٢) أصـل الفرند : وشي السيف ويقصد به هنا زينتهـا ، والوشاح لباس تشده المـرأة بـين عاتقيهـا وكشحيهـا يريد ((يهفـو)) : يتحرك لضمور بطنها لانها هيفـاء ويقصد بقول ((وأما حجله فيضيق)) امتلاء موضع الخلخال منها حتى ليبـدو ضيقـا .

(٣) في اللسان يغُضّ : ينقص أو يكف .

(٤) في اللسان جاريـة عطبـل وعطبول : جميلة فتية ممتلئة طويلة العنق

(٥) ورد هذا البيت في العقد ج ٦ ص ١١٦

(٦) البيت في المقتبس ((عياطيل كالآرام أما وجوهها — بدور ولكن الخدود عقيق)) وقد اثبت روايـة العقد .

(٧) في اللسان نعاج الرمل : هي البقر واحدتها نعجة ، قال الفارسي : العرب تجري الظباء مجرى المعز ، والبقر مجـرى الضـأن .

(٨) في اللسان شهق : ردد البكاء في صدره ، والشهيق رد النفس والزفير إخراجه .

(٢٢) ولي قولةٌ في الناسِ لا أبتغي بها ... مِنَ الناسِ إلاَّ أنْ يُقالَ صديقُ

(٢٣) ألا تشكرونَ اللهَ إذ قامَ فيكُمُ ... إمامُ هدًى في المكْرُماتِ عريقُ

(٢٤) وأحكمَ حُكمَ اللهِ بينَ عبادِهِ ... لسانٌ بآياتِ الكتابِ طليقُ

(٢٥) خلافةُ عبدِ اللهِ حجٌّ على الورَى ... فلا رفثٌ في عصْرِها (١) وفُسوقُ (٢)(٣)

(٢٦) إمامُ هدًى أحيا لنا مُهجةَ الهُدَى ... وقدْ جشأتْ (٤) لِلموْتِ فهي تفُوقُ

(٢٧) حقيقٌ بما نالتْ يداهُ مِنَ العُلاَ ، ... وما نالَنَا مِنْها بِه نحَقِيقُ

(٢٨) يدبِّرُ مُلكَ المغربيْنِ وإنَّهُ ... بتدْبيرِ مُلكِ المشرِقيْنِ خليقُ

(٢٩) تجلَّتْ دياجي (٥) الحيْفِ عَنْ نورِ عدْلِهِ ... كما ذَرَّ (٦) في جنْحِ الظَّلامِ شُروقُ

(٣٠) وثقَّفَ سُمْرَ الدينِ بالعدْلِ والتقَى ... فهذا لَهُ نصْلٌ وذلِك فُوقُ

(٣١) وأعلنَ أسبابَ الهُدَى بضميرِهِ ... فليْسَ لهُ إلاَّ بِهِنَّ علُوقُ

(٣٢) وما عاقَهُ عنْها عوائِقُ ملكِهِ ... وأشْغالُهُ (٧) عنْ مِثلِهنَّ تعُوقُ

(٣٣) إذا فتِّحتْ جنَّاتُ عدْنٍ وأُزْلِفتْ ... فأنْتَ بِها لِلأنْبياءِ رفيقُ

وهي طويلةٌ بعيدةٌ جدًّا ، وإحسانُهُ فيه سائرٌ مشهورٌ .

....

(١) في البيان المغرب ((عصره))

(٢) البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ١٢١ أورد الابيات : ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢

(٣) ضمن البيت معنى الآية الكريمة ((فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رفثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحجّ)) سورة البقرة . ٢/ ١٩٧

(٤) في اللسان جشأت نفسه تجشأ جشوءًا : ارتفعت ونهضت إليه وجاشت من حزن أو فزع .

(٥) في المقتبس ((رياح)) وقد أثبت رواية البيان المغرب .

(٦) المقتبس ((در)) بالدال المهملة وقد أثبت رواية البيان المغرب ، في اللسان ذَرَّت الشمس: طلعت وظهرت ، وقيل هو أول طلوعها . وشروقها أول ما يسقط ضوءها على الارض والشجر .

(٧) في البيان المغرب ((وأشغالها)) .

((١٤٤))

وكان الناصر قد خرج يوما على فرس أبلق في هيئة جليلة والوزراء قد حفوا به فقال ابن عبد ربه في ذلك مرتجلا (١) :

((سريع))

(٣٤) بدرٌ بدا من تحته أبلقُ (٢) ... يحسد فيه المغربَ المشرقُ

(٣٥) لو يعلمُ الأبلقُ مَنْ فوقَهُ ... لاختالَ مِنْ عُجْبٍ به الأبلقُ

(٣٦) إمامُ عدلٍ باسطٌ كفَّهُ ... يرزقُ منها اللهُ مَن يُرزقُ

(٣٧) عادَ بهِ الدهْرُ الذي تَشْتَهِي ... وجدَّ واللهِ بهِ المُخلَقُ

((١٤٥))

ومثله (٣) (٤) :

((كامل))

(٣٨) يا لؤلؤًا يسبي العقولَ (٥) أنيقَا ... ورشًا (٦) بتقطيعِ (٧) القلوبِ رفيقَا (٨)

....

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٢٧ . (٢) في اللسان البَلَق والبُلقة مصدر الابلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ج ٦ ص ١١٦ البيتان : الاول والثاني — ابن خاقان : المطمح ص ٥٩ ، ٦٠ قال : ((أخبرني بعض الملية أن الخطيب أبا الوليد بن عباد (معجم الادباء : ((ابن عسال)) النفح ج ٣ ((ابن عيال)) وفي هامشه ((المطمح ٥٢ وفيه : أبا الوليد ابن عباد ، وفي م : ابن عتال)) النفح ج ٧ ((ابن عيال)) وفي هامشه ((كذا هنا وفي بعض أصول المطمح ((ابن عتال) فلما انصرف تطلع إلى لقاء المتنبي واستشرف ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها ، وحلة فخر لا يحتسبها : فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص تفاوضه قليلا ثم قال أنشدني لمليح الاندلس يعني ابن عبد ربه فانشده (المقطوعة) فلما أكمل إنشاده استعاده منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا — ابن سعيد : عنوان المرقصات والمطربات ، ص ١٢ . قال ((وقوله الذي حكم له المتنبي بسطاعه أنه شاعر الاندلس)) — ابن سعيد : رايات المبرزين ص ٤٧ ، البيتان الاول والثاني — المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٥٦٤ ، ج ٥ ص ٥٩٩ ، ج ٧ ص ٥١ ، ذكر في جميعها نفس المناسبة نقلا عن صاحب المطمح — ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ أورد المقطعة السابقة بنصها رواها عن الحميدي .

(٤) إشارة إلى قوله السابق ((ومن قولنا في رقة النسيب وحسن التشبيه .

(٥) في هامش العقد ج ٥ ((في ن : (القلوب))) .

(٦) في اللسان ، المرشأ : الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه .

(٧) في رايات المبرزين وفي النفح ج ٣ ((بتعذيب))

(٨) في رايات المبرزين ((خليقا)) .

(٣٩) ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِهِ ... دُرًّا يعودُ من الحياءِ (١) عقيقا (٢)

(٤٠) وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهِهِ ... أبصرتَ (٣) وجهكَ في سناهُ غريقا

(٤١) يا مَنْ تقطَّعَ خصرُهُ من رقّةٍ (٤) ... ما بالُ قلبِكَ لا يكونُ رقيقا

((١٤٦))

ومن قولنا في هذا المعنى (٥) (٦) : ((بسيط))

(٤٢) بيضاءُ يحمرُّ خدَّاها إذا خجلتْ ... كما جرى ذهبٌ في صفحتَيْ ورقِ

((١٤٧))

ومن قولنا في المعنى (٧) (٨) : ((منسرح))

(٤٣) ودّعتْني بزفرةٍ (٩) واعتناقِ ... ثُمَّ نادتْ متى يكونُ التلاقي (١

(٤٤) وتصدّتْ (١٢) فأشرقَ الصبحُ منها ... بينَ تلكَ الجيوبِ والأطواقِ

(٤٥) يا سقيمَ الجفونِ من غيرِ سُقمٍ ... بينَ عينيكَ مصرعُ العشّاقِ

(٤٦) إنَّ يومَ (١٣) الفراقِ أقطعُ (١٤) يومٍ ... ليتني مُتُّ قبلَ يومِ الفراقِ

....

(١) في معجم الادباء ((وردا يعود من الجناء)) وفي المطمح ((الحياة)) .
(٢) في اللسان ، العقيق خرز أحمر يتخذ منه الفصوص ، الواحدة عقيقة .
(٣) في النفح ج ٥ ((ألفيت)) . (٤) في معجم الادباء ((ردنه)) .
(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ١١٦ . (٦) أي في صفة الحسن .
(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤١٢ — ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٥٩ — ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢٢١ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٢ — المقري : نفح الطيب ج ٥ ص ٥٩٩ ، ج ٧ ص ٥١ .
(٨) أي في الفراق . (٩) في المطمح وفي معجم الادباء ((بزورة))
(١٠) في وفيات الاعيان ((قالت)) وكذلك في النفح .
(١١) في ((معجم الادباء وفي ((وفيات الاعيان)) ((التلاقي)) وكذلك في ((النفح)) .
(١٢) في النفح ج ٧ وفي معجم الادباء وفي المطمح : ((وبدت لي)) وكذلك في وفيات الاعيان .
(١٣) في المطمح ((موت)) .
(١٤) في المطمح ((أفجع)) وفي معجم الادباء ((أقطع)) .

((١٤٨))

ومن قولنا فيه (١) (٢): ((وافر))

(٤٧) فررتُ من اللقاءِ إلى الفراقِ فحسبي ما لقيتُ وما ألاقي

(٤٨) سقاني البينُ كأسَ الموتِ صِرْفًا وما ظنّي أموتُ بكفِّ ساقي

(٤٩) فيا بردَ اللقاءِ على فؤادي أجِرْني اليومَ من حرِّ الفراقِ

((١٤٦))

ومثله قولنا في هذا المعنى (٣) (٤): ((بسيط))

(٥٠) ساقٌ ترنّحُ (٥)، يشدو فوقه ساقُ (٦) كأنّه لحنينِ الصوتِ مشتاقُ

(٥١) يا شيعةَ المشرفيِّ بلّهِ جراقةٍ (٧) تشابهتْ منهمُ في اللؤمِ أخلاقُ

(٥٢) غُلّتْ بأعناقِهم أيدٍ مقفّعةٌ (٨) لا بوركتْ منهمُ أيدٍ وأعناقُ

(٥٣) كأنّما بينهمْ في فمِ سائلِهمْ وحبسِ نائلِهمْ عهدٌ وميثاقُ

(٥٤) كمْ سقتهمْ بآمالي وقد نهمُ نحوَ المعالي فما انقادوا وما انساقوا

(٥٥) وإنْ نبا (٩) بيَ في ساحاتِهمْ وطنٌ فالأرضُ واسعةٌ والناسُ أفراقُ (١٠)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج٥ ص ٤١٢ . (٢) أي في الفراق .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٤) أي في فساد الاخوان .

(٥) في الهامش ((في الاصول ((ترنم)) . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه)) .

(٦) في الهامش ((الساق الثاني : الحمام)) .

(٧) في الهامش ((الجراقة : قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الاسلام ، الواحد جرقاني)) .

(٨) في الهامش ((كذا في ي . واليد المقفعة : المتشنجة . والذي في ا : ((مصفقة)) وهو تحريف)) .

(٩) في اللسان نبا به منزله : لم يوافقه . ونبت بي تلك الأرض : أي لم أجد بها قرارا .

(١٠) في الهامش ((أفراق : أقسام ، الواحد : فرق (كقسم ، وزنا ومعنى))) .

(٥٦) ماكُنتُ أول ظمآنٍ بمَهْمَهَةٍ ... يغرُّه من سرابِ القفْرِ رقراقُ

(٥٧) رِزْقٌ من اللّهِ أرضاكُمْ وأسخطني ... واللّهُ للأَنْوكِ (١) المعْتوهِ رزّاقُ

(٥٨) ياقابِضَ الكَفِّ لا زَالَتْ مُقَبّضةً ... فما أنَامِلُهَا للناسِ أرزاقُ (٢)

(٥٩) وغِبْ إذا شِئْتَ حتّى لا تُرى أبدًا ... فما لِفقْدِكَ في الأحشاءِ إقلاقُ

(٦٠) ولا إليكَ سبيلُ الجُودِ شارعةٌ ... ولا عليكَ لِنورِ المجْدِ إشراقُ

(٦١) لم يَكتَنِفْني (٣) رجاءٌ لا ولا أملٌ ... إلاّ تكنّفهُ ذُلٌّ وإملاقُ

((١٥٠))

ومثله قولنا (٤) (٥): ((طويل))

(٦٢) وعارضةٌ بالحَزْنِ (٦) حاكَ لها الندَى ... بُرُودًا من المَوْشِيّ حُمْرَ الشقائقِ

(٦٣) يُقيمُ الدُّجَى أعناقَها ويُميلُها ... شُعاعُ الضُّحَى المُسْتنُّ (٧) في كلِّ شارِقِ

(٦٤) إذا ضاحَكَتْها الشّمسُ تبكِي بأعيُنٍ ... مُكلَّلةِ الأجفانِ صُفرِ الحمالِقِ

(٦٥) حكَتْ أرضُها لونَ السماءِ وزانَها ... نُجومٌ كأمثالِ النجومِ الخوافِقِ

(٦٦) بأطيبَ نشرًا مِن خلائِقهِ التي ... لَهَا خضعَتْ في الحُسنِ زُهرُ الخلائقِ

....

(١) في اللسان، الأنوك : الأحمق، وجمعه النوكى .
(٢) ورد هذا البيت والذي بعده، في نفح الطيب ج ٣ ص ٤٣٥ .
(٣) في اللسان تكنّفه واكتنفه : جعله في كنفه، والكنف : الحضن بمعنى العضدان والصدر .
(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٢٣
(٥) أي في الرياض .
(٦) في اللسان الحَزْن : ما غلُظ من الأرض . والجمع حزون .
(٧) في اللسان، الاستنان : النشاط، استن الفرس يستن استنانا أي عدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب عليه .

((١٥١))

وكـتبتُ على كـأسٍ (١) : ((بسيط))

(٦٧) إشربْ على منظرٍ أنيقِ (٢) وامزُجْ بريقِ الحبيبِ ريقي

(٦٨) واحلُلْ وِشاحَ الكَعابِ رِفقًا واحذَرْ (٣) على خصرِها الرَّقيقِ

(٦٩) وقُلْ لِمنْ لامَ في التصابي إليكَ خلِّ (٤) عن الطريقِ

((١٥٢))

ومن قولنا في الاقلام (٥) : ((كامل))

(٧٠) ياكاتبًا نقشَتْ (٦) أنامِلُ كفّهِ سِحرَ البيانِ بِلاَ لسانٍ يَنطِقُ

(٧١) إلاَّ صقيلَ المتْنِ طَمسومَ (٧) القُوَى حُذِّيَتْ لهَازِمُهُ (٨) وشُقَّ المَفرِقُ

(٧٢) فإذا تكلَّمَ رُهبَةً أو رَهبَةً فبي منبرٍ أصغَى إليهِ المشرقُ

(٧٣) يجْري بِريقةِ أرْيِهِ أوْ شَريِهِ يَبكي ويضحَكُ منْ سُراهُ (٩) المُهْرَقُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ٢٨٥ ، وورد في نفس الجزء ص ٤٢٧ قبلها ((ومن قولي فيما كتبتُ على كأس مذهبة)) — المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٥٦٨

(٢) في النفح ((المنظر الانيق)) .

(٣) في النفح ((خوفًا))

(٤) في النفح ((خل قلبها))

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ١٩٥

(٦) في الهامش ((في ي : ((بعثت)) .

(٧) في اللسان متن الرمح والسهم : وسطهما . وفي اللسان تقول : لمست الشيء ألمه لما : إذا جمعته .

(٨) في اللسان ، في حديث أبي بكر ، رضي الله عنه ، والنسابة : أمن هامها أو لهازمها أي من أشرافها أنت أو من أوساطها ، واللهازم : أصول الحنكين ، واحدتها لهزمة ، بالكسر ، فاستعارها لوسط النسب والقبيلة .

(٩) في اللسان السِّروة والسُّروة أدق ما يكون من نصال السهام يدخل في الدروع . وقال أبو حنيفة السِّرة نصل كأنه مخيط أو مسلة ، والجمع : السراء وفي هامش العقد ((في بعض الاصول : ((يدلي)) مكان ((يجري)) . والأري : العسل . والشري : الحنظل أو شجره)) .

((١٥٣))

وقوله (١) (٢) : ((خفيف))

(٧٤) وقضيبٍ يميسُ فوقَ كثيبٍ   طيّبِ المُجتنَى لذيذِ العناقِ

(٧٥) قد تغنَّى كما استهلَّ يُغنِّي   ساقُ حُرٍّ (٣) هُرِّدُ فوقَ ساقِ

(٧٦) ينثُرُ الدُّرَّ في المسامعِ نثرًا   بينَ دُرٍّ منظّمٍ مُتساقِ

(٧٧) وافتضضْنا منَ العواتقِ (٤) بكرًا   نُكِحتْ أمُّها بغيرِ صداقِ

(٧٨) ثمّ بانتْ ولمْ تُطلّقْ ثلاثًا   لم تَبِنْ حُرّةٌ بغيرِ طلاقِ

(٧٩) دينُنا في السماعِ دينٌ مدينيٌّ ، وفي شُربِنا الشّرابَ عراقي(٥)

((١٥٤))

وقوله (٦) (٧) : ((طويل))

(٨٠) سقَوني حِمامي يومَ ساقوا حُمولَهمْ   فرحتُ وراحوا بين ساقٍ وسائقِ

(٨١) وأخرسَ لفظي وهْوَ ليسَ بأخرسٍ   وأنطقَ دمْعي وهْوَ ليسَ بناطقِ

(٨٢) فيا بأبي تلكَ الدموعُ التي همَتْ   فدلّتْ على مكتونِ تلكَ العلائقِ

....

(١) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩

(٢) أي قول ابن عبد ربه

(٣) في اللسان ، ساق حر : الذكر من القطاري ، سمّي بصوته • وفي هامش اليتيمة ((ساق حر هو ذكر القطاري المعروف بالحمام القمري ، سمي بذلك لان حكاية صوته ساق حر))

(٤) يرمز بالعواتق الى الخمر المعتقة وهي النهيمة •

(٥) في هامش اليتيمة ((يريد بالمديني المنسوب إلى عالم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، و بالعراقي إلى عالم العراق ابي حنيفة إذ لم يحرم من النبيذ غير القدر المسكر)) •

(٦) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٠٧

(٧) أي قول ابن عبد ربه •

((١٥٥))

((وافر))

(٨٣) وبـدرٍ غيـرِ محـوقِ — مِنَ العِقيانِ (١) مخلوقِ (٢) (٣)

(٨٤) إذا أُسقيتُ فضلتَهُ — مزجتُ بشربتِهِ ريقي

(٨٥) فيالكَ عاشقًا يُسقى — بقيّةَ كأسِ معشوقِ

(٨٦) بكيتُ لنأيِهِ منّي — ولا أبكي بتشهيقِ

((لمنزلةٍ بها الأقلا — مُ أمثالَ المهاريقِ)) (٤)

((١٥٦))

((منسرح))

(٨٧) بيضاءُ مضمومةٌ مقرطقةٌ (٥) — تنقدُّ (٦) عن نهدِها قراطقُها (٧)(٨)

(٨٨) كأنّما باتَ ناعمًا جذِلاً — في جنّةِ الخلدِ من يعانقُها

(٨٩) وأيُّ شيءٍ ألذُّ من أملٍ — نالتْهُ معشوقةٌ وعاشقُها

(٩٠) دعني أمتْ من (٩) هوى مخدّرةٍ — تعلّقَ (١٠) نفسي بها علائقُها

((من لم يمتْ عبطةً (١١) يمتْ هرمًا — الموتُ كأسٌ والمرءُ ذائقُها)) (١٢)

. . . .

(١) في اللسان، العقيان: الذهب الخالص.
(٢) ابن عبد ربه: العقد ج٥ ص٤٥٢. (٣) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المعصوب.
(٤) في اللسان، المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها، فارسي معرّب، والجمع المهارق.
(٥) لابسة القرطق وهو ثياب. (٦) في العقد ((ينقد)) وأثبت رواية اليتيمة.
(٧) ابن عبد ربه: العقد ج٥ ص٤٦٨ — الثعالبي: اليتيمة ج٢ ص٩١.
(٨) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المنوع من الخبل، الضرب المطوي.
(٩) في اليتيمة ((في)). (١٠) في اليتيمة ((يعلق)).
(١١) في العقد ((غبطة)) وأثبت رواية اليتيمة واللسان، وفي هذا الاخير مات عبطة: أي شابا.
(١٢) في هامش العقد ((البيت لامية بن أبي الصلت، كما في اللسان.

((١٥٧))

((خفيف))

(٩١) ذاتُ دَلٍّ وِشاحُها قَلِقٌ   من ضُمورٍ وحِجلُها شَرِقُ (١) (٢)

(٩٢) بَزَّتِ الشمسَ نورَها وحَباها   لحظَ عَينَيهِ شادِنٌ خَرِقُ (٣)

(٩٣) ذهبٌ خدُّها يذوبُ حياءً   وسوى ذاكَ كلِّهِ ورِقُ (٤)

(٩٤) إنْ أمُتْ ميتةَ المُحِبِّينَ وَجدًا   فَفُؤادي من الهَوى حَرِقُ

((فالمنايا مِن بينِ غادٍ وسارٍ   كلُّ حيٍّ برَهنِها غَلِقُ)) (٥)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المحذوف يجوز فيه الخبن

(٣) في اللسان ، الشادن من أولاد الظباء : الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وفيه أيضا ، خرق ، بالكسر ، خرقا : دهش ، وخرق الظبي دهش فلصق بالارض .

(٤) في اللسان ، الورق : الدراهم ، يقصد بها الشاعر هنا : الفضة .

(٥) في اللسان ، الغلق في الرهن : ضد الفك ، وقد أغلقت الرهن فغلق أي أوجبته فوجب للمرتهن .

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((رمل))

(١) خُتِمتْ فارةُ مِسـ ... ـكٍ (٣) فأبَتْ إلاّ (٤) التذكّي

(٢) ليس يَخْفَى فضلُ ذي الفضْـ ... ـلِ بزُورٍ وبإفْكِ

(٣) والذي يَبْرُزُ (٥) في الفضْـ ... ـلِ غنيٌّ عن مزكّي

(٤) ربّما غُمَّ هلالُ الـ ... ـفِطرِ في ليلةِ شكّ

(٥) ثمّ جَلّى وجهَهُ النو ... رُ فجلّى كلَّ حلْكِ (٦)

(٦) إنّ ظهرَ اليمّ لا تر ... كبُهُ من غير فُلْكِ

(٧) ونظامَ الدُّرِّ لا تَنـ ... ـسِقُهُ من غير سِلْكِ

(٨) ليس يصفو الذهبُ الإبـ ... ـريزُ إلاّ بعدَ سبْكِ

(٩) هذه جُملةُ أمثا ... لٍ فمَن شاءَ فيحْكي

(١٠) أبْطلَتْ كلَّ يمانيـ ... ـيٍّ وشاميٍّ ومكّي

(١١) ليسَ ذا مِن صوْغِ عبْـ ... ـسيٍّ ولا مِن نسْجِ عكّي (٧)

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٨

(٢) أي ((في طلب الرغائب واحتمال المكاره)) .

(٣) في الهامش ((فارة المسك : وعاؤه))

(٤) في الهامش ((في ا . ي : غير)) .

(٥) في الهامش ((في بعض الاصول : ((يبرز)))) .

(٦) في الهامش ((الحلك (بفتحتين وسكن للشعر) : شدة السواد))

(٧) في الهامش ((عكي : يريد أبا إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي ، الشاعر العيني ، نسبة إلى عين التمر ، واكثر شعره حكم وأمثال وكانت وفاته سنة ١٥٥ هـ . (انظر الانساب للسمعاني) . وعكي : نسبة إلى عك ، بلد باليمن ، ولليمن شهرتها القديمة بنسج الثياب والظاهر أنه يريد شاعرا يلقب بالعكي)) .

((١٥٩ *)) (١) (٢)

((بسيط))

(١٢) يا مَنْ دمي دونَهُ مَسْفُوكُ ... وكلُّ حِرْزٍ لَهُ مَهْتُوكُ

(١٣) كأَنَّهُ فِضَّةٌ مَسْبُوكَةٌ ... أو ذَهَبٌ خالِصٌ مَسْبُوكُ

(١٤) ما أطيبَ العيشَ إلّا (٣) أنَّهُ ... عَنْ عاجِلٍ كلُّهُ مَتْرُوكُ

(١٥) والخيرُ مَسْدُودَةٌ أبْوابُهُ ... ولا طَرِيقٌ لَهُ مَسْلُوكُ

((١٦٠))

((بسيط))

(١٦) بيْنَ الأَهِلَّةِ بدرٌ ما لَهُ فَلَكُ ... قلْبِي لهُ سَلَمٌ والبدرُ مشترَكُ (٤)(٥)

(١٧) إذا بدا انتهَبَتْ (٦) عيني محاسِنَه ... ودَلَّ قلبي لِعَيْنيهِ فينتهِكُ

(١٨) ابتعْتُ بالدينِ والدنْيا مَوَدَّتَهُ ... فخانَني فَمَلَكَ من مَرْجِعِ الدَّرَكُ (٧)

(١٩) كفُّوا بَني حارِثِ الحاظِ عيونِكُمُ ... فكلُّها لِفُؤادِي كلِّهِ شَرَكُ (٨)

((يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكُم بداهيَةٍ ... لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِكُ))

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٤ — الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٦٠٩.

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الخامس من البسيط وهو المقطوع في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)).

(٣) في اليتيمة ((لولا))

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٨ .

(٥) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للعروض المخبون والضرب المخبون من البسيط .

(٦) في الهامش ((في ا ، ن ((انتهكت))

(٧) في اللسان ، الدرك : التبعة ، يسكن ويحرك . ويقال : ما لحقك من درك فعلي خلاصه .

(٨) في الهامش ((البيت لزهير بن أبي سلمى (انظر العقد الثمين ص ٨٧)))

((١٦١))

فقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه (١) (٢): ((بسيط))

(٢٠) فصلت والنصر والتأييد جندكما | والعز أولاك والتمكين أحراكا (٣)

(٢١) ورحمة الله في الآفاق قد نشرت | والأرض تبدي تباشيرًا لمبداكا

(٢٢) قد اكتسبت حللًا من وشي زهرتها | كأن زخرفها في الحسن حاكاكا

(٢٣) طلعت بين الندى والبأس مبتهجًا | هذا بيمناك بل هذا بيسراكا

(٢٤) ضدان في قبضتي كفيك قد جمعا | لولاهما لم يطب عيش ولولاكا

(٢٥) يمضي أمامك نصر الله منصلتًا | بالنتح يقصم من في الأرض ناواكا

(٢٦) والناس يدعون والآمال راجية | والطوع يرجوك والعصيان يخشاكا

(٢٧) ومن يمينك بدر طالعه فلك | ولن ترى لبدور الأرض أفلاكا

(٢٨) يقود جيشا إلى الأعداء مرتجسًا (٤) | عرمرما يترك الآكام دكداكا (٥)

(٢٩) من رحمة الله في الدنيا ونعمته | لتهن (٦) رحمتك الدنيا ونعماكا

....

(١) مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر، لمجهول ص ٣٤، ٣٥

(٢) أي في غزوة المنتلون أول غزوة لعبد الرحمن الناصر .

(٣) أي جدير وخليق .

(٤) في اللسان، الرجس والارتجاس : صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد .

(٥) في اللسان، الدكداك من الرمل : ما التبد بعضه على بعض با لارض ولم يرتفع كثيرا

(٦) لعله من الهون وهو : الرفق واللين والتثبت ،كما جاء في اللسان.

((١٦٢))

ومن قولنا أيضا (١) (٢) :

((وافـــــر))

(١) تـراهُ فـي الـوغَـى سيفـاً صقيـلاً ... يُقلِّبُ صفحتَيْ سيفٍ صقيـلِ

((١٦٣))

ومن قولنا في هذا المعنى (٣) (٤) :

((طـويـل))

(٢) كـريمٌ علَى العِـلاَّتِ، جـزْلٌ عطـاؤُهُ ... يُنيـلُ (٥) وإن لم يُعتمَدْ لِنَـوالِ

(٣) وَما الجُـودُ مَن يُعْطِـي إذا ما سـألْتَهُ ... ولكـنّ مَـنْ يُعطِـي بغيْـرِ سُـؤالِ

((١٦٤))

ولـه أيضـا (٦) (٧) :

((كـامـل))

(٤) يَـاذَا الـذِي خـطَّ الجمـالُ (٨) بخدِّهِ (٩) ... خطَّـيْن هاجَـا لـوعـةً وبَـلابِـلاَ

(٥) مـا صـحَّ عنـدِي (١٠) أنّ لحْـظَكَ صـارِمٌ ... حـتّى لبِسـتَ بِعـارِضَيْـكَ (١١) حَمائِلاَ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١١

(٢) أي ((في رجال الحرب)) وفي المعاش ((في أ : ((ومثله)) مكان قوله :((ومن قولنا)))) .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٣٩ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٧ .

(٤) أي ((في العطية قبل السؤال)) .

(٥) في اليتيمة ((منيـل)) .

(٦) ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٥٩ - ابن سعيد : عنوان المرقصات والمطربات ص ١٢ - ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ - المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٥٦٥ قال : ((وقال مؤلف كتاب ((واجب الادب)) مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه)) وج ٧ ص ٥١ - ابن سعيد : رايات المبرزين ص ٤٧ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٦ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٢ .

(٧) أي لابن عبد ربه . (٨) في ((عنوان المرقصات)) وفي ((النفح)) ((العذار)) وكذلك في ((رايات المبرزين وفي وفيات الاعيان .))

(٩) في وفيات الاعيان ((بوجهه . (١٠) في ((عنوان المرقصات)) وفي ((النفح ج ٣)) ((ما كنت أقطع)) مكان ((ماصح عندي)) وفي رايات المبرزين ((ما كنت أعلم)) .

(١١) في ((عنوان المرقصات)) وفي ((رايات المبرزين)) ((حتى اكتسيت من العذار)) مكان ((حتى لبست بعارضيك)) وفي النفح ج ٣ ((حتى حطت من العذار)) .

((١٦٥))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((بسيط))

(٦) لا غروَ إنْ نالَ منكَ السُّقمُ ما سالا ... قد يُكسَفُ البدرُ أحياناً إذا كَمُلا

(٧) ما تشتكي علّةً في الدهرِ واحدةً ... إلاّ اشتكى الجُودُ من وجدٍ بها عِلَلا (٣)

((١٦٦))

ومن قوله (٤) فيه يصف تنقله بين مدينتي اشبيلية وقرمونة في قصيدة له حسنة منها (٥) : ((طويل))

(٨) ألا إنّ إبراهيمَ لجّةُ ساحلٍ ... من الجُودِ أرستْ فوقَ لُجّةِ ساحلِ

(٩) فإشبيليةُ الزّهراءُ تُزهَى بمجدِهِ ... وقَرْمُونةُ الغرّاءُ ذاتُ الفضائلِ

(١٠) إذا ما تحلّتْ (٦) تلكَ من نورِ وجهِهِ ... غدَتْ هذهِ للناسِ في زِيّ عاطِلِ

(١١) وإنْ حلّ في هذي توحّشَ هذهِ ... فتُهدي برُسْلٍ نحوَه ورَسائلِ (٧)

((١٦٧))

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يُتقدَّم إليه (٨) ومعنى بديع لا نظير له وذلك قولنا (٩) : ((طويل))

(١٢) وجيشٍ كظهرِ اليمِّ تنفحُهُ الصَّبا ... يعُبُّ عُبوباً من قناً وقنابلِ (١٠)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٤٥٤ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩

(٢) أي ((في أدب العيادة)) . (٣) في الهامش ((في بعض الاصول : ((به)) مكان قوله ((بها))

(٤) أي قول ابن عبد ربه في ابراهيم بن حجاج .

(٥) ابن حيان : المقتبس ج ٣ ص ١٢ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٧ يروي عن ابن حيان . (٦) في البيان المغرب ((تجلت)) .

(٧) رواية البيان المغرب :

وإن حل هذي فهو يوحش هذه ... فتهدي برسل نحوه ورسائل

(٨) في الهامش ((كذا في ا ب . والذي في سائر الاصول : ((عليه))))

(٩) ابن عبد ربه العقد ج ١ ص ١١٢ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٦ وردت الابيات الثلاثة الاخيرة قال : ((وقوله يصف الحرب))

(١٠) في اللسان : تعبئة من الخيل ، وقبيلة من الناس : طائفة منهم ، والجمع القنابل .

(١٣) فتنزلُ أُولاهُ وليس بنازلٍ وترحلُ أُخراه وليس براحلِ

(١٤) ومعتركٍ ضنكٍ تعاطتْ (١) كماتُه كؤوسَ دماءٍ (٢) من كلىً ومفاصلِ

(١٥) يديرونها راحًا من الروحِ (٣) بينهم ببيضٍ رقاقٍ أو بسمرٍ ذوابلِ

(١٦) وتسمعُهم أمُّ المنيّةِ وسطها غناءً صليلِ البيضِ تحتَ المناصلِ

((١٦٨))

ومن قولنا في هذا المعنى (٤) (٥) : ((وافر))

(١٧) سؤالُ الناسِ مفتاحٌ عتيدٌ (٦) لبابِ الفقرِ فالطُفْ في السؤالِ (٧)

((١٦٩))

ومن قولنا في هذا المعنى (٨) (٩) : ((طويل

(١٨) إذا جالسَ الفتيانَ ألفيتَهُ فتىً وجالسَ كهلَ الناسِ ألفيتَه كهلا

((١٧٠)) (١٠) (١١)

((هزج))

(١٩) ألا يا ويحَ (١٢) قلبي للشـ ـبابِ الغضِّ إذْ ولّى

(٢٠) جعلتُ الغيَّ سربالي (١٣) وكانَ الرشدُ بي أولى

. . . .

(١) في اليتيمة ((تساقت)) : وأشير إلى ذلك في هامش العقد

(٢) في اليتيمة ((الضنايا)) وأشير إلى ذلك أيضا في هامش العقد .

(٣) في اليتيمة ((من الراح)) على خلاف ماذكره المحقق في هامش العقد قال ((كذا في ا واليتيمة . يريد ان هذه الخمر من ارواح القتلى . والذي في سائر الاصول :((من المراح)) .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٠ . (٥) أي ((في السؤال)) .

(٦) في اللسان: شيء عتيد : حاضر، وعتد الشيء عتادة فهو عتيد : حاضر

(٧) في الهامش((كذا في ي . والذي في سائر الاصول :((فاكلف بالسؤال)) .وهو تحريف))

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٠١٣ . (٩) في أنفع الاخوان مجلسا .

(١٠) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٨ . (١١) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للهزج الذي له عروض واحد وضربان في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض))

(١٢) في الهامش((في بعض الاصول ((ألا يا ديس)))) .

(١٣) السربال : القميص .

(٢١) بنفسي جائرٌ في الحكم بلتي جورُه عدلا

(٢٢) وليس الشهدُ في فمه بأحلى عنده من لا

((١٧١))

أخذت هذا المعنى فنظمته في شعر فقلت (١) (٢) : ((رجز))

(٢٣) لستُ بسابقٍ أملي ولا بسابقٍ أجلي

(٢٤) ولا بمغلوبٍ على الرزْقِ الذي قُدِّر لي

(٢٥) ولا بمُعطًى رزقَ غيري بالشقا والعمل

(٢٦) فليتَ شعري ما الذي أدخلني في شُغُلي

((١٧٢))

ومن قولنا في هذا المعنى (٣) (٤) : ((وافر))

(٢٧) تطامَنْ للزمان يجزْكَ عفوًا وإن قالوا : ذليلٌ قلْ : ذليلُ

((١٧٣))

وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه (٥) (٦) : ((كامل))

(٢٨) يابن الخلائفِ والعُلا للمُعتلي والجودُ (٧) يعرفُ فضلُه للمْفضلِ

(٢٩) نَوّهتَ بالخلفاءِ بل أخملتَهُمْ حتَّى كأنَّ نبيلَهُم لم ينبُلِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٠٦

(٢) إشارة إلى ما ذكره قبل هذه المقطوعة : ((وقال الحسن : ابن آدم ، لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ، ولا مغلوب على رزقك ، ولا بمرزوق ما ليس لك ، فعلام تقتل نفسك ؟))

(٣) ابن عبد ربه العقد ج ٢ ص ٤٤٣ .

(٤) أي ((في صحبة الايام بالموادعة))

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ٥٠٠ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٥ وردت المقطوعة ما عدا البيت الخامس منها . (٦) أي جوده

(٧) في البيان المغرب ((والمجد)) .

(٣٠) أذكرتَ بل أنسيتَ ما ذكرَ الأُلى (١) من فعلِهم فكأنّه لم يُفعلِ

(٣١) وأتيتَ آخرَهُم وشأوُكَ فائتٌ للأوّلين ومُدرِكٌ للأوّلِ

(٣٢) الآنَ سمّيتِ الخلافةُ باسمِها كالبدرِ يقترنُ بالسماكِ الأعزلِ (٢)

(٣٣) تأبى فعالُك أن تقرّ (٣) لآخرٍ منهم وجودُك أن يكون (٤) لأولِ

((١٧٤))

فقلت على رويه (٥) (٦) :

((طويل))

(٣٤) أتقتلُني ظُلمًا وتجحدُني قتلي وقد قامَ من عينيكِ لي شاهدا عدلِ

(٣٥) أطُلّابَ ذحلي ليسَ بي غيرُ شادنٍ (٧) بعينيهِ سحرٌ فاطلبُوا عندَهُ ذحلي

(٣٦) أغارَ على قلبي فلمّا أتيتُهُ (٨) أطالبُه فيه ، أغارَ على عقلي

(٣٧) بنفسي التي ضنّت بردّ سلامِها (٩) ولو سألتْ قتلي وهبتُ (١٠) لها قتلي

....

(١) في البيان المغرب ((السوري))

(٢) في اللسان ، السماكان : نجمان نيران ، أحدهما ، السماك الاعزل ، والآخر السماك الرامح ، ويقال أنهما رجلا الاسد الذي هو من منازل القمر .

(٣) في البيان المغرب ((تصد))

(٤) في البيان المغرب ((أن يُعَدَّ)) .

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨١ قال : ((وقوله في الغزل))

(٦) إشارة إلى قوله : ((ومما عارضت به صريع الغواني في قوله :

أديرا على الراح لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

فيا حزني أني أموت صبابة ولكن على من لا يحل له قتلي

فديت التي صدّت وقالت لتربها دعيه ، الثريا منه أقرب من وصلي

(٧) في اللسان الشادن من أولاد الظباء : الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وفي هامش اليتيمة ((الذحل : الثأر)) .

(٨) في اليتيمة ((بعينيه شادن)) مكان قوله ((فلما أتيته)) .

(٩) في اليتيمة ((علي بوصلها)) مكان قوله ((برد سلامها))

(١٠) في هامش العقد ((في أ ، ن : ((بذلت))))

(٣٨) إذا جئتما صدّت حياءً بوجهها — فتهجرني هجرًا (١) ألذّ من الوصلِ

(٣٩) وإنْ حكمتْ جارتْ عليّ بحكمها — ولكنّ ذلك الجورَ أشهى (٢) من العدلِ

(٤٠) كتمتُ الهوى جهدي فجرّده (٣) الأسى — بماءِ البكا (٤) هذا يخطّ وذا يملي (٥)

(٤١) وأحببتُ فيها العذلَ حبًّا لذكرها — فلا شيءَ أشهى (٦) في فؤادي من العذلِ

(٤٢) أقولُ لقلبي كلّما ضامه الأسى — إذا ما أبيتَ العزّ فاصبر على الذلِّ

(٤٣) برأيكَ لا رأيي تعرّضتَ للهوى — وأمرِك لا أمري وفعلك لا فعلي (٧)

(٤٤) وجدتَ الهوى نصلاً من الموتِ (٨) مُغمدًا — فجرّدتَه ثمّ اتكأتَ (٩) على النصلِ

(٤٥) فإنْ كنتَ (١٠) مقتولاً على غير ريبةٍ — فأنتَ الذي عرّضتَ نفسكَ (١١) للقتلِ (١٢)

. . . .

(١) في اليتيمة ((فيهجرني هجر)) مكان قوله ((فتهجرني هجرا)) .

(٢) في اليتيمة ((أحلى)) . (٣) في اليتيمة ((فحرره)) .

(٤) في اليتيمة ((البلى)) . (٥) جاء ترتيب هذا البيت في اليتيمة قبل الذي سبقه .

(٦) في اليتيمة ((أشفى)) . (٧) في العقد أعاد المحقق ضمير الخطاب في الابيات الثلاثة الاخيرة إلى المؤنث والصواب أن ابن عبد ربه يخاطب هنا قلبه كما جاء الشكل في اليتيمة .

(٨) في اليتيمة ((لهوتيّ)) مكان قوله ((من الموت)) .

(٩) في اليتيمة ((ثم اتكيت)) .

(١٠) في هامش العقد ((في بعض الاصول : فان تك))

(١١) في هامش العقد ((في بعض الاصول ((فأنت الذي عرضت نفسك)) وكذلك في اليتيمة ، وهي الرواية التي أثبتها . أما في العقد : ((فأنتِ التي عرضتِ نفسي))

(١٢) يعلق ابن عبد ربه على شعره بقوله : ((فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه ، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده الا بفضل التقدم ، ولا سيما إذا قرن قوله في هذا الشعر :

كتمت الذي ألقى من الحب عاذلي — فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل

بقولي في هذا الشعر :

وأحببت فيها العذل حبا لذكرها — فلا شيء أشهى في فؤادي من العذل

كتمت الهوى جهدي فجرده الأسى — بماء البكا هذا يخط وذا يملي

أقول لقلبي كلما ضامه الأسى — إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل

((١٧٥)) (١) (٢)

((بسيـــط))

(٤٦) إليكَ بها غُــرّة المــــــلالِ ... وبدعــةَ الحُســنِ والجمــــالِ

(٤٦) مــدّدتُ كفّــا بهـا انقبــــاضٌ ... فـأيْـنَ (٣) كفّــي من المِـــلالِ

(٤٨) شكــوتُ مـا بــي إليكَ وجْـــدًا ... فلَــمْ تــرِقَّ ولمْ تُبـــالِ (٤)

(٤٩) أعــاضكَ اللّــهُ عنْ (٥) قريـــبٍ ... حــالًا من المقْســمِ مثــلُ حــالي

((١٧٦))

((كــــامـــل))

(٥٠) حــالَ المزمانُ (٦) لــهُ فبــدّلَ الاحــالا (٧) ... وكَســا المشيبُ مَفــارقًا وقــذالا (٨)(٩)

(٥١) غَنيــتْ (١٠) غــواني الحيِّ عنْـكَ ، وربّمــا ... طلعــتْ عليكَ (١١) أكِلَّــةً وحِجالًا (١٢)

(٥٢) أضحــى عليــكَ حــلالا لهنَّ محــرّمــا ... ولــقدْ يكــونُ حـرامُهـنَّ حــلالا

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٤ - الثعالبي : اليتيمة ج ٣ ص ٩٦

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة لعروض البسيط المجزوء المقطــــوع ضربه مثله في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجم وضروب العروض ·))

(٣) في اليتيمة ((وأين)) ·

(٤) فــي اليتيمــة ((فلــم ترقّــي ولــم تبــالــي))

(٥) فــي اليتيمــة ((مــن))

(٦) حــال الزمــان : تغــير

(٧) فــي اليتيمـــة ((حـــالا))

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٧ - البيتان : الرابع والخامس فــي مــرآة الجنان لليافعــي ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ وفــي وفيــات الاعيان لابن خلكــان ج ١ ص ٩٣

(٩) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المقطوع الممنوع إلا من الاضمار والسلامة من بحــر الكامل ، والقذال في اللسان : جماع مؤخر الرأس من الانســان والفــرس ·

(١٠) في اليتيمــة ((غــابت))

(١١) فــي اليتيمـــة ((اليــك)) ·

(١٢) فــي اللسان ، حجلة العروس : معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور ، جمع حجل وحجال · وفي هامش العقد ((في بعض الاصول ((إليك أهـلة وجمالا)))) ·

(٥٣) إِن الكواعِبَ إنْ (١) رأيْنكَ طارِبًا ... وصَلَ (٢) الشبابِ طويْنَ عنكَ وِصالاَ

((وإذا دعوْنكَ عَمَّهُن فإنَّهُ ... نسبٌ (٣) يزيدُكَ عندهُنّ خبالاَ (٤)))

((١٧٧))

وقوله (٥) (٦) : ((طويل))

(٥٤) وريّان مِنْ ماءِ الشبابِ تنا تَفتْ ... بِه نشواتٌ مِنْ صِبًا ودَلالِ

(٥٥) كما اهتزَّ بانٌ من أكاليلِ روضَةٍ ... تلاعبُه ريحًا صَبا وشَمالِ

(٥٦) تعلَّم مِنهُ الهجْرَ طيفُ خيالِه ... هُدُوًّا فما يلقاهُ طيفُ خيالي

(٥٧) وأعرضَ حتَّى كادَ يعرضُ في المُنَى ... ويُنسيمُ ذكراهُ الخُطورَ ببالي

((١٧٨))

((مديد))

(٥٨) ياطَويلَ الهَجْرِ لا تنسَ وَصْلي ... واشتِغالي بكَ عن كلِّ شُغلِ (٧) (٨)

(٥٩) ياهلالاً فوقَ جيدِ غَزالٍ ... وقضيبًا تحتَهُ دعصٌ (٩) رَمْلِ

(٦٠) لا سلتْ عاذِلتي عنْه نفْسي ... أكَثِرِي في حبّه أوْ أقِلّي

(٦١) شادِنٌ يُزهَى بِخدٍّ وجيدٍ ... مائسٍ فاتنٍ بحُسنٍ ودَلِّ

((ومتى مايَسمِ منْك كلامًا ... فتكلّم فيُجِبْك بِعقْلِ))

....

(١) في مرآة الجنان ((الغواني لو)) مكان قوله ((الكواعب إن)) وفي وفيات الاعيان ((إن الغواني إن)) . (٢) في وفيات الاعيان ((برد)) وكذلك في مرآة الجنان .

(٣) في مرآة الجنان ((نسبت)) . (٤) في مرآة الجنان ((خيالا)) . وفي هامش العقد ((البيت للاخطل يهجو جريرا)) . (٥) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ١٠ .

(٦) أي قول ابن عبد ربه . (٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٥ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٤ البيت الاول والثاني .

(٨) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المجزوء والضرب المجزوء من المديد .

(٩) في اليتيمة ((دعصة)) .

((١٧٩))

((بسيـــط))

(٦٢) ياطالباً في الهوى (١) مالا ينال — وسائلاً لم يخف ذل السؤال (٢) (٣)

(٦٣) ولت ليالي الصبا محمودة — لو أنها رجعت تلك الليال (٤)

(٦٤) وأعقبتك التي واصلتها (٥) — بالهجر لما رأت شيب القذال (٦)

(٦٥) لا تلتمس وصلة من خلف — ولا تكن طالباً مالا ينال

((ياصاح قد أخلفت أسماء ما — كانت تمنيك من حسن الوصال (٧)))

((١٨٠))

((كامل))

(٦٦) قل مابدا لك وافعل — واقطع حبالك أو صل (٨) (٩)

(٦٧) هذا الربيع فحيه — وانزل بأكرم منزل

(٦٨) وصل الذي هو واصل — فإذا كرهت فبدل (١٠)

(٦٩) وإذا نبا بك منزل — أو مسكن فتحول

((وإذا افتقرت فلا تكن — متخشعاً (١١) وتجمل (١٢)))

. . . .

(١) في اليتيمة ((الحب)) . (٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٩ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٦ . (٣) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالاً للعروض المجزوء والضرب المذال من البسيط . (٤) في اليتيمة ((رُجّعٌ تلك الليالي)) وفي هامشها : ((في ا ، ب ((لو أنها ترجع)) ولا يستقيم عليها الوزن)) . (٥) في اليتيمة ((أوصلتها))

(٦) في اللسان ، القذال : جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس . (٧) في اليتيمة ((وصال))

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٦ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٨ .

(٩) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالاً للضرب المجزوء .

(١٠) في اليتيمة ((وإذا ... تبدل))

(١١) في هامش العقد ((وفي رواية : ((متجشماً))))

(١٢) في اليتيمة ((وتجمل)) .

((١٨١))

((هـــزج))

(٧٠) مـــتى أشْفِـــي غَليلـــــي بنيْـــلٍ مـــن بخِيـــلِ (١) (٢)

(٧١) غـــزالٌ ليـــسَ لـــي مِنْـــهُ ســـوَى الحُـــزنِ الطـــويلِ

(٧٢) جَميـــلُ الـــوجْـــهِ أخْـــلانِي مـــن الصـــبْرِ الجميـــلِ (٣)

(٧٣) تـــد حطْـــتُ الضيْـــمَ فيـــه مـــن حَســـودٍ وعـــذولِ (٤)

((ومـــا ظنْـــي ليـــاغـــي الضيْـــمِ بـالظفْـــرِ الذلـــولِ))

((١٨٢))

((رمـــل))

(٧٤) يـامديـر الصـدغ فـي الخدِّ (٥) الأسيلْ ومُجيـلَ السحْـرِ بالطرْفِ الكَحيلْ (٦)(٧)

(٧٥) هـلْ لمحـزونٍ كئيـبٍ قُبلـةً (٨) فـك ، يشفـي بـرْدُهـا حـرَّ الغَليلْ

(٧٦) وقليـلٌ ذاكَ ، إلاَّ أنَّـــــهُ ليـسَ من مثلِـكَ عنْـدي بالقَليـلْ

(٧٧) بـأبي أحـورُ غـنَّى مَـوْهِنـــــاً (٩) بغنـــاءٍ قصَّـرَ الليْـلَ الطـويـلْ

((يـابَنـي الصيْـداءِ ردُّوا فَـرسـي إنَّمـا يُفعـلُ هـذا بالذليلْ (١٠)))

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٨ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٨
(٢) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب المجزوء المحذوف .
(٣) جاء هذا البيت في اليتيمة متأخرا عن الذي يليه في الترتيب
(٤) رواية اليتيمة للبيت ((حطت الضيم فيه من حسود أو عذول))
(٥) في اليتيمة ((بالخد))
(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٢ ــ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٩ ، ٩٠
(٧) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المقصور .
(٨) صدر البيت في اليتيمة ((هب لمحزون كئيب نظرة))
(٩) في اللسان : الوهن والموهن : نحو من نصف الليل وقيل : هو بعد ساعة منه .
(١٠) في هامش العقد ((البيت لزيد الخيل))

((١٨٣))

((سريع))

(٧٨) وَيُحيي قتيلاً مالهُ مِن عَقلِ ... بشادنٍ (١) يهتزّ مثلَ النصلِ (٢) (٣)

(٧٩) مُكحّلٌ ما مسّهُ من كُحلِ ... لا تعذلاني إنّني في شُغلِ

((يا صاحبيّ رحّلي أقِلّا عذلي))

((١٨٤))

وقوله (٤) (٥):

((هزج))

(٨٠) ألا يا زين قلبي للشباب العفرِ (٦) إذ ولّى

(٨١) جعلتُ الغيّ سربالي ... وكان الرُشدُ بي أولى

(٨٢) بنفسي جائرٌ في الحكم يُلفى جَورُه عدلا

(٨٣) وليس الشهدُ في نيهِ ... بأحلى عندهُ من ((لا))

((١٨٥))

((رجز))

(٨٤) أعطيتُهُ ما سألا ... حكّمتُهُ لو عدلا (٧) (٨)

(٨٥) وهبتُهُ روحي فما ... أدري به ما فعلا

....

(١) في اليتيمة ((من شادن))

(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٧ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩١ .

(٣) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض المشطور المكشوف الممنوع من الطي ضربه مثله)) . وفي هامش اليتيمة ((العقل ، سميت بذلك لانها كانت تؤخذ من الابل وكان قوم القاتل يجيئون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل)) . (٤) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٩

(٥) أي قول ابن عبد ربه

(٦) في اللسان ، العفر : البعد وطول العهد .

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٠

(٨) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا :((لعروض المجزوء ، الضرب المجزوء))

(٨٦) أسلفتُه في بـــدِهِ   عيشَـــهُ أم قتَلا

(٨٧) قلبي بـهِ في شُغُـلِ   لا ملَّ ذاك الشُّغُلا

((قَدَّهُ الحبُّ كمـا   قدَّ راعٍ جملا))

((١٨٦))

((سريع))

(٨٨) لله درُّ البَيْنِ ماذا يفْعَلُ   يقتُلُ من شاءَ ولا يُقتَلُ (١) (٢)

(٨٩) بانُوا بمن أهْواهُ في ليلَةٍ   ردَّ على آخرِها الأوَّلُ

(٩٠) يا طولَ ليْلِ المُبتلي بالهوَى   وصُبْحُهُ في ليلهِ أطْوَلُ

(٩١) فالدارُ قدْ ذكَّرني رسْمُها   ما كِدْتُ عنْ تذكارِهِ أذهَلُ

((هاجَ الهوَى رسمٌ بذاتِ الغَضا   مُخلَوْلِقٌ مستعجمٌ محْوِلٌ))

((١٨٧))

((مجتث))

(٩٢) وشادِنٍ ذي دَلالِ   مُعصَّبٌ بالجمالِ (٣) (٤)

(٩٣) يخشَى أنْ يحتَويهِ   مني ظلامُ الليالي

(٩٤) أو يلْتقي في مَنامي   خيالُهُ مَعْ خيالي

(٩٥) غُصْنٌ نَما فوقَ دِعْصٍ   يَخْتالُ كلَّ اختيالْ

((البطنُ منها خميصٌ   والوجهُ مثلُ الهلالْ (٥)))

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٥ .
(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا لـ ((الضرب المسكوف المطوي اللازم الثاني))
(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .
(٤) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للعروض المجزوء ضربه مثله .
(٥) في الهامش ((البيت لرجل من أهل مكة . وقد ذكر الدمنهوري في الحاشية المقطوعة كاملة)) .

((١٨٨)) ((متقـــــارب))

(٩٦) لَحَـــالَ (١) عـنِ العهْـدِ لما أحَـالاَ   وزَالَ الأحِبَّـةُ عنْـه فزَالاَ (٢) (٣)

(٩٧) محــلٌّ تحُـلُّ عُـراهـا السَّحَـاب   وتَحكِي الجنُوبُ عليـهِ الشمالا

(٩٨) فيـا صـاحِ هـذا مُقـامُ الحبيـبِ   ورَبْـعُ الحبيـبِ فحُـطَّ الرِّحالاَ

(٩٩) سَـلِ الرَّبْـعَ عـنْ ساكِنيهِ فإنِّـي   خـرِسْتُ فمَـا أستَطِيعُ السُّؤالاَ

((ولا تُعجِلَنِّي هـداكَ المليـكُ   فـإنَّ لكـلِّ مقـامٍ مقـالا))

((١٨٩))

((سـريـع))

(١٠٠) خـلَّيْتُ قلبِـي فِي يَدَيْ ذاتِ الخَالْ   مصَفَّـدًا مُقيَّـدًا فـي الأغلالْ (٤) (٥)

(١٠١) قـدْ قلتُ لِلبـاكِي رُسومَ الأطـلالْ   ((يـا صَاحِ ما هـاجَكَ مِنْ رِيحِ خَالْ))

((١٩٠))

ففيـه يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه (٦) (٧): ((بسيـط))

(١٠٢) أبـا عُبَيْـدَةَ والمَسْؤولُ عـنْ خبَـرٍ   يَحكِيـهِ إلاَّ [سُـؤالاً لِلذي] (٨) سالاَ

. . . .

(١) في الهامش ((في بعض الاصول : ((لحال)))) . واعتمدت هذه الرواية فهي في النص ((حال)) . (٢) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٣) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر ، الضرب التام .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٧ .

(٥) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطي ضربه مثله))

(٦) صاعد : طبقات الأمم ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٧) يقول صاعد قبل هذه الابيات عن أبي عبيدة هذا : ((أبو عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة وإنما عرف بذلك لانه كان يشرق كثيرا في صلاته ، وكان عالما لحركات الكواكب وأحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث ، ودخل إلى المشرق فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وبمصر من المزني ، والربيع بن سليمان المرادي ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن الحكم وجماعة سواهم ، ففيه يقول أحمد بن محمد بن عبد ربه)) . (٨) في النص ((سوار الذي)) وفي الهامش ((كذا والشطر مغلوط مختل الوزن)) واصلحت البيت إلى ما ذكر لان التحريف فيه ظاهر

(١٠٣) أبيتَ إلاَّ شُذوذًا عن جماعتنا ولم تُصِبْ رأيَ مَن أرجى ولا عزلا (١)

(١٠٤) كذلكَ القبلةُ الأولى مُبدَّلةٌ وقدْ أبيتَ فما تبغي بها بدلا

(١٠٥) زعمتَ بهرامَ أو بيدخت يرزقنا لا بل عطاردَ أو برجيسَ أو زحلا

(١٠٦) وقلتَ : إنَّ جميعَ الخلقِ في فلكٍ (٢) بهم يُحيط وفيهم يقسمُ الأجلا

(١٠٧) والأرض كرويةٌ حفَّ السماءُ بها فوقًا وتحتًا وصارتْ نقطةً مثلا

(١٠٨) صيفُ الجنوبِ شتاءٌ للشمالِ بها قدْ صارَ بينهما هذا وذا أولا

(١٠٩) فإنَّ كانونَ في صنعا وقرطبةٍ بردًا (٣) وأيلول يُذكي فيهما الشعلا

(١١٠) هذا الدليلُ ولا قولُ عزوتَ به (٤) مِن القوانين يُجلي القولَ والعملا

(١١١) كما استمرَّ ابن موسى في غوايته [فأوعر السهل] (٥) حتَّى خِلتَه جبلا (٦)

(١١٢) أبلغْ معاويةَ المُصفي لقولهما أنا كفرتُ بما قالا وما فعلا

((١٩١))

وقال ابن عبد ربه في ذلك أيضا: (٧) (٨). ((طويل))

(١١٣) تجدَّدتِ الدنيا وأبدتْ جمالها وردَّتْ إلينا شمسها وهلالها

....

(١) في النص ((أرجى ولا أعزلا)) ، وفي الهامش ((كذا ولعل الصواب أرجى ولا اعتزلا)) ويستقيم الوزن بحذف همزة ((أعزلا)) كما أثبته .

(٢) في النص ((ملك)) ويبدو أنه محرف عما أثبته .

(٣) في النص بعد الكلمة قال (كذا) . (٤) في الهامش: ((نظن أن الصواب : غررت به))

(٥) في النص ((فواعر تسهل)) وفي الهامش ((كذا وفيه تصحيف ظاهر)). وأصلحت البيت إلى ما ذكرت .

(٦) بعد البيت التالي يقول عن ابن موسى : هو قاسم بن موسى المعروف بابن الأفشين الكاتب . ومعاوية أحد القرشيين . وتوفي أبو عبيدة هذا في سنة خمس وتسعين ومائتين (٩٠٨ م)) . (٧) ابن الابار : إعتاب الكتاب ص١٧٣ ، ١٧٤

(٨) إشارة إلى مقطوعة سابقة يقول ابن الابار عن مناسبتها وكان الامير عبد الله بن محمد ((قد عزل عبد الله بن محمد الزجالي عن خطتي الكتابة والوزارة والكتابة في بعض أوقاته ، لموجدة وجدها عليه ، ثم أقاله بعد مديدة وأعاده إلى خطته ، وكان محببا في الناس فأبدوا فرحا لرجعته وقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر من أبيات))

(١١٤) عشيةَ يومِ السبتِ جاءَتْ بنعمةٍ (١) مِن اللهِ لا يرجو العَدوُّ زوالَها

(١١٥) بِما جبرَ اللهُ الكسيرَ من المُلا وأدرك منهُ عثرةً فأقالَها

(١١٦) فأشرقتِ الآفاقُ نورًا وبهجةً ومدَّتْ علينا بالنعيمِ ظِلالَها

(١١٧) بتجديدِ عبدِ اللهِ أعظمَ دولةٍ لِمَولاهُ عبدِ اللهِ كانَ أزالَها (٢)

(١١٨) ولمّا تولّتْ نضرةُ العيشِ ردَّها فَآلتْ إلى العهدِ القديمِ مآلَها

(١١٩) فَتىً نشأتْ مِن كفِّهِ ديمُ الندى فظلَّت سِجالُ الرزقِ تجري خِلالَها

(١٢٠) ترى الجودَ يجري من فِرِندِ يمينِه كصفحةِ هِندِيٍّ أرتكَ صِقالَها

(١٢١) ولو نيطَ مِن نجمِ السماءِ فضيلةٌ لمدَّ إليها الكفَّ حتّى ينالَها

....

(١) في الهامش ((رواية (س) و(ر) : ببهجة))

(٢) في الهامش ((رواية (س) و(ق)، وفي (ر) : أنالها

((١٩٢))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢): ((طويل))

(١) أبا صالح جاءت على الناس غفلةٌ — على غفلةٍ بانت بكلِّ كريم

(٢) فليت الأُلى بانوا (٣) يفادون يا لأُلى — أقاموا فيفدى ظاعنٌ (٤) بمقيم

(٣) ويا ليتها الكبرى فتطوى سماؤنا — لها وتُمدُّ الأرضُ مدَّ أديم (٥)

(٤) فما الموتُ إلّا عيش كلِّ مخبّلٍ — وما العيشُ إلّا موتُ (٦) كلِّ نديم

((١٩٤))

ومن قولنا في هذا المعنى (٧) (٨): ((طويل))

(٥) أعاذلَ قد ألمتِ ويك فلومي — وما بلغ الاشراكُ ذنب عديم

(٦) لقد أسقطتْ حقّي عليك صبابتي — كما أسقط الافلاسُ حقَّ غريم

(٧) وأعذرُ ما أدمى الجفونَ من البكا — كريمٌ رأى الدنيا بكفِّ لئيم

(٨) أرى كلَّ فَدْمٍ (١٠) قد تبحّبحَ (١١) في المنى — وذو الظرف لا تلقاه غير عديم (١٢)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٢) أي في معنى فساد الاخوان .

(٣) في الهامش ((كذا في ي . والذي في سائر الأصول : ((كانوا)) .

(٤) في الهامش ((في ي : ((فنفدي ظاعننا)) .

(٥) في الهامش ((جاء هذا البيت وما بعده في غير (ا، ي) متأخرا عن موضعه هنا عند الكلام على الكبر بعد كلام للمتنبي (ص ٣٥٤ من هذا الجزء) . وجاء قبلهما هذه العبارة : ((وقال بعض الحكماء)) . مع أنهما تتمة لأبيات ابن عبد ربه التي قبلهما)) .

(٦) في الهامش ((كذا في ي . والذي في سائر الاصول : ((ترك)) .

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٣٥ . (٨) أي ((في الاقلال)) .

(٩) هذا البيت والذي بعده في اليتيمة ج ٢ ص ٧٩ . وجاء هذا البيت في العقد ج ٢ ص ٣٤٩ الاخير ضمن المقطوعة السابقة وأسقطته منها لوروده هنا . وفي هامش العقد ج ٢ ، ٣ ((يقول إن رواية الكريم الدنيا يملكها اللئيم أقوى ما يعتذر به عن حزنه وبكائه)) . (١٠) في الهامش ((الفدم : العي الاحمق)) .

(١١) في اليتيمة ((تبجّح)) .

(١٢) في الهامش ((في الشعر عيب وهو الايطاء ، وهو تكرير القافية لفظا ومعنى)) .

((١٩٤)) (١) (٢)

((وافـــــر))

(٩) بنفسي (٣) مَن مَراشِفُهُ مُـدامُ   ومَن لحظاتُ مُقلتِهِ سِهامُ

(١٠) ومَن هو إنْ بدا والبدرُ تِمٌّ   خَفِي (٤) من حُسنِه البدرُ التَّمامُ

(١١) أقولُ لهُ وقد أبدى صُدوداً   فلا لفظُ التَّي ولا ابتسامُ

(١٢) تكلَّمْ ليسَ يُوجِعكَ الكَلامُ   ولا يمحو محاسِنكَ السَّلامُ

((١٩٥))

وقد قلنا في هذا المعنى ما هو أحسن من كلِّ ما تقدَّم أو مثله ، وهو قولي (٥)(٦):

((طـــويل))

(١٣) كأنَّ التي يومَ الوداعِ تعرَّضتْ   هِلالٌ بدا محقاً على أنَّهُ تِمُّ

((١٩٦))

ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب (٧) (٨):

((بسيـــط))

(١٤) نفسي فِداؤكَ والأبطالُ واقفةٌ   والموتُ يَقسِمُ في أرواحِها النِّقَما

(١٥) شاركتَ صرفَ المنايا في نفوسِهِمُ   حتَّى تحكَّمتَ فيها مثلَ ما احتكما

(١٦) لو تستطيعُ العُلا جاءتكَ خاضعةً   حتَّى تُقبِّلَ منكَ الكفَّ والقَدَما

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٤، ٥١٥ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٦

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة الضرب الاول من الوافر في سياق التقديم لمثال سابق هو ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف المعجاء وضروب العروض)) .

(٣) في الهامش ((في بعض الاصول ((سقتني)))) .

(٤) في اليتيمة ((صبا))

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج٥ ص ٣٣٩ .

(٦) يشير إلى أبيات أوردها في هذا المعنى آخرها قول بشار :
((ضنَّتْ بخدٍّ وجلت عن خدِّ   ثم انثنتْ كالنَّفَسِ المُرتدِّ))

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١٠

(٨) في الهامش ((في أ : ((ونظم [illegible]))

((١٩٧))

ومثله قولنا (١) (٢) : ((منسرح))

(١٧) إذا أدارت بنانه قلما — لم تدر للشبه أيهما القلم

((١٩٨))

ومن قولنا (٣) (٤) : ((بسيط))

(١٨) يخرجن من فرجات النقس دامية — كأن آذانها أطراف أقلام

((١٩٩))

ومن قولنا فيه (٥) (٦) : ((كامل))

(١٩) قالوا: شبابك قد مضت أيامه — بالعيش قلت وقد مضت أيامي

(٢٠) لله أيام نعمة كان الصبا — لو أنها وصلت بطول دوام

(٢١) حسر المشيب قناعه عن رأسه (٧) — وصحا العواذل بعد طول ملام (٨)

(٢٢) فكأن ذاك العيش ظل غمامة — وكأن ذاك اللهو طيف منام

((٢٠٠))

ومن قولنا (٩) (١٠) : ((خفيف))

(٢٣) جعل الله رزق كل عدوٍّ — لي بكفّ لمعشرٍ من لا أسمّي

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ١٩٤ . (٢) في وصف القلم

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ١٩٤ . (٤) في الهامش ((جاء في بعض الأصول البيت الآتي منسوبا لعدي وبيت عدي قبله منسوبا للمؤلف)) .

(٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٧ . (٦) في الشباب .

(٧) في الهامش ((كذا في ا ، ي . والذي في سائر الأصول : ((وجهه))))

(٨) في الهامش ((في ي : ((سلام)))) .

(٩) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ١٩٥ .

(١٠) في البخل .

(٢٤) كَفُّ مَنْ لا يَهُزُّ عِطْفَيْهِ يومًا ... لِمَدِيحٍ ولا يُبَالِي بِذَمِّ

(٢٥) يَتَلَقَّى الرَّجَاءَ مِنْهُ بِوَجْهٍ ... رَاشِحِ الخَدِّ والجَبِينِ بِسُمِّ

(٢٦) جِئْتُهُ زائرًا فَمَا زَالَ يَشْكُو ... لِيَ حَتَّى حَسِبْتُهُ سَيُدَمِّي

(٢٧) أَلِقَ اللُّؤْمُ فِيهِ مِنْ كُلِّ طَرْفٍ ... مُفْتَرِقًا فِيهِ بَيْنَ خَالٍ وعَمِّ

(٢٨) قَدْ نَهَانِي النَّصِيحُ عَنْهُ مِرَارًا ... بِأَبِي أَنْتَ مِنْ نَصِيحٍ وأُمِّي

((٢٠١))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢): ((سريع))

(٢٩) سَيْفٌ مِنَ الحَتْفِ تَرَدَّى بِهِ ... يَوْمَ الوَغَى سَيْفٌ مِنَ الحَزْمِ

(٣٠) مُوَاصِلًا أَعْدَاءَهُ عَنْ قِلًى ... لَا صِلَةَ القُرْبَى ولا الرَّحِمِ

(٣١) وَصْلٌ يَحِنُّ (٣) الإِلْفُ مِنْ بُغْضِهِ ... شَوْقًا إِلَى الهِجْرَانِ والصَّرْمِ

(٣٢) حَتَّى إِذَا نَادَمَهُمْ سَيْفُهُ ... بِكُلِّ كَأْسٍ مُرَّةِ الطَّعْمِ

(٣٣) تَرَى حُمَيَّاهَا (٤) بِهَامَاتِهِمْ ... تَفُورُ بَيْنَ الجِلْدِ والعَظْمِ

(٣٤) عَلَى أَهَازِيجِ ظُبًا بَيْنَهَا ... مَا شِئْتَ مِنْ حَذْفٍ (٥) ومِنْ خَرْمِ

(٣٥) طَاعُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ عِصْيَانِهِمْ ... وطَاعَةُ الأَعْدَاءِ عَنْ رَغْمِ

(٣٦) وكَمْ أَعَدُّوا واسْتَعَدُّوا لَهُ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ الخَضْمُ كالقَضْمِ (٦)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ١١٢ . (٢) في وصف الحرب .
(٣) في الهامش ((كذا في ا ، ب . والذي في سائر الاصول : ((يخفي)) . وهو تحريف)) . (٤) في اللسان : حميا كل شيء : شدته وحدته .
(٥) في الهامش ((كذا في ا ، ب ، والحذف في العروض : سقوط سبب خفيف في آخر الجزء . والخرم : ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلتن والكلام هنا على سبيل الاستعارة . والذي في سائر الأصول : ((طرق)) . وهو تحريف)) .
(٦) في الهامش ((الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان)) .

((٢٠٢))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢): ((سريع))

(٣٧) يا ويلنا (٣) من موقف ما به / أخوف من أن يعدل الحاكم

(٣٨) أبارز الله بعصيانه / وليس لي من دونه راحم

(٣٩) يا رب غفرانك (٤) عن مذنب / أسرف إلا أنه نادم

((٢٠٣))

ومن قولنا في البين (٥): ((رمل))

(٤٠) هيج البين (٦) دواعي سقمي / وكسا جسمي ثوب (٧) الألم

(٤١) أيها البين أقلني مرة / فإذا عدت فقد حل دمي

(٤٢) يا خلي الذرع (٨) نم في غبطة / إن من فارقته لم ينم

(٤٣) ولقد هاج لقلبي (٩) سقما / ذكر (١٠) من لو شاء داوى سقمي

((٢٠٤))

ومن قولنا في الهيبة (١١) (١٢): ((كامل))

(٤٤) يا من يجرد من بصيرته / تحت الحوادث صارم العزم

....

(١) ابن عبد ربه: العقد ج ٣ ص ١٨٢ ــ الثعالبي: اليتيمة ج ٢ ص ٨٠
(٢) في التوبة. (٣) في اليتيمة ((يا ويلتا)).
(٤) في الهامش ((ضمن الغفران معنى الصفح فعداه بمن)). وفي اليتيمة ((عفوا منك)) مكان قوله ((غفرانك)). (٥) ابن عبد ربه: العقد ج ٥ ص ٤١٢ ــ ابن خاقان: المطمح ص ٦٠ ــ المقري: نفح الطيب ج ٥ ص ٥٩٩، ج ٧ ص ٥٢.
(٦) في المطمح ((الشوق)) وفي النفح ج ٧ أيضا.
(٧) في المطمح ((الجسم ثياب)) مكان قوله: ((جسمي ثوب)) وفي النفح ج ٧ أيضا.
(٨) هو خالي الذرع: أي قلبه خال من الهموم.
(٩) في المطمح ((فلقد هاج بقلبي)). وفي النفح ج ٧ ((بجسمي)).
(١٠) في المطمح ((حب)) وفي النفح ج ٥ وج ٧ أيضا.
(١١) ابن عبد ربه: العقد ج ١ ص ٣٩ ــ الثعالبي: اليتيمة ج ٢ ص ٧٥.
(١٢) في الهامش ((كذا في ا. والذي في سائر الأصول: ((وها أنا أقول في الهيبة)).

(٤٥) رُعتَ العدوَّ فما عُلِّقتَ لهُ | إلاّ تفزّع منكَ في الحُلُمِ
(٤٦) أضحى لكَ التدبيرُ مُطّرِدًا | مثلَ اطّرادِ الفعلِ للإسمِ
(٤٧) رفع الحسودُ (١) إليكَ ناظِرَهُ | فرآكَ مُطّلعًا مع النجمِ

((٢٠٥))

ومن قولنا في رجل كتب إليَّ بعِدَةٍ في صحيفة ومطلني بها (٢) : ((سريع))

(٤٨) صحيفةٌ طابَعُها اللُّومُ | عُنوانُها بالبُخلِ (٣) مختومُ
(٤٩) أهدى لكَها (٤) والخُلفُ في طيِّها | والمَطْلُ والتسويفُ والمُّومُ
(٥٠) مَن وجهُهُ نحسٌ ، ومَن قُربُهُ | رجسٌ ومَن عِرفانُهُ شُومُ
(٥١) لا تهتضِمْ إنْ كنتَ (٥) ضيفًا لهُ | فخُبزُهُ في الجوفِ هاضُومُ (٦)
(٥٢) تكلمُهُ الألحاظُ مِن رِقَّةٍ | فهو بلحظِ العينِ مكلومُ
(٥٣) لا تأتَدِمْ شيئًا على أكلِهِ | فإنّهُ بالجوعِ مأدومُ

((٢٠٦))

ومن قولنا في العود (٧) : ((منسرح))

(٥٤) يا ربَّ صوتٍ يصوغُهُ عصبٌ | نيطَتْ بساقٍ من فرقِها قَدَمُ

....

(١) في اليتيمة ((الحسدو))
(٢) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢٥٢ ، ج ٦ ص ١٩٥
(٣) في العقد ج ١ ((بالجهل)) .
(٤) في العقد ج ١ ((يُهدى لها)) .
(٥) في العقد ج ١ ((إن بت)) .
(٦) في اللسان هضم الدواء الطعام : نهكه . والهضام والهضوم والهاضوم : كل دواء هضم طعاما . يريد : إن أكلت عنده فإنك لا تحتاج إلى دواء يساعدك على هضم ما أكلت لانك تناولت عنده دواء
(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٦ ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٥٥) جوفاءُ مضمومةٌ (١) أصابعُها | في ساكِناتٍ (٢) تحريكُها نغَمُ
(٥٦) أربعةٌ جُزِّئتْ لأربعةٍ | أجزاؤُها بالنفوسِ تلتحِمُ
(٥٧) أصغرُها في القلبِ أكبرُها | يبعثُ منه الشِّفاءُ والسَّقمُ
(٥٨) إذا أرنّتْ بغمزِ لا فظِها | قلتَ حمامٌ بجيبهنّ حمُ
(٥٩) لها لسانٌ يحكي ضمائرَها | يعربُ عنها وما لهنّ فمُ

((٢٠٧))

وقوله (٣) (٤) : ((كامل))

(٦٠) أزفَ الرحيلُ فودَّ عنّي مقلةٌ | أوحتْ إليّ جفونُها بسلامِ
(٦١) وتطلّعتْ بين الحُدوجِ كأنّما | شمسٌ تطلّعُ في خلالِ غمامِ (٥)
(٦٢) وشكتْ تباريحَ الصبابةِ والهوى | بمدامعٍ نطقتْ بغيرِ كلامِ
(٦٣) كمهاةِ رملٍ قد ترعّتِ الحمى | بين الظباءِ العفرِ والآرامِ (٦)
(٦٤) حتّى إذا ضربَ المصيفُ رواقَهُ | صافتْ بظلِّ أراكةٍ وبشامِ (٧)

. . . .

(١) في الهامش ((في ن : ((مخطومة)) .
(٢) في الهامش ((في بعض الاصول ((ممكنانا))
(٣) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨ .
(٤) أي قول ابن عبد ربه .
(٥) في الهامش ((الخدوج : مراكب للنساء كالمحفة ، واحدتها حدج ، بكسر الحاء)) .
(٦) في الهامش ((الظباء العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة ، أو التي في سرتها احمرار ، والآرام : جمع رئم ، وهو ولد الظبية)) .
(٧) في الهامش : ((صافت : أي أقامت زمن الصيف ، والبشام بفتح الباء بزنة السحاب — شجر عطر الرائحة)) .

((٢٠٨))

((مديد))

(٦٥) يا وميض البرق بين الغمام — لاعليها بل عليك السلام (١) (٢)

(٦٦) إن في الأحداج مقصورة — وجهها يهتك ستر الظلام

(٦٧) تحسب الهجر حلالاً لها — وترى الوصل عليها حرام

(٦٨) ما تأتيك لدار خلت — ولشعب شت (٣) بعد التئام

((إنما ذكرك ما قد مضى — ضلة (٤) مثل حديث المنام))

((٢٠٩))

((مديد))

(٦٩) من محب شفه (٥) سقمه — وتلاشى لحمه ودمه (٦) (٧)

(٧٠) كاتب حنت صحيفته — وبكى من رحمة قلمه

(٧١) يرفع الشكوى إلى قمر — تنجلي (٨) عن وجهه ظلمه

(٧٢) من لقرن الشمس جبهته — وللمع البرق مبتسمه (٩)

(٧٣) خل عقلي يا مستنمه — إن عقلي لست أتهمه

((للفتى عقل يعيش به — حيث تهدي ساقه قدمه (١٠)))

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٥ – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٤ .
(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للعروض المحذوف اللازم الثاني والضرب المقصور اللازم الثاني من المديد .
(٣) في اللسان ، شت شعبهم يشت شتا وشتاتا : أي تفرق جمعهم
(٤) ضبط بفتح الضاد والظاهر أنه بكسره من الضلال .
(٥) في اللسان ، شفه الحزن والحب يشفه شفا : لذع قلبه ، وقيل أنحله ، وقيل أذهب عقله . (٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٦ . – الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٥ . (٧) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة مثالا للعروض المجزوء المحذوف والمخبون ضربه من بحر المديد . (٨) في اليتيمة ((تنجلي))
(٩) هذا البيت غير موجود في اليتيمة . (١٠) البيت لطرفة بن العبد ، الديوان ص ...

((٢١٠))

((مجزوء البسيط))

(٧٤) ظالمتي في الهوى لا تظلمي ... فتصرمي حبل من لم يصرم (١) (٢)

(٧٥) أهكذا باطلاً ماقتتني ... لا يرحم اللّه من لم يرحم

(٧٦) قتلت نفساً بلا نفس وما ... ذنبٌ بأعظم من سفك الدم

(٧٧) لمثل هذا بكت عيني ولا (٣) ... للمنزل القفر ولا رسم (٤)

((ماذا وقوفي على رسم عفا ... مخلولق دارس مستعجم (٥)))

((٢١١))

((سريع))

(٧٨) أنت بما في نفسه أعلم ... فاحكم بما أحببت أن (٦) تحكم (٧) (٨)

(٧٩) الحافظه في الحب قد هتكت ... مكتومة ، والحب لا يكتم

(٨٠) يا مقلة وحشية (٩) قتلت ... نفساً بلا نفس ولم (١٠) تظلم

(٨١) قالت تسليت (١١) فقلت لها : ... ما بال قلبي هائم (١٢) مغرم

((يا أيها الزاري على عمر ... قد قلت فيه غير ما تعلم (١٣)))

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٩ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب المجزوء من البسيط .

(٣) في اليتيمة ((عيني لا)) . (٤) ((ولا الهرسم)) مكان قوله ((ولا رسم)) في اليتيمة أيضا

(٥) البيت في اللسان ((مادة : خلق)) نسبه للمرقش . وفيه اخلولق الرسم : استوى بالارض . واستعجمت الدار عن جواب سائلها : سكتت .

(٦) في اليتيمة ((بما شئت به)) مكان قوله ((بما أحببت أن)) .

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٠ ، ٩١ .

(٨) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب الاصلم السالم .

(٩) في اليتيمة ((يا مقلتي)) . (١٠) في اليتيمة ((ولا)) . (١١) في هامش العقد ((في أ ، ن : ((تشكت)) . (١٢) في اليتيمة ((فقلنا لها ماقال قلبي عاشق)) مكان قوله ((فقلت لها مابال قلبي هائم)) .

(١٣) ورد البيت في اللسان ((مادة زرى)) ولم ينسبه لقائل . وفيه : زريت عليه ، وزرى عليه ، بالفتح ، زرياً وزراية : عابه وعاتبه .

((٢١٢))

((كـــامـــل))

(٨٢) يــاوجّــهَ معتــذرٍ وقُلســةَ ظــالِـمٍ — كم مِن دمٍ ظُلمـًا سفكـتَ بـلادِمِ (١) (٢)

(٨٣) أوجــدتَ وصْلِي فــي الكـتابِ محـرّمـًا — ووجــدتَ قتلِـي فيــه غـيرَ محرّمِ

(٨٤) كـمْ جنّـةٍ لـكَ قـدْ سكنـتُ ظـلالَهـا — مُتـفـيّـئـًا في لذّةٍ وتنعُّــمِ

(٨٥) وشـربتُ مـنْ خمـرِ المُهـونِ تمـلّــلاً — فـإذا انتشيتُ أجـودُ جودَ المِرزمِ (٣)

((وإذا صحـوتُ فمـا أقصّـرُ عن نـدًى — وكـمـا علمـتِ شمـائلي وتكرّمي (٤)))

((٢١٣))

((سـريـع))

(٨٦) شمـسٌ تجـلّتْ تحتَ (٥) ثوبِ ظُلَـمْ — سقيمـةُ الطّـرفِ بغيرِ سقمْ (٦) (٧)

(٨٧) ضـاقتْ علـيَّ الأرضُ مُـذْ صـرّمتْ — حَبلِـي فما فيـها مكـانُ قـدمْ

(٨٨) شمــسٌ وأقمــارٌ يطـوفُ بهـا — طـوفَ النّصـارى حولَ بيتِ صنـمْ

((النّشـرُ مسـكٌ والـوجـوهُ دنـا — نيـرٌ وأطـرافُ الأكـفِّ عنـمْ (٨)))

. . . .

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٥٣
(٢) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض التام ، الضرب التام))
(٣) في اللسان ((المرزمان : نجمان من نجوم المطر ، وقد يفرد)) . وفي الهامش نفس المعنى .
(٤) البيت لعنترة من معلقته . الديوان ص ٢٤
(٥) في الهامش ((في ا ، ن : ((تحلت فوق)) .
(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٦ .
(٧) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض المخبول المكسوف ضربه مثله)) .
(٨) البيت في أمالي المرتضى ج ٢ ص ١٧٥ نسبه للمرقش الاكبر وفي اللسان ، العنم : شجر لين الاغصان لطيفها يشبه به البنان ، وهو مما يستاك به .

((٢١٤))

((متقارب))

(٨٩) أيَا ويحَ نفسي وَويْلُ امِّهَا ... لِما لقِيَتْ مِنْ جوَى عِيِّهَا (١)

(٩٠) فديْتُ التي قتلَتْ مُهجَتِي ... ولمْ تتَّقِ اللَّه في دمِّهَا

(٩١) أغُضُّ الجفُونَ إذا ما بدَتْ ... وأُكَنِّي إذا قِيلَ لي سَمِّهَا

(٩٢) أُدارِي العيُونَ وأخشَى الرَّقِيبَ ... وأرْصُدُ غَفْلةَ قَيِّمِهَا

((سبَتْنِي بجِيدٍ وخدٍّ ونحرٍ ... غَداةَ رمَتْنِي بأسْهُمِهَا))

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٢) أورد الشاعر القطوعة مثالا للضرب المحذوف المعتمد .

((٢١٥))

ومن قولنا الذي هو أمثال سائرة (١) : ((بسيط))

(١) قالُوا : شبابُكَ قد ولَّى ، فقلتُ لهُم : هلْ مِن جديدٍ على كرِّ الجديدينِ ؟

(٢) صِلْ منْ هويتَ وإنْ أبدَى معاتبةً فأطيبُ العيشِ وصلٌ بينَ إلفينِ

(٣) واقطَعْ حبائلَ خِلٍّ (٢) لا تلائمُهُ فربَّما ضاقتِ الدُّنيا على اثنينِ (٣)

(٤) فكَّرتُ فيكَ أبحرٌ أنتَ أمْ قمرٌ فقدْ تحيَّرَ فكري بينَ هذينِ

(٥) إنْ قلتُ : بحرًا (٤) وجدتُ البحرَ منحسرًا وبحرَ جودكَ ممتدَّ الغُبابينِ (٥)

(٦) أوقلتُ : بدرًا رأيتُ البدرَ منتقصًا فقلتُ : شتَّانَ ما بينَ البدرينِ (٦)

((٢١٦))

ومن قولنا في رقة النسيب والشعر المطبوع الذي ليس يدون ما تقدم ذكره (٧) :

((طويل))

(٧) صَحَا القلبُ إلاَّ خطرةً (٨) تبعثُ الأسَى لهَا زفرةٌ موصولةٌ بحنينِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٣٨ جاء بعد البيت الثالث ((وقلت بعد هذا في المدح)) - الابيات الثلاثة الاولى : في العقد ج ٣ ص ٤٤ و اليتيمة ج ٢ ص ٧٧ - البيتان الثاني والثالث : في العقد ج ٢ ص ٣١٦ وفي نفح الطيب ج ٣ ص ٤٤٧ - الابيات الثلاثة الاخيرة : في اليتيمة ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) في العقد ج ٣ ص ٤٤ ((خدن)) وكذلك في ج ٢ ، وفي النفح .

(٣) في العقد ج ٢ ((باثنين)) وفي هامش الجزء ٣ ص ١٣٨ ((في بعض الأصول ((باثنين)) مكان ((على اثنين)))) رواية النفح للمعجز : ((فقلما تسع الدنيا بغيضين))

(٤) في اليتيمة ((إن قلت بحر)) وفي البيت الذي يليه ((أو قلت بدر)) .

(٥) في اليتيمة ((المنانين)) .

(٦) في الهامش ((في بعض الأصول : ((البزيدين)) . في اليتيمة ((السيزيدين)) وفي هامشها ((يشير إلى قول الشاعر :

فشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٠٨ ماعدا الابيات الثلاثة الاخيرة ، التي وردت في : ص ٨٢ من نفس الجزء .

(٨) في اليتيمة ((نظرة)) .

(٨) بلى ربّما حلّتْ عُرا عزماتِهِ سَوالِفُ آرامٍ وأَعْيُنُ عِين

(٩) لواقِطُ حبّاتِ القلوبِ إذا رنَتْ بسِحْرِ عيونٍ وانكِسارِ جفونِ

(١٠) وريْطٌ (١) متينُ الوشْي (٢) أيْنَعَ تحتَهُ ثِمارُ صدورٍ لا ثِمارُ غصونِ

(١١) برودٌ كأنوارِ الربيعِ لبِسْنَها ثيابَ تصابٍ لا (٣) ثيابَ مُجونِ

(١٢) فَرَيْنَ (٤) أديمَ اللَّيلِ (٥) عنْ نورِ أوْجُهٍ تُجَنُّ بها الألبابُ أيَّ (٦) جُنونِ

(١٣) وُجوهٌ جرَى فيها النَّعيمُ فكُلِّلَتْ بِوَرْدِ خُدودٍ يُجْتَنَى بعُيونِ (٧)

(١٤) سألْبَسُ للأيّامِ دِرعًا من العَزا (٨) وإنْ لمْ يكُنْ عِندَ اللِّقا بحَصينِ

(١٥) فكيْفَ (٩) ولي قلْبٌ إذا هبّتِ الصَّبا أهابَ بِشَوْقٍ في الضُّلوعِ دفينِ (١٠)

(١٦) ويَهتاجُ مِنهُ كلَّ (١١) ما كانَ ساكِنًا دُعاءُ حَمامٍ لمْ يبِتْ (١٢) بوُكُونِ (١٣)

(١٧) وإنَّ (١٤) ارتياحي مِنْ بُكاءِ حَمامَةٍ كذي شَجَنٍ داويْتَهُ بشُجونِ

(١٨) كأنَّ حمامَ الأيْكِ حينَ (١٥) تجاوبَتْ حَزينٌ بكَى مِنْ رحمَةٍ لِحزينِ

. . . .

(١) في اللسان، الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين .

(٢) في اليتيمة ((من الوشي)) مكان قوله ((متين الوشي)) . (٣) في اليتيمة :((خضاب لا)) مكان قوله : ((تصاب في)) . وفي العقد ((في)) مكان ((لا)) وقد أثبت ما جاء في هامش العقد : ((في بعض الاصول : ((لا)) .

(٤) في اللسان فرى الشيء يفريه : شقه . (٥) في اليتيمة ((فرين نجوم اديم)) مكان قوله ((فرين أديم الليل)) وفي هامشها : ((كذا، ولم يستقم لنا صدر البيت)) .

(٦) في هامش العقد ((في بعض الاصول : ((كل)))) .

(٧) في هامش العقد ((في بعض الاصول ((وعيون)))) .

(٨) رواية الصدر في اليتيمة : ((سألبس للاحزان ثوب تصبر)) وفي هامش العقد : ((في بعض الاصول : ((الاسى)))) . (٩) في اليتيمة ((وكيف)) .

(١٠) في العقد ص ٤١٥ ((مكين)) وبالهامش ((في ا ، ن ((وفين)))) . وفي اليتيمة ((في الفؤاد كمين)) مكان قوله ((في الضلوع دفين)) .

(١١) في اليتيمة ((قلبي كلما)) مكان قوله ((منه كل ما)) . (١٢) في العقد ص ٤١٥ ((تبت)) . (١٣) في هامش اليتيمة ((الوكون : جمع وكن، وهو عش الطائر))

(١٤) في العقد ص ٤١٥ ((وكان)) وفي الهامش : ((في ا، ن : ((وإن)) .

(١٥) في العقد ص ٤١٥ ((لما)) وكذلك في اليتيمة .

((٢١٧))

ومن قولنا في بيت أوله مثل وآخره مثل (١): ((سريع))

(١٩) وقدْ صرَّحَ الأعداءُ بالبيْنِ وأشْرقَ الصُّبحُ لِذي العَيْنِ (٢)

(٢٠) وعادَ منْ أهْواهُ بعْدَ القِلى شقيقَ رُوحٍ بيْنَ جِسمَيْنِ

(٢١) وأصبحَ الدَّاخِلُ في بيْنِنَا كساقِطٍ بينَ فِراشيْنِ

(٢٢) قد أُلبِسَ المُقْصَةَ ذا وذا لا يصْلحُ الغِمْدُ لِسيْفيْنِ

(٢٣) ما بَالُ منْ ليْسَتْ لهُ حاجَةٌ يكونُ أنفًا بينَ عيْنيْنِ

((٢١٨))

ومن قولنا فيه (٣) (٤) : ((طويل))

(٢٤) ولوشِئْتُ راهقْتُ الصَّبابةَ والهَوى وأجْرَيْتُ في اللَّذاتِ منْ مائتيْنِ (٥)

(٢٥) وأسْبلْتُ مِنْ ثوبِ الشَّبابِ وللصِّبَا عليَّ رداءٌ مُعْلَمُ الطَّرفيْنِ (٦)

((٢١٩))

ومن قولنا في الشباب (٧) : ((كامل))

(٢٦) ولَّى الشَّبابُ وكُنْتَ تسْكُنُ ظِلَّهُ فانْظُرْ لنفْسِكَ أيَّ ظِلٍّ تَسكُنُ

(٢٧) ونَهَى (٨) المشيبُ عنِ الصِبا لَوْ أنَّهُ يُدلي بِحُجَّتِهِ إلى مَنْ يَلْقَنُ (٩)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) جاء بعد هذا البيت ((وبعده أبيات في كل بيت منها مثل ، وذلك :))
(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٧ ، ٤٨ . (٤) أي في الشباب .
(٥) في الهامش ((من مائتين ، يريد من مسافة بعيدة)) .
(٦) في الهامش ((أسبل الثوب : أرخاه . وإعلام الثوب : رسمه وترقيمه .
(٧) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٧ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٧٩ قال : ((وقوله في الشباب)) . (٨) في اليتيمة ((وانه)) .
(٩) في هامش العقد ((كذا في الاصول . واللقن : سرعة الفهم . والذي في اليتيمة : ((يفطن)))) . وفي اليتيمة ((يعلن)) . ولعل الرواية في هامش العقد عن نسخة أخرى لم ترد الاشارة إليها .

((٢٢٠))

وقلت فيه أيضا (١) (٢) : ((بسيط))

(٢٨) لا بيتَ يُسكَنُ إلاّ فارَقَ السَّكَنَا ولا اقتلا فرحًا إلاّ اقتلا حزنًا (٣)

(٢٩) لَهْفِي (٤) علىَ ميِّتٍ ماتَ السُّرورُ بِهِ لو كانَ حيًّا لأحيا الدِّينَ والسُّننا

(٣٠) واهًا عليكَ أبا بِشْرٍ مُرَدَّدةً لو سكَّنَتْ ولَهًا (٥) أو فَتَّرَتْ شَجَنا

(٣١) إذا ذكرتُكَ يومًا قلتُ : واحَزَنا وما يَرُدُّ عليَّ (٦) القَولُ : واحَزَنا ؟

(٣٢) يا سيِّدِي ومَراحَ الرُّوحِ في جَسَدِي (٧) هلّا دنا المَوْتُ منّي حينَ (٨) منكَ دنا

(٣٣) حتّى يَعُودَ بنا في قَبْرٍ مُظْلِمَةٍ لَحْدٌ ويُلبِسنَا في واحِدٍ كَفَنًا (٩)

(٣٤) يا أطيبَ النّاسِ روحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أستودِعُ اللّهَ ذاكَ الرُّوحَ والبَدَنا

(٣٥) لَوْ كُنتُ أُعطَى بِهِ الدُّنيا مُعاوضَةً منهُ لما كانتِ الدُّنيا لهُ ثَمَنا

((٢٢١))

ومن قولنا في الأقلام (١٠) : ((سريع))

(٣٦) ومعشرٍ تَنطِقُ أقلامُهُمْ بِحكمةٍ تلقفُها الأعيُنُ

(٣٧) تلفظُها في الصَّكِّ أقلامُهُمْ كأنّما أقلامُهُمْ ألسُنُ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٢٥٢، ٢٥٣ ـ الثعالبي : ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) أي : في رثاء ولده . (٣) في هامش اليتيمة ((اقتلا : أصله اقتلاء ـ بالهمزة ـ فخفف الهمزة بقلبها ألفا لانفتاح ماقبلها ، وذلك في مثل هذا الموضع ضعيف في العربية)) . (٤) في اليتيمة ((لهفا)) .

(٥) في اليتيمة ((والها)) . (٦) في اليتيمة ((عليك)) .

(٧) في اليتيمة ((ومزاج الروح في بدني)) مكان قوله ((ومراح الروح في جسدي))

(٨) في اليتيمة ((حيث)) .

(٩) هذا البيت غير موجود في اليتيمة .

(١٠) ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ١٩٥ .

((٢٢٢)) (١) (٢)

((وافـــــر))

(٣٨) سلبتَ الرّوحَ مِنْ بدنِي ورُعْتَ (٣) القلبَ بالحَزَنِ

(٣٩) فلي بدَنٌ بلا رُوحٍ ولي رُوحٌ بلا بَدَنِ

(٤٠) قَرنْتَ مَعَ الرَّدَى نَفْسِي فنَفْسِي وهْوَ في قَرَنِ

(٤١) فليتَ السِّحرَ مِنْ عَينَيْكَ لم أرَهُ ولم يَرَني

((٢٢٣))

إن ابن عبد ربه قال هذه الابيات قبل موته بأحد عشر يوما ، وهو آخر شعر قال ، وفيه بيان ملغ سنه (٤) : ((طويل))

(٤٢) كِلاني لِما بي عَاذِلَتَي كَفَاني طَويتُ زَماني بُرهَةً وطَواني

(٤٣) بُليتُ وأبلَتْني اللّيالي وكَرُّهَا (٥) وصَرفانِ (٦) لِلأيَّامِ مُعتَوِرانِ (٧)

(٤٤) ومالِيَ لا أبلَى (٨) لسبعين حِجَّةً وعشرٍ أتَتْ مِن بعدِها سَنَتانِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٥ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٦ ، ٩٧ .
(٢) أورد ابن عبد ربه المقطوعة للوافر المجزوء السالم ضربه مثله في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .
(٣) في اليتيمة ((وصمت)) .
(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٩٦ ـ ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٦٠ قال ((وبلغ سن عوف بن محلم واعترف بذلك اعتراف متألم ، عندما وهت شدته ، وبليت جدته ، وهو آخر شعر قال ، ثم عثر في أذيال الردى وما استقال)) .
المقري : نفح الطيب ج ٧ ص ٥٢ ، ٥٣ . أورد ما جاء في المطمح عن مناسبة المقطوعة بنصه .
(٥) في المطمح ((وكرهما)) وفي النفح ((مكرها)) وفي معجم الادباء ((بكرها)) .
(٦) في هامش معجم الادباء ((الصرفان : الليل والنهار))
(٧) هذا البيت والذي يليه في معجم الادباء ج ٤ ص ٢١٨ ، ٢١٩ قال : ((ومن شعره ، وهو آخر شعر قاله فيما قيل)) وفي هامشه ((أي متتابعان)) .
(٨) في معجم الادباء ((ومالي لا أبكي)) وفي هامشه : ((كانت بالاصل ((بي)) مكان ((ولي))) فأصلحت إلى ما ذكر)) .

(٤٥) فلا تسألاني عن تباريح علّتي ... ودونكما منّي الذي تريان

(٤٦) وإنّي بحمد (١) اللّه راجٍ لفضله ... وليّ من ضمان اللّه خير ضمان

(٤٧) ولستُ أُبالي عن (٢) تباريح علّتي ... إذا كان عقلي باقيًا ولساني

(٤٨) هما ما هما في كلّ حالٍ تلمّ بي ... فذا صارمي فيها، وذاك سناني (٣)

((٢٢٤))

وقوله (٤) (٥) : ((طويل))

(٤٩) أماوَ الذي سوّى السّماء مكانَها ... ومَن ((مرج البحرين يلتقيان (٦)))

(٥٠) ومَن قام في الأوهام من غير رؤيةٍ ... بائنتَ من إدراك كلّ عيان

(٥١) لما (٧) خُلقتْ كفّاك إلّا لأربعٍ ... عقائل (٨) لم تُخلق (٩) لهنّ يدان (١٠)

(٥٢) لتقبيل أفواهٍ، وإعطاء نائلٍ ... وتقليب هنديٍّ، وحبس عنان

((٢٢٥))

أنشدتُ له (١١) (١٢) : ((كامل))

(٥٣) بكرتْ عليّ عواذلي يلحينني (١٣) ... وعلى الذي لم يعدني أعدينني (١٤)

....

(١) في المطمح ((بحول الله)) وكذلك في النفح . (٢) في النفح ((من))
(٣) هذا البيت غير موجود في ((المطمح)) وفي ((النفح)) .
(٤) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ١٠ . (٥) أي ابن عبد ربه .
(٦) سورة الرحمن ٥٥ / ١٩ . (٧) في نفح الطيب ((وما)) .
(٨) في اللسان عقيلة كل شيء : أكرمه . (٩) في النفح ((لم تخلق))
(١٠) ورد هذا البيت والذي يليه في النفح ج ٣ ص ٤٣٥ .
(١١) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٥ ، ٦ .
(١٢) أي لابن عبد ربه .
(١٣) في اللسان، لحيت الرجل ألحاه لحيا : إذا لمته وعذلته
(١٤) أراد أنه كسب عداوتهن لملازمة الشيب له ، والذي لم يتخذه عدوا كما فعلن بل لازمه .

(٥٤) إيهًا عليكَ ، فقد كبرتَ عن الصِّبا ونهى المشيبُ عن الذي ينهنهني (١)

(٥٥) أنّى وكيفَ وقد رأينَ تنغّصري عن عهدِ بهنَّ إذا الغصونُ رأينني

(٥٦) وعلى مُفارقةِ الشّبابِ شجينني وعلى مُعاداةِ الصِّبا عاديْنني

(٥٧) أدنينني حتّى إذا انتهبَ الجوى أتصبّينني أضعافَ ما أدنينني

(٥٨) وفتنّني بلواحظٍ تشكو الضّنى دائي بهنَّ ، وربّما داويْنني

(٥٩) يُذكينَ في قلبي ومن جوانحي حُرقًا بنارِ جحيمها أصليْنني (٢)

(٦٠) يا ابنَ الخلائفِ ، إنّ أيّامَ الغِنى أيّامكَ الغُرُّ التي أغنيْنني

(٦١) بنوالها وسجالها (٣) وشمالها أسقيْنني حتّى لقد أرويْنني

((٢٢٦))

وقوله (٤) (٥) : ((وافـــر))

(٦٢) تُعلّلنا أُمامةُ بالأماني ولجَّ بنا البعادُ عن التّداني

(٦٣) إذا ما قلتُ : أينَ الوصلُ ؟ قالتْ : طلبتَ المستقرّ في دارِ الهوانِ

((٢٢٧))

ومن قولنا في صفة الحرب (٦) : ((وافـــر))

(٦٤) ومُغبرُّ السّماءِ إذا تجلّى يغادرُ أرضَهُ كالأرجوانِ

....

(١) في الأصل بالتاء ((تنهنهني)) وكذلك ((يلحينني)) وفي البيت السابق فأصلحت إلى ما ذكرت . (٢) بعد هذا البيت ((ومنها أيضا)) .

(٣) في اللسان السَّجْل : الدلو الضخمة المملوءة ماء .. والجمع سجال ولا يقال لها فارغة سجل ولكن دلو . ويقصد الكثرة والقلة بقوله : ((وسجالها وشمالها)) فالشمالة : الماء القليل .

(٤) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٦ .

(٥) أي قول ابن عبد ربه .

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٩٦ .

(٦٥) سموتَ لهُ سمُوَّ النقْمِ فيه ... بكُلِّ مذَلَّقٍ (١) سلِبِ السِّنَانِ

(٦٦) وكلِّ مُشَطَّبِ المَتْنَيْنِ صافٍ ... كلَوْنِ المِلْحِ مُنصلتٍ يمانِي (٢)

(٦٧) كأنَّ نَهَارَهُ ظَلْمَاءُ ليْلٍ ... كواكِبُهُ مِنَ السُّمْرِ اللِّدانِ (٣)

((٢٢٨))

((مديد))

(٦٨) أيُّ تفَّاحٍ ورُمَّانِ ... يُجتنَى (٤) مِنْ خُوطِ (٥) رَيحانِ (٦) (٧)

(٦٩) أيُّ وردٍ فوقَ خدٍّ بَدَا ... مُستنيرًا بينَ (٨) سُوسانِ (٩)

(٧٠) وثُنٍ يُعبدُ في روضةٍ (١٠) ... صِيغَ مِنْ دُرٍّ ومَرْجانِ

(٧١) مَنْ رأى الذَّلفاءَ في خلْوةٍ ... لمْ يَرَ الحدَّ على الزَّاني

((إنَّما الذلفاءُ ياقُوتةٌ ... أُخرِجتْ مِنْ كيسِ دِهقانِ (١١)))

....

(١) في الهامش ((مذلق : محدد . وسلب : طويل .

(٢) في الهامش ((مشطب : فيه طرائق . ومنصب : صقيل ماضي .

(٣) كذا في ا . والسمر اللدان : الرماح الملينة . والذى في سائر الاصول : ((الشمس الدواني)) : وهو تحريف .

(٤) في اليتيمة ((نجتني))

(٥) في اللسان ، الخوط : الغصن الناعم .

(٦) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٤٦ - الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) أورد ابن عبد ربه المقطوعة مثالا للضرب الابتر من المديد .

(٨) في اليتيمة ((فوق)) .

(٩) السوسن والسوسان : نبات من الرياحين ، الواحدة : سوسنة .

(١٠) في اليتيمة ((خلوة)) وفي هامش العقد : ((في ا ، ن ((بيعة))))

(١١) البيت في اللسان ((مادة ذلف)) ولم ينسبه لقائل . وفيه الذلف : قصر الأنف وصغره ... ومنه سميت المرأة . والدهقان التاجر ، فارسي معرب .

((٢٢٩))

ومن قولنا في الحرب(١) : ((بسيط))

(١) وربّ ملتفّة العوالي يلتمع الموت في ذراها
(٢) اذا توسّطت (٢) حزون (٣) أرض طحطحت (٤) الشمّ من رباها
(٣) يقودها منه ليث غاب إذا رأى فرصة قضاها
(٤) تمضي بآرائه سيوف يستبق الموت في ظباها
(٥) بيض تحلّ (٥) القلوب سودًا إذا انتضى عزمه انتضاها (٦)
(٦) تتبعه (٧) الطير في الأعادي تجني كلا (٨) العشب (٩) من كلاها
(٧) أقدم إذ كاع (١٠) كلّ ليث عن حومة الموت إذ رآها
(٨) فاقتحم الخيل (١١) في غمار تقشعرّ بالموت لهوتاها
(٩) عنت له أوجه المنايا فعافها القوم واشتهاها

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج١ ص ١١٥، ١١٦
(٢) في الهامش ((توسطت : أصله توسطات)) .
(٣) في اللسان، الحزن : ما غلظ من الارض .
(٤) في الهامش ((كذا في أكثر الاصول وطحطحت الشم من رباها ، أي كسرتها ودققتها . والذي في ا : ((صحصحت)) ، والمعنى يستقيم عليه أيضا)) .
(٥) في الهامش ((في الاصول : ((تخلى)))) .
(٦) في اللسان، نضا السيف نضوا وانتضاه : سله من غمده .
(٧) في الهامش ((في ا : ((نتبعها)))) .
(٨) في الهامش ((كلا العشب، يريد : كلأ العشب، فسهل)) .
(٩) في الهامش ((في ا ،ب ((العيش)) . وهو تحريف)) .
(١٠) في الهامش ((كذا في ا . وكاع : جبن . والذي في سائر الاصول : ((كسع)) . وهو تحريف)) .
(١١) في الهامش ((كذا في ا . والذي في سائر الاصول : ((الموت)) . وهو خطأ من الناسخ)) .

((٢٣٠)) (١) (٢)

((كامل))

(١٠) أَلحَساظُ عيني تلتشي (٣) في روضِ وردٍ يشتزدهي (٤)

(١١) وتمتْ بها وتنزّهتْ فيها أَلسنّ (٥) تنزّه

(١٢) يا أيّها الخنثُ الجفو ن بنخوةٍ وتكرّهِ (٦)

(١٣) والمكتسي غنجًا (٧) أما ترثي لأشعثَ أمْرِه

((٢٣١))

ومن قولنا في رقة النسيب وحسن التشبيب (٨) : ((كامل))

(١٤) كم سوسنٍ (٩) لطفَ الحياءُ بلونه (١٠) فأصاره وردًا على وجناته

((٢٣٢))

ومن قولنا في المعنى (١١) (١٢) : ((بسيط))

(١٥) ونائحٍ في غصون الأيك (١٣) أرقني وما عنيت بشيءٍ ظل يعنيه

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٧ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٩

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الثامن من الكامل وهو المجزوء الصحيح في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في اليتيمة ((عين تلتهي)) .

(٤) في اليتيمة ((تزدهي))

(٥) في اليتيمة ((عنها بأي)) مكان قوله ((فيها ألسن)) .

(٦) في هامش اليتيمة ((الخنث : الذي فيه تكسر ولين)) .

(٧) في اليتيمة ((والمكتسي عجبا)) مكان قوله ((والمكتسي غنجا))

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٣٩٩ ، ج ٦ ص ١١٦ .

(٩) في ج ٦ ((شادن)) . (١٠) في ج ٦ ((بوجهه)) وفي هامشه ((في بعض الأصول : ((كم سوسن لطف الحياء بلونه)))) .

(١١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤١٦ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩ .

(١٢) أي في الحمام .

(١٣) في اليتيمة ((السدر)) .

(١٦) مُطَوَّقٍ بخضابٍ ما يُزايِلُهُ (١) حتّى تُفارِقَهُ (٢) إحدى تَراقيهِ (٣)

(١٧) قد باتَ يَبْكي بشَجْوٍ (٤) ما دَرَيْتَ بِهِ وبِتُّ أَبْكي بشَجْوٍ ليسَ يَدْريهِ

((٢٣٣))

ومن قولنا أيضا (٥) (٦) : ((بسيط))

(١٨) أَطْلالُ لَهْوِكَ قد أَقْوَتْ مَغانيها لم يَبْقَ من عَهْدِها إلا أثافيها

(١٩) هذي المَفارِقُ قد قامَتْ شَواهِدُها على فَنائِكَ والدُّنيا تُزَكِّيها

(٢٠) الشَّيْبُ سُفْتَجَةٌ (٧) فيها مُعَنْوَنَةٌ لم يَبْقَ للمَوْتِ إلاّ أن يُسَحِّيها (٨)

((٢٣٤))

فأتى لابن عبد ربه أن أجابه مسرعا فقال (٩) : ((سريع))

(٢١) إن كُنْتَ في عَدَدِ أَبْنائِهِ فَقَدْ سَقَى أُمَّكَ مِن مائِهِ

....

(١) في اليتيمة ((بعقود ما تزايله)) . (٢) في اليتيمة ((تزايله)) وفي هامش العقد ((في بعض الأصول ((تزاوله)))) .
(٣) في اللسان ((الترقوتان : العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق للناس وغيره .
(٤) في اليتيمة ((لشجو)) في الصدر وفي العجز . (٥) ابن عبد ربه : العقد ج ٣ ص ٤٤ .
(٦) في الشيب . (٧) في الشفاء : سفتجة : فارسية معربة وهي الخطوط وأصلها أن يكون لواحد ببلد متاع عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ويكتب له خوفا من غائلة الطريق .
(٨) في الهامش ((يقال : سحى القرطاس إذا أخذ منه سحاءة ، والسحاءة : ما يقشر عنه))
(٩) ابن حيان : المقتبس ج ٣ ص ٤٢ قال ((وذكر بعض الأدباء أن ابن عبد ربه والقلفاط اجتمعا عند بعض الوزراء أيام تفاسدا وتهاجيا فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم يا أبا عبد الله مع أبي عمر فقال القلفاط بديهة :

حال طلا سلبي عن رائه وكنت في عدد أبنائه

فأتى لابن عبد ربه أن أجابه مسرعا فقال (البيت : ٢١) فقطعه ابن عبد ربه وعجب الوزير من قوة بديهته وقال : غنيمة الكلام بعد سلاعة الجواب)) .
المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ قال : ((ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمد يحيى القلفاط الشاعر ، ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد مر به يوما وكان في مشيه اضطراب ، فقال : أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه : كذبتك عرسك أبا محمد ، فغمز على القلفاط كلامه ، وقال له أتتعرض للحرم ؟ والله لأرينك كيف الهجاء ، ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا فودعيني سرا من أبي عمرا =

((٢٣٥))

ومن قولنا في هذا المعنى (١) (٢) : ((بسيط))

(٢٢) يا غافلاً ما يرى إلاّ محاسنه ولو درى ما رأى إلاّ مساويه

(٢٣) انظر إلى باطن الدنيا ، فظاهرها كل البهائم يجري طرفها فيه

((٢٣٦))

ومن قولنا (٣) (٤) : ((منسرح))

(٢٤) طوقته بالحسام منصلتا آخر طوق يكون (٥) في عنقه

((٢٣٧))

وقوله (٦) : ((خفيف))

(٢٥) بنذمام المسوى أمت إليه وبحكم العقار (٧) أقضي عليه

(٢٦) بأبي من زها علي بوجه كاد يدمى لما نظرت إليه

(٢٧) كلما علني من الراح صرفا علني بالرضاب من شفتيه

(٢٨) ناول الكأس واستمال بلحظ فسقتني عيناه قبل يديه

....

= ثم تهاجيا بعد ذلك ، وكان القلفاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية ويسمي كتاب العقد حبل الثوم ، فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء ، فقال الوزير للقلفاط : كيف حالك اليوم مع أبي عمر ؟ فقال مرتجلا :
حال طلاس لي عن رائه وكنت في تمدد أبنائه
فبدر لابن عبد ربه وقال : (البيت : ٢١) فانقطع القلفاط خجلا))

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ٣٦٤ . (٢) ((في حكمة تمييز الله للانسان بالعقل

(٣) ابن عبد ربه : العقد ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) في الهامش ((كذا في ا . والذي في سائر الأصول : ((وقال)) .

(٥) في الهامش ((في ا ، ى ((يشد)) .

(٦) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٦ ، ٧ .

(٧) في اللسان ، العقار : الخمر ، سميت بذلك لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن أي لزمته .

((٢٣٨))

وقوله (١) : ((كامل))

(٢٩) بأبي غزالٌ صدَّ بعدَ وصالِهِ وزَها عليَّ بحُسنِهِ وجَمالِهِ

(٣٠) سلَبَ الكَرى عنّي وأنْهما الكرى وحمَى خيالي مِن لِقاءِ خيالِهِ (٢)

((٢٣٩)) ((رمل))

(٣١) يا هِلالاً في تَجلِّيهِ (٣) وقضيباً في تَثَنِّيهِ (٤) (٥)

(٣٢) والذي لستُ أُسمّيهِ ولكنّي أُكَنّيهِ

(٣٣) شادِنٌ (٦) ما تَقْدِرُ العَيْـنُ تَراهُ من تَلالِيهِ

(٣٤) كلّما قابلَتَهُ (٧) شخْصٌ رأى صُورتَهُ فيهِ

((لأنَ حتّى لو مَشى الـذَّرُ عليه كادَ يُدْمِيهِ))

((٢٤٠))

((متقارب))

(٣٥) لاتَهْلِكِ لِمثْلَى ولا مِثْلَهُ ولا تَنْشُدُ بن راكِبا نِيَّةٌ (٨)(٩)

....

(١) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ١٠

(٢) في الهامش ((الكرى من الاضداد ، يطلق على الارق والسهاد ، ويطلق على النوم)) .

(٣) في العقد ((تجنيه)) وأثبت رواية اليتيمة .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٦٣ _ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٠

(٥) أورد الشاعر المقطوعة مثالا لـ ((العروض المجزوء ، الضرب المسبغ)) .

(٦) في اللسان ، الشادن من أولاد الظباء : الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . (٧) في اليتيمة ((قابلها)) .

(٨) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٤٧٦ .

(٩) أورد الشاعر المقطوعة مثالا للضرب الابتر . في اللسان ، النية والنوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد .

(٣٦) وبكِّ الصِّبا إذْ طوى ثوبَهُ ... فلا أحدٌ ناشرٌ طيَّهْ

(٣٧) ولا القلبُ ناسٍ لما قد مضى ... ولا تاركٌ أبدًا همَّهْ

(٣٨) ودعْ قولَ باكٍ (١) على أرسمٍ ... فليس الرسومُ بمبكيَّهْ

((خليليَّ عوجا على رسمِ دارٍ ... خلتْ من سُليمى ومن ميَّهْ))

....

(١) في الهامش ((في بعض الأصول : ((فنك بأسا)) .

((٢٤١)) (١) (٢)

((كـــامـــل))

(١) أَطفـأْتُ شـرَارَةَ لَهْـوِي ... وَلَـسوْتُ بِشِـدَّةِ (٣) عَـدْوِي

(٢) شُعَـلٌ عَلَـوْنَ فَـارِقِـي ... وَضَـتْ بِبَهجَـةِ سَـرْوِي (٤)

(٣) لَمَّـا سَلَكْـتُ (٥) عَـرُوضَهَـا ... ذَهَـبَ الزِّحَـافُ بِحَـذْوِي (٦)

(٤) يَـا أَيُّهَـا الشَّـادِي صَـهٍ ... لَسْـتَ بِسَـامَةِ شَـدْوِ

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٨ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب التاسع من الكامل وهو المجزوء المقطوع إلا من سلامة الثاني في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال : ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في اليتيمة ((بشـرَّة))

(٤) في اللسان السرو : المروءة والشرف .

(٥) في اليتيمة ((شككت))

(٦) في اليتيمة ((بجزوي))

و في اللسان ، الحذو من أجزاء القافية حركة الحرف الذي قبل الردف يجوز ضمه مع كسرته ولا يجوز مع الفتح غيره .

((٢٤٢)) (١) (٢)

((هـزج))

(١) هذا تفنى (٣) قوافي الشعـ ـرفي هذا المروي

(٢) قوافٍ ألبست حليـا ـين الحسن (٤) البدي

(٣) تعالت عن جريرٍ بل زهيرٍ بل عدي (٥)

....

(١) ابن عبد ربه : العقد ج ٥ ص ٥١٨ ـ الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٩٩

(٢) أورد ابن عبد ربه هذه المقطوعة للضرب الثاني من الهزج وهو المحذوف في سياق التقديم لمثال سابق ص ٥١٠ من نفس الجزء حيث قال ((ومن قولنا مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض)) .

(٣) في الهامش ((في بعض الاصول ((تفنى))) .

(٤) في اليتيمة ((الحلي)) .

(٥) أشار هنا إلى ثلاثة شعراء مشهورين الأول في الاسلام وهو جرير بن عطية والثاني والثالث في الجاهلية وهما زهير بن أبي سلمى وعدي بن زيد .

تكملة الديوان

من

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس

للشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب

تحقيق الدكتور إحسان عباس

حرف البـــاء

((243))

وقال ابن عبد ربـــه (1) ((الرجـز))

يختلسُ الأنفُس باستلابـه ... كلب يلقّى الوحيّ من كلّابـهْ (2)

يمونُ (3) أهلَ البيتِ باكتسابـهْ ... أ هيّبتُـه فانصاعَ في أهابـهْ

كأنَّه الكوكبُ في انصبابـهْ ... أو قبسٌ يلقط من شِهابـهْ

((244))

وقال ابن عبد ربـه (4) ((الطويـل))

ديارٌ عفتْ تبكي السحابُ طلولَهـا ... وما طَلَلٌ تبكي عليه السحائـبُ

وتندُبها الارواح حتى حسبتُهـا ... صدى حُفرةٍ قامت عليها النوادبُ

---

(1) 2 / 183 في باب الطـرد
(2) في الهامش ، الكلاب : صاحب الكـلاب
(3) في الهامش ، الاصل : يهـون
(4) 2 / 166 في باب الوقوف على الديار والربوع

((245))

وقال ابن عبد ربـــــه (1) ((الزّ ـــر))

رشًا سجدَ الجمالُ لوجنتيتـــــــــهِ كما سجد النصارى للصليـــبِ

عليه من محاسنه شهــــــــــــودٌ تؤ ديها (2) العيونُ إلى القلوبِ

يلا عبُ ظلَّه طربًا ولهـــــــــواً كما لعِب الشمالُ مع الجنـــــوبِ

حرف الجيـــــم

((246))

وقال أحمد بن عبد ربـــــــه (3) ((الرجز))

ربَّ بقيـــــــــــــعٍ طامس المنهـــــــــاجِ (4)

رضيعِ كـــــــــــلٍّ أو طفٍ ثجّـــــــــاجِ (5)

حَبابُه كالنـــــــــــــفخِ في الزجـــــــــاجْ

---

(1) 2 / 122 في باب الحســــــن

(2) في الهامش ء الا صل تود بهـــــــا

(3) 1 / 62 ء في الانهـــــار والجدا ول والمياه الجارية والا واجن

(4) في الهامش ء البقيع : موضع منخفض فيه شجـر ء الطـامس : الدارس .
المنها ج : الطريــــــق

(5) في الهامش ء الا وطا ف : السحاب الذى استرخت نواحيه . ثجاج : كثير الصب

حرف الحـــــاء

((247))

وقال ابن عبد ربــــــه (1) ((المنسرح))

لله عبدُ الرحيمِ من ملِــــــكٍ ما بعدهُ للعيونِ مـــطَّرحُ
كأنَّ بابَ السماءِ من يــــــده على جميع الأنامِ مُنفتِــــحُ

حرف الــــدال

((248))

وقال أيضــــا (2) ((الوافر))

موَرَّدةٌ إذا دارتْ ثلاثـــــاً يفتِّح وردها وَرْدَ الخـــدُودِ
فإن مزجتْ تخال الشمسَ فيهــا مطبقةً على قمر السُّعــــودِ

حرف الــــراء

((249))

وقال ابن عبد ربــــــه (3) ((البسيط))

والعود يخفِقُ مثنــــــاه ومَثلَثهُ والصبح قد غرَّدتْ منه عصافيرُهُ

---

(1) 3/ 249 ، في باب الجود
(2) 1/ 92 ، في باب الشراب وأوصاف الخمر
(3) 1 / 107 ، في باب العود والطنبور وسائر المعازف

وللحجارةِ (1) أهــزاجٌ إذا نَطقــتْ   أجابَها الكيثرُ المُخفيه ناقِــرُهُ

كأنّما العودُ فيما بينها ملِـــــكٌ   يمشي الهُوَيْنا وتتلوهُ عساكِــرُهُ

كأنه إذا تمطى وهْي تسمَعُـــــهُ   كسرى بن هُرمُـزَ تقفوه أساورهُ (2)

((250))

وقال أيضـــا (3) ((الوافـر))

إليك فررتُ من لحظاتِ عيـــنٍ   خلعتَ بها القلوبَ من الصـدورِ

تسيلُ مع الدموعِ جفونَ عينـــي   كما سالَ الفؤادُ مع الزّفيـــرِ

((251))

قال أحمد بن عبد ربـــه (4) ((الوافر))

ورادعةٍ بأنفاسِ العبيــــرِ   مقنّعةِ المفارقِ بالقتيــرِ (5)

جلتْها الكاسُ فاطلعتْ علينـــا   طلوعَ البِكرِ في حُلَلِ الحريــرِ

---

(1) في الهامش، كذا وأظنه يعني بها الصنوج، الا أن تكون مصحفة عن الجهارة، وهي جهار ترك بالفارسية، آلـة موسيقية. الكيثر: لعلها لغة في الكيثارة

(2) في الهامش، الأسا ورجمع إسوار وهو الفارس

(3) 2 / 152، في باب البكـاء

(4) 1 / 88 ــ 89، في باب الشراب وأوصاف الخمـر

(5) في الهامش، رادعة: ملمعة بالطيب. المفارق: الرؤوس. القتير: الشيب وهو كناية عما يعلو الخمر من زبـد

كأن كؤوسها يحملن منهـــا ... شموسًا أُلبِسَتْ خِلَعَ البــدورِ

كأن مزاجها لما تجلَّــت ... بصحنِ زُجاجِها نـارٌ بنــورِ

كأنّ أديمها ذهبٌ عليـه ... أكاليلٌ من الدرِّ النثيــرِ

حرف السيـن

((252))

وقال أحمد بن عبد ربه (1) ((الكامل))

حتى إذا ما الليلُ تــقوّ ... ضَ راحلاً عند الغلَس

وبدا الصباحُ كــغُرّةٍ ... تبدو على وجهِ الفـرس

حرف الصـاد

((253))

وقال أحمد بن عبد ربه (2) ((مجزوء الوافر))

تريكة أُدحيّةٍ ودُرّة غائــص ... ودمية محرابٍ وظبيةُ قانــص (3)

هو البدرُ إلا أنني كلَّ ليلـةٍ ... أرى البدرَ منقوصًا وليس بناقــص

---

(1) 1 / 26 ،في باب انبلاج الصبح

(2) 2 / 122 ،في باب الحسن

(3) في الهامش ،التريكة : البيضة . الأدحي : مبيض النعام في الرمل

حـــــرف القا ف

((254))

قال ابن عبد ربـــــــه (1) ((البسيط))

ورُبَّ طيفٍ سرى وهنًا فهيَّجنـــــي ... نفى طوارق همٍّ النفسِ إذْ طرقـــا

كأنما أغفل الرضوان رقبتَـــــهُ ... وهنًا ففر من الفرد وس مسترِقـــا

((255))

وقال أيضـــا (2) ((الكامل))

والدارُ بعد هُمُ مقسَّـــــمةٌ ... بين الرياح وهاتِنِ الـــوَدْقِ (3)

درج الزمان على معارفِهـــا ... كمدارجِ الاقلام في الـــرِّقِّ

لم يبق منها غير أرميـــدَةٍ ... لُبِّدْنَ بين خـــوالـــدِ وُرْقِ (4)

وسطور آناءٍ بعقْوَتِهـــا ... مَحنوَّةٍ كأهِلَّةِ المحْـــقِ (5)

---

(1) 2 / 162 ، في باب الخيـــل
(2) 2 / 166 ، في باب الوقوف على الديار والربـــوع
(3) في الهامش ، الودق : المطـــر
(4) في الهامش ، الخوالد الورق : هي الأثافـــي
(5) في الهامش ، آنـــاء : جمع نـــؤي وهو الحفير حول الخيمة ، وفي الأصل : آبـــاء . والعقوة : الساحة .

حـــــرف الــــلام

((256))

قال أحمد بن عبد ربه يصف البحر والسفينة ويمـــدح (1) ((البسيط))

بحرٌ يسير على بحر بجاريـــــةٍ للبحر حاملةٌ بالبحر تُحتمـــــلُ (2)

كأنها جبلٌ في الماء منتقـــــلٌ يا مَن رأى جبلاً في الماء ينتقِـــــلُ

تحكي العروسَ تهادى في تأوُّدها وقد أطافتْ بها الدَّاياتُ والخـــوَلُ (3)

((257))

وقال أحمد بن عبد ربه (4) ((الكامل))

وكأنما ترنو بعين غزالـــــةٍ فقدَتْ بأعلى الربوتين غزالَهـــــا

بيضاءُ تُستَرُ بالحِجـالِ ووجهُهـا كالشمس يُستَرُ بالضياءِ حِجالهـــا

((258))

وقال أيضـــــا (5) ((الكامل))

بل رُبَّ مُذهبةِ المزاجِ ومُذهَـــبِ راحا براحةِ ريمِهِ وغزالــــــه

---

(1) 2/ 179، في باب البحر والسفن

(2) في الهامش، الجارية : السفينة

(3) وفيه ، الدايات : الوصيفات . الخول : الخـــدم

(4) 2/ 134، في باب فتور العين ومرضها وغنجها

(5) 1/ 101، في باب السقاة والندامى

وكأنَّ كفَّ مديرها ومديـــــــر ه   فلكٌ يدورُ بشمسه وهِـلالِـــــــه

((259))

وقال أحمد بن عبد ربه (1)   ((البسيط))

ترى الأباريق والأكواس ماثلـــــــةً   وكلّ طاسٍ من الابريــز ممتثـــــــلُ

كأنها أنجمٌ يجرى بها فلـــــــكٌ   للراحِ لا أسَدٌ فيها ولا حَمـــــــلُ

((260))

وقال ابن عبد ربه في البستان (2)   ((الطويل))

تحفُّ به جنّاتَ دنيا تعطّفـــــــتْ   لصائغِهِ (3) في الحَلْي شاتيةً عطْـلَى

مطبّقةَ الأفنان طيّبة الثـــــــرى   محمّلةٌ ما لاَ تطيقُ له حمـــــــــلا

عناقدُها دُهمٌ تنوّطُ بينهـــــــا   وقد أشرَقتْ علوًا كما أظلمَتْ سُفـــــلا (4)

كأنّ بني حامٍ تــدلّت خلالَهـــــا   فوافــقَ منــها شكلُها ذلِك الشّكـــــلا

وأن عُصرَت مجّت رضابا كأنّهـــــا   جنى النحلِ من طيبٍ وما تعرِف النّحــلا

---

(1)   1 / 98 ،في باب صفات الكؤوس والاقداح

(2)   1 / 72 ،في باب القصور والبساتين والصهاريج والاشجار

(3) في الهامش،الاصل : لصانعه

(4) وفيه ،تنوط : تعلـــــــق

ومحجوبةُ حجم الثّديّ نوا هـــــدٍ تميس بها الأغصانُ مُنأَدّةَ تقـــلا

كأنّ مذاق الطعم منها وطعمهـــا لثاتُ عذارى ريقها الشّهد أو أحلى

((261))

وقال ابن عبد ربه (1) ((المنسرح))

وجه ربيعٍ أتاك باكـــــرُهُ يرفُل في حَلْيه وفي حُلَلِــــهْ

كأنّ أيامه ملبّســـــةٌ أثوابَ غضّ الشبابِ مقتبلِــهْ

حـــرف الميـــم

((262))

وقال ابن عبد ربه (2) ((الطويل))

ألا إنما الدنيا كأحلامِ نائــــمِ وماخير عيشٍ لا يكون بدائـــمِ

تأمل اذا ما نلت بالأمس لــــذةً فأفنيتها (3) هل أنت إلا كحالـم

وما الموت إلا شاهدٌ مثل غائـــبٍ وما الناس إلا جاهلٌ مثل عالــــم

---

(1) 1 / 46، في باب الربيع والزهـــر

(2) 3 / 271، في باب ذم الدنيا وذكر الموت

(3) في الهامش، الا صل : فانيتها

((263))

وقال ابن عبد ربـــه (1) ((الكامل))

مظلومةٌ باللحظ وَجْنتُهـــــا وجفونها جبلت على الظُّلـــم

وكأنّ عينيها تضَمَّنتـــــا ما في فؤادكَ من جوى السُّقـم

((264))

وقال أَحمد بن عبد ربه (2) ((المنسرح))

يسعى بها شادِنٌ أناملُـــــهُ ضربان منها العُنّـــابُ والعَنَمُ

تنسى به العينُ طَرفها عَجبـــا ويدركُ الوهمَ عِندهُ الوَهـــمُ

كأنّما لاحظتْ به صنمـــــا يعبُدهُ من بهائهِ الصَّنَـــمُ

((265))

وقال أحمـــد بن عبد ربه (3) ((الكامل))

ومدامة صلّى الملوك لوجههـــا من كثرة التبجيل والتعظيـــم

رقّتْ حُشاشَتها ورقّ أديمهـــا فكأنها شِيبَتْ من التّسنيـــم (4)

---

(1) 2 / 136 ، في باب فتور العين وغنجهـــا

(2) 1 / 101 ، في باب السقاة والندامـــى

(3) 1 / 92 ، في باب الشـــراب وأوصاف الخمـــر

(4) في الهامش ، شيبت : خلطـــت . التنسيم : شراب أهل الجنة

وكأنّ عين السلسبيلِ تفجّـــــــرتْ لك عن رحيقِ الجنّةِ المختـــــوم

راحٌ إذا اقترنتْ (1) عليك كؤوسُهــا خِلتَ النجومَ تقارنتْ بنجـــــومِ

تجرى بأكنافِ الرِّياض وما لهـــــا فلكٌ سوى كفّي وكفِّ نديمـــــي

حتى تخالُ الشمسَ يكسَفُ نورهـــا والأرضُ ترعدُ رعدةَ المحمـــومِ

حــرف النـــون

((266))

قال أحمد بن عبد ربـــه (2) ((الخفيف))

رجعُ صوتٍ كأنّه نظـــــمُ دُرٍّ ما يرى سلكهُ سوى الآذانِ

تنفثُ السحرَ بالبيانِ من القـــــــولِ ولا سحرَ مثلُ سحر البيـــانِ

((267))

وقال أيضـــا (3) ((البسيط))

أهدتْ إليك حميّاها بكاسِــــنِ شمسٌ تدبّرتها بالكفِّ والعيـــنِ

يسعى بتلك وهذي شادنٌ غنجٌ كأنّهُ قمرٌ يسعى بنجميـــنِ

---

(1) في الهامش ، الأصل : افترقت

(2) 1 / 104 ، في باب القيان والمغنيـــن

(3) 1 / 102 ، في باب السقاة والندامـــى

كأنه حين يمشي في تــــــأوُّدِهِ   قضيبُ بانٍ تَثنّـى بين ريحيــنِ

حــــرف الواو

((268))

وقال أيضــــا (1)   ((الكامل))

ولرُبَّ نائحةٍ على فنــــنِ   تُشجي الخليّ وما به شَجْــوُ

وتغرّدَتْ في غصن أيكتهـــا   فكأنّما تغريدها شَـــدْوُ

حــرف اليــاء

((269))

قال ابن عبد ربــــه (2)   ((الخفيف))

ورضابٍ (3) كأنه ما يمـجّ النحـــلُ   طيبا وما يُسحُّ (4) الحِبيُّ

علّنيه بدرٌ من الأنس يا مَــنْ   ظنَّ بالبدر أنّهُ انسـيُّ

---

(1) 1 / 56 ، في باب تغريد الطير في الرياض ووصف الحمام

(2) 2 / 138 ، في باب الثغر وطيب الريق

(3) في الهامش ، الاصل : وضــــراب

(4) فيه أيضا ، الأصل : يمج ، قلت وقد يقرأ : يشج بمعنى يصيب . والحبي : السحاب

((270))

وقال أحمد بن عبد ربه (1) ((السريع))

منظـومةٌ هُذّبَ ألفاظُهـا ليست من الشّعرِ الحجازيّ

لكنّها في الصّوغ نجديّـةٌ صاحبها ليس بنجـديّ

كوفيّةَ الابداع (2) بصريّـةٌ لغيرِ كوفيٍّ وبصـريّ

كأنّها شاذورةٌ علّقـت بوجهِ دينارٍ هِرَقلـيّ (3)

((271))

وقال أيضـا (4) ((السريع))

ورديةٌ يحملها شـادنٌ في مُشربِ الحُمرةِ وَرْديّ

كأنّه والكأسَ في كفّـه بدرٌ دجىً يسعى بـدُرّيِّ

---

(1) 1 / 114 ، في باب الشعر

(2) في الهامش ، الأصل : الايـداع

(3) فيه أيضـا ، شاذورة ، ليست في اللسان ولعله تصرف بكلمة شذرة وهي الحبة من صغار اللـؤلـؤ

(4) 1 / 102 ، في باب السقاة والندامـى

الفهـــــــــــارس

1 ـ فهـــــرس الأشعـــــار

2 ـ كـــشاف الأعــــــــلام

3 ـ فهـــــرس المصـــــادر

4 ـ فهـــــرس الموضـــــوعات

فهـــــــرس الأشعـــــار

القافيـــــة	البحـــــر	رقم القصيدة	عدد الابيات
	قافية الهمـــــزة		
رضاء	الطويــل	1	7
الماء	البسيط	2	2
الـداء	الطويــل	3	4
بكائـــي	البسيط	4	4
بلا ئـــي	الخفيف	5	4
المـاء	الكامل	6	1
	قافيـة البـــاء		
اللبيـــب	الكامــل	7	5
السراب	الوافــر	8	6
فعذبنـي	الطويل	9	4
العطــب	البسيط	10	4
الشبابـا	الوافــر	11	3
جانــب	الطويل	12	4
الصــب	الطويل	13	3
موصوب	البسيط	14	4
مسكوب	المديد	15	2

القافيـــة	البحـــر	رقم القصيدة	عدد الأبيات
شـرب	الطويل	16	4
مشـا ب	البسيط	17	3
بقـريب	الطويل	18	4
طالبــا	المديد	19	4
جـوابي	البسيط	20	4
لعـــب	الرمـــل	21	4
يجـب	الكامل	22	4
الحــب	الكامل	23	4
قلبـــي	الهـــزج	24	4
يقترب	الـرجز	25	2
كلابـــه	الرجـــز	243	3
السحائـب	الطويل	244	2
للصليـب	الوافـر	245	3
	قافيــــة التــــاء		
أجنــت	الطويل	26	2
غمرات	الطويل	27	4
مـــوات	الكامل	28	4
نفيـت	المتقارب	29	5
	قافيــــة الثــــاء		
الثلاث	المديد	30	4

القافيـــة	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
	قافيـــة الجـــيم		
الداجـــي	الكامل	31	27
أفواجـــا	البسيط	32	18
عــلاج	المديد	34	4
بتزويـج	البسيط	33	4
مــضرجـــا	الكامل	35	2
فـــرج	المقتضـب	36	4
للعناجيـج	البسيـط	37	2
المنهـاج	الـرجـز	246	3
	قافيـــة الحـــاء		
صــلح	الطـويل	38	29
فـادح	المديد	39	4
الريـح	الطويل	40	1
صـــلاح	الكامل	41	1
مـــطرح	المنسرح	247	2
	قافيـــة الخـــاء		
مفضـوخ	المديد	42	4
	قافيـــة الدال		
مــــداد	الوافـــر	43	6
الكمـد	المنسرح	44	16

القافيـــة	البحـــر	رقم القصيدة	عدد الأبيات
حميـدا	الكامل	45	19
ينفـــد	الكامـــل	46	4
جـديد	المجتـث	47	7
ولـــدى	البسيط	48	2
بـــرد	المديد	49	4
نغـــاد	الوافـــر	50	2
الجيـــاد	الوافـــر	51	7
يـــد	البسيط	52	3
يـــدا	البسيـــط	53	2
الخـــد	الطويل	54	4
مـــورد	الطويل	55	4
أجلد	المنسرح	56	7
زبرجـــد	الطويل	57	10
بالهجـــود	المتقارب	58	4
الســـواد	الوافـــر	59	10
أحـــد	البسيط	60	5
الجســـد	البسيط	61	2
خـــدى	الكامل	62	3
الرقـــاد	الوافـــر	63	5
مفقـــود	الوافـــر	64	4

القافيـــة	البحـــر	رقم القصيدة	عدد الابيات
كمـــده	الرمل	65	4
عمـــدا	المنسرح	66	3
جـــسدى	الخفيف	67	4
العـــود	البسيط	68	3
الخدود	الوافـر	248	2
	قافية الـــذال		
ببغداذ	المديد	69	4
	قافيـــة الـــراء		
ديـــار	البسيط	70	19
سحـــرا	المنسرح	71	14
المقدور	الكامل	72	3
بالسحر	الطويل	73	2
القـــدر	البسيط	74	4
المبهور	الكامل	75	2
المنصـــور	الطويل	76	4
عـــذر	الطويل	77	1
شفـــير	الوافـر	78	6
الحشر	الطويل	79	7
القمـــر	البسيط	80	6
يـــدور	الوافـــر	81	9

القافيـــة	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
نهـــا ر	الوافر	82	4
جـــاروا	البسيط	83	2
عنبـرا	الطويل	84	3
ادكـــار	الوافر	85	2
بعيـــر	الكامل	86	2
يذكـــرا	السريع	87	4
مجـــيرا	الكامل	88	4
القــدر	البسيط	89	4
وطـــر	البسيط	90	7
الابشار	الكامل	91	3
بصرى	البسيط	92	1
ذكـــور	الوافر	93	7
أنصارا	المديد	94	4
الدنانير	البسيط	95	4
السرائر	الكامل	96	4
المنير	الكامل	97	4
قمـــر	الرجز	98	4
احوار	الرمل	99	4
حـــرير	الرمل	100	4
تنـــير	الخفيف	101	4

القافيــــة	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
قدرها	الكامل	102	4
القـــدر	الوافر	103	4
دهـــر	الكامل	104	4
الدار	المنسرح	105	3
غيرنـــا	الخفيف	106	4
بـــدر	الطويل	107	13
عمـــر	المنسرح	108	7
العصافير	البسيط	249	4
الصدور	الوافر	250	2
بالقتير	الوافر	251	5
	قافية الـــــزاى		
البازى	البسيط	109	4
	قافيــــة السيـــن		
يئســـا	البسيط	110	6
العباس	الكامل	111	4
الباس	السريع	112	2
جليســا	الكامل	113	3
حنادس	الكامل	114	4
مبتئس	الرجـــز	115	2
الاندلس	الكامل	116	2
الغلس	الكامل	252	2

القافية	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
	قافية الشين		
الحبشر	البسيط	117	2
هـراش	الكامل	118	3
	قافية الصاد		
معصي	الكامل	119	1
قناص	الوافر	120	4
القلوص	السريع	121	3
قانص	الوافر	253	2
	قافية الضاد		
يمرض	الكامل	122	4
المحض	الطويل	123	5
مضى	المتقارب	124	4
	قافية الطاء		
اغتباط	البسيط	125	4
	قافية الظاء		
يلغظ	البسيط	126	4
	قافية العين		
جعجاع	السريع	127	7
ساطع	الطويل	128	7
ينفع	الكامل	129	5

القافيــة	البحـر	رقم القصيدة	عدد الابيات
أوسـع	الطويل	130	3
قنـاع	الكامل	131	4
المسجـع	الطويل	132	5
بالطلوع	الرمـل	133	3
الدمـوع	الوافـر	134	6
ارتفـع	الرجـز	135	3
أطمـاع	السريع	136	4
اجتماعا	المضارع	137	4
تطاعـا	الوافر	138	4
	قافيــة الغيـن		
الصدغ	الكامل	139	4
	قافيــة الفـاء		
منصـرف	المنسرح	140	2
شـرف	الكامل	141	4
	قافيــة القـاف		
فـرق	الكامل	142	4
صـديق	الطويل	143	29
المشرق	السريع	144	4
رفيقـا	الكامل	145	4
ورق	البسيط	146	1

القافيـــة	البحـر	رقم القصيدة	عدد الابيات
أوسـع	الطويل	130	3
قنـاع	الكامل	131	4
المسجـع	الطويل	132	5
بالطلوع	الرمـل	133	3
الدمـوع	الوافـر	134	6
ارتفـع	الرجـز	135	3
أطمـاع	السريع	136	4
اجتماعا	المضارع	137	4
تطاعـا	الوافر	138	4
	قافيـة الغيـن		
الصدغ	الكامل	139	4
	قافيـة الفـاء		
منصـرف	المنسرح	140	2
شـرف	الكامل	141	4
	قافيـة القـاف		
فـرق	الكامل	142	4
صـديق	الطويل	143	29
المشرق	السريع	144	4
رفيقـا	الكامل	145	4
ورق	البسيط	146	1

القافيـــــة	البحـــر	رقم القصيدة	عدد الابيات
التلاقــي	المنسرح	147	4
أ لاتــي	الوافر	148	3
مشتا ق	البسيط	149	12
الشقائق	الطويل	150	5
ريقــي	البسيط	151	3
ينطـــق	الكامل	152	4
العنا ق	الخفيف	153	6
سائـــق	الطويل	154	3
مخلوق	الوافــر	155	4
قراطقهـــا	المنسرح	156	4
شـــرق	الخفيف	157	4
طـــرقا	البسيط	254	2
الود ق	الكامل	255	4
	قافيــــة الكـــاف		
التذكــي	الرمـــل	158	11
معلــــوك	البسيط	159	4
مشتـرك	البسيط	160	4
أحراكـــا	البسيط	161	10
	قافية الـــــلام		
صقـــيل	الوافـــر	162	1
لنـــوال	الطويل	163	2

القافيــــة	البحـــــر	رقم القصيدة	عدد الابيات
بلا بــــــلا	الكامل	164	2
كمـــــلا	البسيط	165	2
ساحـــــل	الـــطويل	166	4
قنابـــل	الطويل	167	5
الســـؤال	الوافـــر	168	1
كهـــــلا	الطويل	169	1
ولـــــى	الهـــزج	170	4
أجلـــي	الرجــز	171	4
ذليـــــل	الوافــر	172	1
للمفضـــل	الكامـــل	173	6
عـــدل	الطـــويل	174	12
الجمال	البسيط	175	4
قـــذالا	الكامل	176	4
دلال	الطويل	177	4
شغـــل	المديد	178	4
السؤال	البسيط	179	4
صـــل	الكامل	180	4
بخيـل	الهـــزج	181	4
الكحيل	الرمـــل	182	4
النصـــل	السريع	183	2

القافيـــــة	البحـر	رقم القصيدة	عدد الابيات
ولـــــى	الهـــزج	184	4
عــــدلا	الرجـــز	185	4
يقتـــل	السريع	186	4
بالجمـــال	المجتث	187	3
غـــزالا	المتقارب	188	4
الاغـــلال	السريع	189	2
ســـــألا	البسيط	190	11
هلالهـــا	الطويل	191	9
غزالهـــا	الكامل	257	2
غزالـــه	الكامل	258	2
معتشـــل	البسيط	259	2
عطـــلى	الطويل	260	7
حللـــــه	المنسرح	261	2
	قافيـــة الميـــم		
كـــريم	الطويل	192	4
عديـــم	الطويل	193	4
سهـــام	الوافـــر	194	4
تـــــم	الطويل	195	1
النقمـــا	البسيط	196	3
القلـــم	المنسرح	197	1

القافيـــــة	البحـــر	رقم القصيدة	عدد الابيات
أقلا م	البسيط	198	1
أيـــــامي	الكامل	199	4
أسمـى	الخفيف	200	6
الحــــزم	السريع	201	8
الحاكم	السريع	202	3
الالــــم	الرمل	203	4
العزم	الكامل	204	4
مختوم	السريع	205	6
قـــدم	المنسرح	206	6
بسلا م	الكامل	207	5
السلا م	المديد	208	4
د مــــه	المديد	209	5
يصـــرم	البسيط	210	4
تحكـــم	السريع	211	4
د م	الكامـــل	212	4
سقـــم	السريع	213	3
همهــــا	المتقارب	214	4
بدائـــم	الطويل	262	3
الظلم	الكامل	263	2
العنـــم	المنسرح	264	3
التعظيم	الكامل	265	6

القافية	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
	قافية النون		
الجديدين	البسيط	215	6
بحنين	الطويل	216	11
العين	السريع	217	5
مائتين	الطويل	218	2
تسكن	الكامل	219	2
حزنا	البسيط	220	8
الاعين	السريع	221	2
بالحزن	الوافر	222	4
طواني	الطويل	223	7
يلتقيان	الطويل	224	4
أعدينني	الكامل	225	9
التداني	الوافر	226	2
كالارجوان	الوافر	227	4
ريحان	المديد	228	4
الآذان	الخفيف	266	2
العين	البسيط	267	3
	قافية الهاء		
ذراها	البسيط	229	9
يزدهي	الكامل /	230	4

القافيــــة	البحر	رقم القصيدة	عدد الابيات
وجناته	الكامل	231	1
يحنيه	البسيط	232	3
أثافيهـــا	البسيط	233	3
مائـــــه	السريع	234	1
مساويه	البسيط	235	2
عنقـــه	المنسرح	236	1
عليـــه	الخفيف	237	4
جمالـــه	الكامل	238	2
تثنيـــه	الرمـل	239	4
نبـــه	المتقارب	240	4
	قافية الـــواو		
عـــدوى	الكامل	241	4
شجـــو	الكامل	268	2
	قافيــة اليـــاء		
الراوى	الهـــزج	242	3
الحبـــي	الخفيف	269	2
الحجازى	السريع	270	4
وردى	السريع	271	2

كشـــــاف الاعــــلام

فهـــــــــرس المصـــــادر

اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري / يوسف حسين بكار .ـ القاهرة : دار المعارف ، 1971 .

أزهار الرياض في أخبار عياض / شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ، تحقيق مصطفى السقـــا وابـــراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي .ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنـــشر ، 1940 .

اعتاب الكتاب / أبو عبد الله محمد بن الابار ، تحقيق صالح الاشتر .ـ دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1961 .

اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام / لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال .ـ بيروت : دار المكشوف ، 1956 .

البداية والنهاية / اسماعيل بن عمر بن كثير .ـ القاهرة : مطبعة السعادة ، 1932 .

بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس / احمد بن يحي الضبي .ـ بغداد : مكتبة المثنى (اوفســـت عن طبعة مجريط 1884)

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد ابراهيم .ـ القاهرة : عيسى الحلبي ، 1964 .

البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب / أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي ، تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال .— بيروت : دار الثقافة .

تاريخ افتتاح الاندلس / أبو بكر محمد بن القوطية القرطبي ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع .— بيروت : دار النشر للجامعيين .

تاريخ علماء الاندلس / أبو الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضي ، تحقيق إدارة إحياء التراث .— القاهرة : الدار المصرية للتأليف ، 1966 .

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس / أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي .— القاهرة : مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، 1953 .

الحلة السيراء / أبو عبد الله محمد بن الأبار ، تحقيق دوزى .— ليدن ، 1847 .

ديوان ابن هانيء .— بيروت : دار صادر ، 1964 .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني .— القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1939 .

رايات المبرزين وغايات المميزين / علي بن موسى بن سعيد ، تحقيق إميليو غارسيا غومس .— مدريد ، 1942 .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد .— بيروت : المكتب التجاري .

شعراء الحرب في الاندلس/ الربعي بن سلامة (رسالة ماجستير ؛ جامعة قسنطينة)

طبقات الام / أبو العباس صاعد بن احمد القاضي ، تحقيق لويس شيخو .ـ بغداد ؛ مكتبة المثنى (أوفسيت عن المطبعة الكاثوليكية، 1912) .

العبر في خبر من غبر / محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق فؤاد سيد .ـ الكويت ؛ دائرة المطبوعات ، 1961 .

العقد الفريد / أحمد بن محمد بن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبيارى وأحمد الزين .ـ ط . 3 .ـ القاهرة ؛ لجنة التأليف والترجمة ، 1965 .

عنوان المرقصات والمطربات / علي بن موسى بن سعيد ، تحقيق عبد القادر محداد .ـ الجزائر ، 1949 .

عيون الانباء في طبقات الاطباء / موفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة ، تحقيق نزار رضا .ـ بيروت ؛ مكتبة الحياة ، 1965 .

فضائل الأندلس وأهلها / علي بن موسى بن سعيد وابن حزم والشقندى ، تحقيق صلاح الدين المنجد .ـ بيروت ؛ دار الكتاب الجديد ، 1968 .

فهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف / أبو بكر محمد بن خير ، تحقيق فرانسيسكو قدارة زيدين وخوليان ربارة طرغوه .ـ ط . 2 .ـ بيروت ؛ المكتب التجارى . بغداد ؛ المثنى . القاهرة ؛ الخانجي ، 1963 .

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس/ أبوعبد الله محمد بن الكتاني الطبيب ، تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة ، 1966 .

مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر المجهول / تحقيق ليفي بروفنسال واميليو غارسيا غومس .- مدريـــد ، 1950 .

مـــرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان / ابو محمد عبد الله بن أسعد اليافي .- ط 2 .- بيروت : مؤسسة الاعلمي ، 1970 .

المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها / عبد الله الطيب .- ط 2 .- بيروت: دار الفكـــر ، 1970 .

مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس/ أبو نصر الفتح بن خاقان .- القاهرة : مطبعة السعادة ، 1907 .

معجم الأدباء / أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الرومـــي .- القاهرة : مكتبة البابي الحلـــبي .

المغرب في حلي المغرب / علي بن موسى بن سعيد .- القاهرة : دار المعارف ، 1955 .

المقتبس في تاريخ رجال الاندلس . القسم الثالث / أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ، تحقيق ملشـــور أنطونية .- باريس : المكتبة الشرقية ، 1937 .

المقدمـــــة / عبد الرحمن بن خلدون .ــ ط 2 . ــ بيروت : مكتبة المدرسة : الكتاب اللبنانـــي ، 1961 .

نفـــح الطيب من غصن الاندلس الرطيب / شهاب الدين أحمد بن محمد المقـــرى ، تحقيق إحسان عباس .ــ بيروت : دار صادر ، 1968 .

هديـــــة العارفيـــن : أسماء المؤلفـــين وآثـــار المصنفين / إسماعيل باشـــا البغدادى . ــ بغـــــداد : مكتبة المثنـــى (أوفسيت عن طبعة استـــنبول ، 1951) .

وفيـــات الأعيان وأنباء أبناء الزمـــان / أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكـــان ، تحقيق محمد محي الديـــن عبد الحميـــد .ــ القاهرة : مكتبة النهضـــة المصرية ، 1948 .

يتيمـــــة الدهـــر في محاسن أهل العصـــــر / أبو منصور عبد الملـــك بن محمد الثعالبـــي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .ــ ط 2 .ــ القاهـــرة : المكتبة التجارية الكبـــرى ، 1956 .

فهــــــرس الموضوعـــــات